سماحة المرجع الديني آية الله العظمى
السيد محمد تقي المدرسي

من هدى القرآن

الجزء السابع

سورة الفاتحة - سورة البقرة - سورة آل عمران

دار القارئ

بسم الله الرحمن الرحیم

من هدى القرآن

كاتب:

آیت الله سید محمد تقی مدرسی

نشرت فی الطباعة:

دار محبی الحسین (علیه السلام)

رقمی الناشر:

مركز القائمیة باصفهان للتحریات الكمبیوتریة

الفهرس

من هدى القرآن المجلد ۷

اشاره

سرشناسه:مدرسی، محمدتقی، - ۱۹۴۵

عنوان و نام پدیدآور:من هدی القرآن/ محمدتقی المدرسی

مشخصات نشر:تهران: دار محبی الحسین، ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری:ج ۱۸

شابک:۱۸--ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۱۱۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۹۱۰-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-۱۱۸۰۰۰۰۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳ ؛ ۱۸--ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۱۱۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۹۱۰-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-۱۱۸۰۰۰۰۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳

وضعیت فهرست نویسی:فهرستنویسی قبلی

یادداشت:عربی

یادداشت:کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر شده است

یادداشت:کتابنامه

موضوع:تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

رده بندی کنگره:BP۹۸/م۴م ۸ ۱۳۷۷

رده بندی دیویی:۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی:م ۷۷-۱۲۵۶۱

ص :۱

اشاره

سوره مریم

اشاره

ص:۳

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

فضل السوره:

-۱

فی کتاب ثواب الأعمال باسناده عن أبی عبد اللّه علیه السلام قال :

«من أدمن قراءه سوره مریم لم یمت حتی یصیبه ما یغنیه فی نفسه و ماله و ولده،و کان فی الآخره من أصحاب عیسی بن مریم علیهما السلام،و أعطی من الأجر مثل ملک سلیمان بن داود فی الدنیا».

تفسیر نور الثقلین/ج ۳.ص ۳۱۹ ۲-

فی مجمع البیان أبی بن کعب عن النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم قال :

«من قرأها أعطی من الأجر بعدد من صدق بزکریا و کذب به،و یحیی و مریم و موسی و عیسی و هارون و إبراهیم و اسحق و یعقوب و إسماعیل عشر حسنات، و بعدد من ادعی للّه ولدا،و بعدد من لم یدّع و له ولدا».

تفسیر نور الثقلین/ج ۳.ص ۳۱۹

ص:۵

۳-و من خواص القرآن

روی عن النبی صلی الله علیه و آله أنه قال :

«من قرأ هذه السوره اعطی من الحسنات بعدد من دعا للّه ولدا سبحانه لا إله إلا هو،و بعدد من صدّق زکریا و عیسی و موسی و إبراهیم و إسماعیل و إسحاق و یعقوب عشر حسنات،و عدد من کذب بهم،و یبنی له فی الجنه قصر أوسع من السماء و الأرض فی أعلی جنه الفردوس،و یحشر مع المتقین فی أول زمره السابقین،و لا یموت حتی یستغنی هو و ولده،و یعطی فی الجنه مثل ملک سلیمان(علیه السلام)و من کتبها و علقها علیه لم یر فی منامه إلاّ خیرا،و ان کتبها فی حائط البیت منعت طوارقه،و حرمت ما فیه و إن شربها الخائف أمن».

تفسیر البرهان/ج ۳.ص ۲

الإطار العام

کـان الاتجاه العام لسوره الکهف هو بحث علاقه الإنسان بزینه الحیاه الـدنیا، فجاءت سوره مریم لترکّز الضوء علی علاقه الإنسان بالأسره و الأولاد أیّ قضیه الامتداد البشری و إطارها السلیم.

و ثمه ملاحظتان:

الأولی:یؤکـد الإسـلام علی ضـروره تحدیـد الإنسـان لعلاـقته بـالطبیعه فی إطار علاقته الکبری بربه و ربها،لان الأخری،هی التی تحدد أعماله و سلوکه و کیفیه تکوین علاقاته.

و یجب أن یضحی بکـلّ شـیء من أجـل هـذه العلاـقه،فهو عبـد لربه یحبّه و یحب من یحبّه و یبغض من یبغضه.فعلاـقه الإنسـان بـالطبیعه امتـدادیه و لیست ذاتیه،فلأـن اللّه أمرنا أن نعمّر الأرض و نبنی البیت،و نکوّن العائله،و نحبّ أولادنا أو نشـفق علیهم.فانّا نقوم بکلّ ذلک فی حدود أوامر اللّه و توجیهاته.

و لقد جاءت سوره مريم لمعالجه هذه الحقيقه،و لذلك

جاء فی الحديث :

«من أدمن قراءه سوره مريم لم يمت حتی يصيبه ما يغنيه فی نفسه و ماله.. » و الإدمان يشير إلی العمل بهذه السوره، و تكييف حياه الإنسان و علاقاته و فقها، و من يفعل ذلك فانّه خيرا فی علاقاته و حينما يأمره الإسلام أن تكون العلاقه بالطبيعه و زينه الحياه(من أموال و بنين و ما أشبه)علاقه امتداديه،فی إطار العلاقه مع اللّه،فليس لأنه يريد للإنسان الحرمان من نعيم الدنيا و طيباتها،إنما يريد له أن يستفيد من ذلك أكبر فائده ممكنه،لأن اللّه هو خالق الحياه و البشر،و هو أعلم بما يصلحهم و يعود عليهم بالخير،و بالتالی هو القادر علی أن يرسم لهم المنهج السليم فی السلوك و العلاقات.

الثانيه:إن هناك فرقا بين الوصفه الطبيه و الدواء الذی تشتريه بموجبها،فبينما تشير هی أن الدواء فقط يقوم بملاحقه ميكروب المرض للقضاء عليه.و الكتب التربويه و الأخلاقيه تشبه إلی حد بعيد الوصفه الطبيه،بينما القرآن دواء و شفاء لأمراض السلوك البشری،فآياته تلاحق الجراثيم و الأمراض النفسيه فی قلب الإنسان و تقضی عليها،لذلك لا يكتفی القرآن أن ينصحك بكيفيّه تكوين علاقاتک مع أولادك فحسب و انما يتعمّق حتی يصل إلی جذر المشكله النفسيه و يقتلعها، فيضرب الأمثال و يبيّن حقائق التاريخ و يحللها.

و قد سميت هذه السوره بمريم لأن علاقه مريم الصديقه بابنها عيسی عليه السلام كانت علاقه فريده و نموذجيه.

ص:٨

[سوره مریم (۱۹): الآیات ۱ الی ۱۱]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ . کهیعص (۱) ذِکْرُ رَحْمَتِ رَبِّکَ عَبْدَهُ زَکَرِیّٰا (۲) إِذْ نٰادیٰ رَبَّهُ نِدٰاءً خَفِیًّا (۳) قٰالَ رَبِّ إِنِّی وَهَنَ اَلْعَظْمُ مِنِّی وَ اِشْتَعَلَ اَلرَّأْسُ شَیْباً وَ لَمْ أَکُنْ بِدُعٰائِکَ رَبِّ شَقِیًّا (۴) وَ إِنِّی خِفْتُ اَلْمَوٰالِیَ مِنْ وَرٰائِی وَ کٰانَتِ اِمْرَأَتِی عٰاقِراً فَهَبْ لِی مِنْ لَدُنْکَ وَلِیًّا (۵) یَرِثُنِی وَ یَرِثُ مِنْ آلِ یَعْقُوبَ وَ اِجْعَلْهُ رَبِّ رَضِیًّا (۶) یٰا زَکَرِیّٰا إِنّٰا نُبَشِّرُکَ بِغُلاٰمٍ اِسْمُهُ یَحْییٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِیًّا (۷) قٰالَ رَبِّ أَنّٰی یَکُونُ لِی غُلاٰمٌ وَ کٰانَتِ اِمْرَأَتِی عٰاقِراً وَ قَدْ بَلَغْتُ مِنَ اَلْکِبَرِ عِتِیًّا (۸) قٰالَ کَذٰلِکَ قٰالَ رَبُّکَ هُوَ عَلَیَّ هَیِّنٌ وَ قَدْ خَلَقْتُکَ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ تَکُ شَیْئاً (۹) قٰالَ رَبِّ اِجْعَلْ لِی آیَةً قٰالَ آیَتُکَ أَلاّٰ تُکَلِّمَ اَلنّٰاسَ ثَلاٰثَ لَیٰالٍ سَوِیًّا (۱۰) فَخَرَجَ عَلیٰ قَوْمِهِ مِنَ اَلْمِحْرٰابِ فَأَوْحیٰ إِلَیْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُکْرَةً وَ عَشِیًّا (۱۱)

اللغه

۴[وهن]:الوهن هو الضعف و نقصان القوه.

۵[عاقرا]:لا تلد.

۸[عتیا]:إذا غیّره طول الزمان الی حال الیبس و الجفاف.

ص:۹

فَهَبْ لِی مِنْ لَدُنْکَ وَلِیًّا

بيّنات من الآيات:

دعاء زكريا:

[۱] كهيعص اختلف المفسرون فى هذه الحروف و ما ترمز إليه،و ربما كانت اشاره إلى الألفاظ التى تدل على الذكر أو الحديث الذى كان زكريا عليه السلام يناجى به ربه،و جاء فى حديث ان هذه الكلمات رموز الى أسماء اللّه الحسنى،

فقد روى سفيان بن سعيد الثورى عن الامام الصادق عليه السلام-حديثا مفصلا جاء فيه- :

« كهيعص :معناه أنا الكافى الهادى الولىّ العالم الصادق الوعد » (۱)و

جاء فى حديث مأثور عن الإمام المهدى عجل اللّه فرجه:

«ان هـذه الحروف ترمز الى واقعه كربلاـء الفجيعه،فالكـاف اسم كربلاـء،و الهـاء هلاـك العتره،و الياء يزيـد-لعنه اللّه-و هو ظالم الحسين،و العين عطشه،و الصاد،

۱- ۱) تفسير نور الثقلين ج ۳ ص ۳۲۰.

صبره » (١)[٢] ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّکَ عَبْدَهُ زَکَرِیّا بین الإنسان و ربه خطّان-صاعد و نازل-فالخط الصاعد هو الدعاء،أما الخط النازل فهو الوحی السماوی،و حسب ما أتصوره فان هذه الآیه تشیر الی کلا الخطین،فمن جهه ذکر اللّه لعبده عن طریق الوحی أو الکتاب السماوی،و من جهه ثانیه ذکر زکریا ربه طالبا رحمته عن طریق الدعاء،و قد قال المفسّرون فی معنی هذه الجمله:«اذکر کیف رحم اللّه عبده زکریّا»و بتعبیر آخر:هذا ذکر عن رحمه اللّه لعبده زکریا.

[٣] إِذْ نادیٰ رَبَّهُ نِداءً خَفِیًّا فی غمره الأحداث الرسالیه،و الصراعات المبدئیه،لم ینس أن له شعورا آخر هو الشعور الانسانی،و أن له رغبه أخری هی رغبته فی الامتداد عبر الأولاد،یحملون رسالته من بعده،فقد کبت هذا الشعور طویلا،و حینما أظهره کان خفیّا،ربما لسببین:

الأول:حذرا من ألسنه الناس،فقد کان رجلا مسنّا،و کانت امرأته عجوزا عاقرا.

الثانی:إن من شأن العبد الصالح أن لا یری لنفسه حقا علی اللّه،بل یؤمن بأن کل ما یعطیه الرب فهو تفضل منه و إحسان.

[٤] قٰالَ رَبِّ إِنِّی وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّی عند ما یشیخ الإنسان فان عظامه تصبح متراخیه هشّه و یشعر بالضعف الداخلی.

١- ١) المصدر.

وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً أی تحول الی البیاض،و التعبیر بکلمه«اشتعل»تعبیر بلاغی یلفت النظر الی المشاق و الصعوبات التی لاقاها فی عمره الطویل،کما توحی أیضا بسرعه الشیب فی رأسه.

وَ لَمْ أَكُنْ بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيًّا أی لم أکن شقیا بسبب دعائک،فکلما طلبت منک حاجه أجبتها لی،و هذا الأسلوب یمثل غایه التأدّب فی التوجه بالدعاء الی اللّه سبحانه.

شروط الوراثه:

[۵] وَ إِنِّي خِفْتُ الْمَوالِيَ مِنْ وَرائِي و الموالی هم أولاد العم و الخال و الأقارب البعیدون،و یبدو انهم لم یکونوا موضع رضی زکریا لفسقهم أو ضعف ایمانهم.

وَ كانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا [۶] يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا لم یکن أحد من موالی زکریا علیه السلام أهلا لوراثته،لذلک طلب من اللّه سبحانه و تعالی أن یرزقه ولیا تکون فیه هذه الصفات الثلاث:

۱/أن یرث ماله و علمه ظاهرا و واقعا.

۲/أن یرث عائلته،فبعض خصائص الفرد شخصیّه،بینما بعضها الآخر مرتبط بالعائله التی تمثل خطا معینا فی الحیاه.

/۳أن يكون مرضيا عند اللّه و عند الناس.

و هـذه هى الصـفات التى ينبغى أن تكون فى الوارث،و زكريـا لم يقـل ولـدا بل قال وليا،و هـذا طلب عام،فليس المهم الولـد بل المهم أن يكون الوارث امتدادا للموروث حتى لو كان من غير ولده.

[۷] يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلاَمٍ اسْمُهُ يَحْيىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا سوف نرزقك ولدا،يحمل مواصفاتك،و رسالتك،و سوف يقوم بعمل جديد لم يسبقه اليه أحد،و هذا منتهى رغبه الإنسان فى الولد:أن يكون وارثا له و مكملا لخطّه،فإذا قام بعمل اسلامى و لم ينتصـر فيه،فان ابنه يواصل هـذا العمل،بنفس الانـدفاع و الحماس الذى كان عنده حتى يكتب له النصـر،و كان زكريا وارث أموال كثيره عبر زوجته التى كانت من نسل النبى سـليمان(الذى وهب له اللّه ملكا عظيما،و لم يكن له مثيل)،و كان يخشـى على هـذه الأموال أن تصـرف فى أى طريق غير طريق اللّه،و كان فى ذات الوقت الحبر الأعظم،و خشـى ان يرثه فى هذا المقام الدينى واحد من أولاد عمه غير اللائقين بمقام قياده الأمه.

و قد استجاب اللّه له دعاءه،و آتاه من لدنه فضلا حيث رزقه يحيى.ذلك الولىّ الذى ليس فقط ورث أمجاد الماضى التليده،بل و يفتح عهدا جديدا حافلا بالمكرمات،إذ لم يجعل اللّه له سميا،و لعلّ فى الآيه اشاره الى أمرين:

أولا:ان يحيى عليه السـلام سوف يحقق المزيد من الانجازات،لا توجد فى التاريخ الرسالى السابق له،بلى..ان يحيى قاوم السلطات الجـائره التى اسـتولت على قيـاده النصـارى،و ضـحى بنفسه فى هـذا السبيـل،و كان مثله بين أتباع عيسـى(عليه السـلام)مثل الامام الحسين عليه السلام فى أمه جده محمد صلى الله عليه و آله .

ثانیا:ان علی الإنسان أن یتطلع الی ولد یرث الماضی،و یصنع المستقبل کما یحیی علیه السلام .

[۸] قَالَ رَبِّ أَنّی یَکُونُ لِی غُلاَمٌ وَ کَانَتِ امْرَأَتِی عَاقِراً وَ قَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْکِبَرِ عِتِیًّا کیف یکون لی ولد،بینما الشروط الطبیعیه اللازمه غیر متوفره،فامرأتی عاقر لا تلد أساسا،و أنا عجوز قد تجاوزت مرحله الفتوّه و الشباب کثیرا؟! [۹] قَالَ کَذٰلِکَ قَالَ رَبُّکَ هُوَ عَلَیَّ هَیِّنٌ فاللّه عزّ و جلّ الذی خلق الکون کما خلق القوانین الطبیعیه الحاکمه فیه،و هو قادر علی تغییرها حین یشاء بلا صعوبه.

وَ قَدْ خَلَقْتُکَ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ تَکُ شَیْئاً حینما یفکر الإنسان فی نفسه:کیف خلقه اللّه و أوجده من العدم؟!فانه یدرک أن اللّه علی کل شیء قدیر،و بالتالی یتلاشی تعجبه من بعض الظواهر الغریبه غیر المألوفه.فلما سکن روع زکریّا،و اطمأنت نفسه قال:آمنت بک،و لکن کیف أواجه الناس إذا قالوا:من أین أتت هذه الأسره العجوز بهذا الولد؟!

حکمه الاعتزال:

[۱۰] قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِی آیَهً قَالَ آیَتُکَ أَلاّ تُکَلِّمَ النّاسَ ثَلاَثَ لَیَالٍ سَوِیًّا عاده ما تکون الآیه وجودیه کناقه صالح،و عصا موسی،أما أن یعتزل الناس و لا یتکلم معهم فهذه آیه غریبه..

لقد فكرت بهذا الموضوع و وصلت الى هذه النتيجه و هی:أن السكوت و الصمت فی بعض الأحوال يكون أبلغ أثرا من أیّ كتاب أو كلام لسببين:

۱/لأن هذا السكوت يجعل صاحب القضيّه غير عابئ بما يقول السفهاء عنه، و صامدا أمام محاولات التشكيك من قبل الأعداء.

۲/و لأنه يجعل الناس يعودون الى أفكارهم،و يتحملون مسئوليتها،فليس بالضروره أن يتكلم الداعيه و يهدی الناس بلسانه دائما،بل يلزم عليه أحيانا أن يدعهم بدورهم يفكرون،و إذا فكروا فإنهم كثيرا ما يصلون الى الحقيقه،لذلك بعد الثلاثه أيام استغل زكريا عليه السلام الموقف،و أخذ يتحدث مع الناس فی مواضيع أخری غير قضيه ولاده يحيی عليه السلام و ما يحيط بها من ملابسات كانت تستغرق منه وقتا طويلا لتبيينها للناس.

و هكذا فان العمل فی سبيل اللّه يتطلب تجاوز الجدال فی القضايا الشخصيه الی معالجه القضايا العامه،و نشر القيم الرساليه،و يشير القرآن الكريم الی هذه الفكره فيقول:

[۱۱] فَخَرَجَ عَلىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرٰابِ فَأَوْحىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَ عَشِيًّا كانت الفتره التی اعتزل الناس فيها،و اعتكف فی المحراب يعبد اللّه و لا يتكلم مع أحد،كافيه لكی يفكر الناس،و يتأمّلوا،و بالتالی ينتبهوا الی موضوع طالما يغفل الإنسان عنه فی غمره أحداث الحياه و شؤونها،و هو قدره اللّه الّتی تدبر الكون،و تدبّر أمور العباد،و لذلك وجد زكريا عليه السلام الأرضيه مهيّأه لأن يدعوهم الی الالتزام بحكم اللّه و شريعته،و هذا هو معنی التسبيح العملی.

[سوره مريم (١٩): الآيات ١٢ الى ٢١]

اشاره

يا يَحْيى خُذِ اَلْكِتابَ بِقُوَّةٍ وَ آتَيْناهُ اَلْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَ حَناناً مِنْ لَدُنّا وَ زَكاةً وَ كانَ تَقِيًّا (١٣) وَ بَرًّا بِوالِدَيْهِ وَ لَمْ يَكُنْ جَبّاراً عَصِيًّا (١٤) وَ سَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَ يَوْمَ يَمُوتُ وَ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (١٥) وَ اُذْكُرْ فِي اَلْكِتابِ مَرْيَمَ إِذِ اِنْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها مَكاناً شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجاباً فَأَرْسَلْنا إِلَيْها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيًّا (١٧) قالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قالَ إِنَّما أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيًّا (١٩) قالَتْ أَنّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَ لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَ لَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قالَ كَذلِكِ قالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَ لِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنّاسِ وَ رَحْمَةً مِنّا وَ كانَ أَمْراً مَقْضِيًّا (٢١)

اللغه

١٦[انتبذت]:أصله الطرح و هى بمعنى تنحت ناحيه و جلست.

٢٠[بغيّا]:زانيه.

ص:١٧

یحیی مثل الوریث الصالح

هدی من الآیات:

فی اطار الحدیث عن الإنسان من بنیه،تحدثت الآیات الأولی من سوره مریم عن زکریا،ذلک الشیخ الطاعن فی السن،و الذی ظلت فی قلبه رغبه کامنه بثّها لربه،فوهب له اللّه یحیی علیه السلام .

و ها هی الآیات القرآنیه تبین لنا صفات یحیی،و من خلال صفاته یتبیّن لنا کیف ینبغی أن یکون الولد،و کیف ینبغی أن یتطلع الوالد الی ولده فیما یرتبط به، و فیما یرتبط بالمجتمع.

و هناک وجه آخر لهذه العلاقه و هی علاقه الأم بابنها حیث یبینها السیاق من خلال قصّه مریم،تلک الوالده الرسالیه التی وهب اللّه لها غلاما زکیّا،و کانت مثلا،و قدوه،و أسوه لکل الوالدات.

و من خلال العرض القرآنی لصفات یحیی و قصّه مریم،تتبیّن لنا عده أمور:

الأمر الأول:ان التربيه المثاليه التی یتوجب علی الوالد أن یقوم بها تجاه ابنه ینبغی أن تسیر فی عده خطوط:

/۱أن یتطلع الوالد الی أن یکون ابنه امتدادا له،و مجسّدا للمیزات التی تتصف بها عائلته،فالإنسان وریث حضاره قد تعب من أجلها الآخرون،و قد تراکمت التجارب البشریه حتی تحولت الی حضاره ورثها الفرد،کما ان تجاربه هو، و مکاسبه،و خبراته،قد تجمعت هی الأخری،و تراکمت عنده و تحوّلت الی قواعد سلوکیه،و قیم انسانیه،و عمرانیه،کل ذلک یتجمع عند الإنسان،و علیه أن یسلمها الی الجیل الثانی،و هذه هی مسئولیه الإنسان کما هی رغبته الفطریه،و ان رغبه الإنسان الفطریه تتلخص فی کلمه و هی:أنه یرید أن یری إذا أغمض عینیه،و رحل عن الحیاه،من یتابع مسیرته،و یجسد قیمه،و یحتفظ بخبراته و مکاسبه.

/۲ینبغی أن یکون الوالد عالما،بأن الجیل القادم سوف لا یکون بالضبط مثل جیله،بل سیکون جیلا له خبراته،و علیه مسئولیاته،و له ظروفه الخاصه،و بالتالی ینبغی أن تتوجه تربیته لابنه باتجاه بناء الجیل القادم،حسب ظروف و متغیرات و مسئولیات ذلک الجیل،لیعیش أبناؤه لمبادئهم المتطوره کما یعیشون ماضیهم التلید،و لکی لا یکون لهم بعد واحد هو تکرار الماضی،و اجترار ما فیه،بل یکون لدیهم بعد آخر هو بناء الحاضر و التطلع للمستقبل.

/۳أن یربی الإنسان أبناءه علی الارتباط بالماضی،و عدم الانفصال عنه،و أحد نتائج ذلک هو:أن الأب عند ما تقعد به السنون عن العمل،و یصبح جلیس البیت، فان ابنه لا یترکه وحده،بل یحنّ الیه،و یکون بارا به.

و هکذا فان الصفات التی تتکون عند الأبناء هی:أن یکونوا امتدادا للحضاره التلیده و حماه لها،بل یکونوا بناه لحضاره جدیده،و هذه الصفات الثلاثه تجسّدت فی

يحيى عليه السلام .

الأمر الثانى:ان القرآن الحكيم يضرب لنا أمثله مثيره،تتجسد فيها نوعيه خاصه من طبيعه ذلك الموضوع الذى يريد أن يبيّنه.

فاذا أراد أن يضرب مثلا لعلاقه الأب بابنه فانه لا يأتى أب و أى ابن،أو يضرب لنا من واقعهما مثلا كلا..فذلك لا يثير الإنسان،بل يبيّن قصّه تاريخيه، ذات نوعيه فريده و يضربها مثلا،لا لكى تبقى فى الذاكره فقط،و انما أيضا لأن ذلك المثل يبقى مثالا بارزا كالشمس لا يحتاج الإنسان للبحث عنها،و فى هذا المورد يذكر لنا القرآن قصه يوسف و والده يعقوب والده،و إذا أراد أن يضرب لنا مثلا عن تطلعات الأب تجاه ابنه،و صفات الابن تجاه هذه التطلعات فانه يضرب مثلا من قصه زكريا مع ابنه يحيى،و إذا أراد أن يضرب لنا مثلا عن علاقه الأم بابنها فانه لا يبحث عن أىّ أمّ فى العالم،و إنما يضرب المثل من قصه مريم الصدّيقه التى كانت متحرره من الدنيا،و لكن اللّه سبحانه لم يشأ لها أن تبقى هكذا متحرره فأراد أن يبتليها بالابن و هذه هى سنه الحياه.لقد شاء أن يقول لها:عليك أن تتحمّلى مسئوليتك كأم،الى جنب مسئولياتك كمربيّه،و هاديه للناس،أو متعبّده و زاهده فى المسجد،و هكذا بيّن القرآن الحكيم الحالات النفسيه،و الحالات الماديه الصعبه التى يجب أن تجتازها الأم و تبقى صامده،و هل هناك حاله أصعب من فتاه عمرها عشر سنوات،لم تتزوج،و لم تر بشرا،حملت فهجرت بيتها،و تركت أهلها الى الصحراء،فجاءها المخاض الى جذع النخله،و هى لا تعرف ما ذا تصنع؟! فلتكن هذه المرأه مثلا لكل النساء لكى لا يتهربن من مسئوليات الأمومه التى هى مسئوليه الحياه الطبيعيه،بل ينتظرن العاقبه،تلك العاقبه التى انتظرتها مريم و رأت كما رأى الناس كيف كانت حسنه و خيرا و رحمه.

الأمر الثالث:الجمع بين رساليه الإنسان و طبيعته،فلكى تكون رساليا ليس من الضرورى أن تترك طبيعتك،و مسئوليتك الاجتماعيه فى الحياه،بل يمكن أن تكون رساليا،و فى نفس الوقت أبا أو ابنا أو أما،و تحتفظ بكل المسؤوليات الاجتماعيه التى يقوم بها أى فرد عادى.

بيّنات من الآيات:

وَ آتَيْنٰاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا :

[١٢]يٰا يَحْيىٰ خُذِ الْكِتٰابَ بِقُوَّةٍ وَ آتَيْنٰاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ولد يحيى و أعطاه اللّه الرساله،و أمره بأن يجعل كل حياته،و جماع عزمه،و شدّه بأسه فى الالتزام بتبليغ هذه الرساله،فقد يأخذ الإنسان شيئا و هو غير مطمئن الى طبيعته أو نتيجته، بينما يبحث فرد آخر عن نفس الشىء،و يأخذه بقوه و هو مطمئن به،مصمّم على الدفاع عنه،و هكذا أمر اللّه يحيى بأن يأخذ الرساله،و لعلّه لذلك بقى يحيى حصورا فلم يتزوج،شأنه شأن عيسى عليه السلام بل أعطى كل حياته للرساله الالهيه،متحديا الحاله الماديه التى طغت على بنى إسرائيل ذلك اليوم و انغماسهم فى الشهوات العاجله.

و نتساءل:لما ذا أعطى اللّه يحيى الحكم صبيا؟و الجواب:- أولا:إكراما لوالده العظيم و لكى يكون آيه لبنى إسرائيل،و للناس جميعا، و لأنه جاء ليصحح مسيره الأمه بعد انحرافها،و قد استشهد فى سبيل اللّه،و كان من الطبيعى أن يكثر الطغاه الدعايات المضلّله حوله،فأعطاه اللّه آيه لصدقه.

ثانيا:لأنه منذ نعومه أظافره كان فى مستوى تلقّى الوحى،

فقد جاء فى حديث مأثور عن أبى الحسن الرضا عليه السلام :

ان الصبيان قالوا ليحيى اذهب بنا نلعب،قال:ما للعب خلقنا،فأنزل اللّه تعالى: وَ آتَيْنٰاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا . (1)

حينما طلب زكريا من اللّه سبحانه و تعالى أن يرزقه وليا فان أقصى ما كان يأمله هو أن يكون إنسانا رساليا،و لكن اللّه تفضل عليه،و فضله على الآخرين، فأعطاه ولدا يحمل مسئوليه الرساله،و جعله إماما للناس،و لمّا يزل صبيا.

و هكذا فلنعلم بأننا إذا أخلصنا لربنا،و دعوناه دعاء خفيّا،متضرعين اليه،آنئذ لا يستجيب اللّه لنا دعاءنا فقط بل و يعطينا أكثر مما كنّا نأمل.

وَ كٰانَ تَقِيًّا :

[١٣] وَ حَنٰاناً مِنْ لَدُنّٰا وَ زَكٰاةً وَ كٰانَ تَقِيًّا هذه هى الصفات النفسيه التى كانت عند يحيى:

الصفه الأولى:هى أنه كان يحنّ على الناس،إننا نجد أن أكثر الناس يعيشون لأنفسهم،و قليل أولئك الذين يعيشون للناس جميعا،بعيدين عن السجن المحيط بذواتهم،و هذه هى الصفه الاجتماعيه المثلى التى يجب أن يتحلى بها الابن،و على الوالد أن يربّى ابنه على الروح الجماعيه،فلا يقل له:لا تخرج مع أولاد الجيران لأنهم يضربونك،أو لا تدعهم يرون هذا المتاع عندك لئلا يطلبونه منك،فهذا مثل للتربيه الخاطئه،بل على العكس من ذلك إذا أعطيت لابنك درهما قل له:إذا اشتريت شيئا تقاسمه مع زملائك،فيجب أن تربى ابنك منذ نعومه أظفاره على أن يحن على الناس،و يرى نفسه مسئوله عن الآخرين.

و ينبغى أن يكون هذا الحنان فى اطار توحيد اللّه سبحانه،فقد يكون للحنان جانب سلبى،و هو أن يحن الإنسان على الآخرين فيخضع لهم،و يخرج عن حدود

١- ١) تفسير نور الثقلين ج ٣ ص ٣٢٥.

اللّه،و هذا خطأ،انما يجب عليه أن يحن عليهم،و يخضع للّه،و هكذا كان يحيى، و لعل الآيه تشير الى ذلک.

الصفه الثانيه:التقوى.و الأحاديث كثيره عن تقوى يحيى عليه السلام و كيف كان يخاف اللّه و يخشاه،يقال:بأن زكريا كان يمنع ابنه يحيى من أن يحضر مجالسه لأنه لم يكن يحتمل مواعظ والده،و لكن يحيى جاء و اختبأ تحت المنبر،فصعد زكريا و أخذ يخوف الناس نار جهنم،و إذا به يجد يحيى من تحت المنبر باكيا،و يهيم على وجهه فى الصحراء،فأخذ الناس يبحثون عنه فى كل مكان،فلم يجدوه الاّ بعد فتره جالسا على ماء،يبكى بكاء مرّا،و يناجى ربه،و يدعوه أن ينجيه من نار جهنم،و

قد ورد فى حديث شريف،عن أبى بعير قال قلت لأبى عبد اللّه عليه السلام عن قوله فى كتابه« حَنٰاناً مِنْ لَدُنّٰا »قال:

«انه كان يحيى إذ قال فى دعائه يا رب يا اللّه!ناداه اللّه من السماء لبيک يا يحيى سل حاجتک » (1)[۱۴]الصفه الثالثه:- وَ بَرًّا بِوٰالِدَيْهِ وَ لَمْ يَكُنْ جَبّٰاراً عَصِيًّا انه كان يحسن معامله والديه،و يعتنى بهما.و يبدو ان هذه الصفات الثلاث التى وردت فى الآيه و هى:الحنان،و التقوى،و البرّ،تنبع جميعا من صفه واحده و هى:العلاقه الايجابيه مع أبيه و أمه و مجتمعه.

ان الولد المشاكس يسمّيه القرآن جبارا،و الجبّار هو الذى يعيش لنفسه فقط، و حسب أهوائه،و يتصرف حسب بغضه و حبه،و يرى نفسه أعلى من الآخرين، و لكن يحيى لم يكن جبارا،و لم يكن عصيا،أى لم يكن يهدف العصيان و التمرد

۱- ۱) المصدر ص ۳۲۶.

على والديه أو على الناس.

[۱۵] وَ سَلاٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَ يَوْمَ يَمُوتُ وَ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ان من الأمور التى كان قد طلبها زكريا هى أنه قال:« وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا »، و فى هذه الآيه نرى استجابه اللّه تعالى لهذا الطلب،فقد عاش يحيى سالما،و معه السلام،فالمجتمع أحبّه،و اللّه أحبّه،و فى المستقبل-بعد موته-سوف يحبه الناس.

ان يحيى قد استشهد فى سبيل اللّه،و لكن الشهاده فى نظر الإسلام تعتبر سلاما بالنسبه إلى المؤمن،فالإنسان إذا كان يجب أن يموت و لا بد!فلتكن ميتته الشهاده، ليحصل على السلام الذى يعنى النجاه و الخير،بلى ان للإنسان ثلاثه مواقع صعبه عليه أن يمرّ بها:يوم يولد،و يَوْمَ يَمُوتُ،وَ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ،و إذا كان فى هذه الأيام الثلاثه محاطا من قبل اللّه بالسلام فانه سعيد حقا،

جاء فى حديث مأثور عن الامام الرضا عليه السلام انه قال :

إن أوحش ما يكون هذا الخلق فى ثلاث مواطن،يوم يولد و يخرج من بطن أمه فيرى الدنيا،و يوم يموت فيرى الآخره و أهلها،و يوم يبعث فيرى أحكاما لم يرها فى دار الدنيا،و قد سلّم اللّه عز و جل على يحيى فى هذه الثلاثه المواطن،و آمن روعته فقال:« وَ سَلاٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَ يَوْمَ يَمُوتُ وَ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا »و قد سلّم عيسى بن مريم على نفسه فى هذه الثلاثه المواطن فقال:« وَ السَّلاٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أَمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا » (۱)

وَ كٰانَ أَمْراً مَقْضِيًّا :

[۱۶] وَ اذْكُرْ فِي الْكِتٰابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهٰا مَكٰاناً شَرْقِيًّا تلك كانت قصه يحيى و أبيه عليهما السلام،و بعدها يبدأ ربنا سبحانه فى سرد

ص:۲۴

۱- ۱) المصدر ص ۳۲۷.

قصّه مریم و ابنها عیسی علیهما السلام حیث جلست مریم فی مکان شرقی،فی الغرفه التی بنیت فی شرق بیت المقدس،و لعلّ معنی«انتبذت»تنحت عنهم، تواضعا للّه،و جلست مکانا لا یتردد علیه أحد،کما ان اختیارها للجانب الشرقی ربما کان لأنه الأقرب الی الطهاره لشروق الشمس علیه.

[۱۷] فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجٰاباً أی جعلت حجابا بینهم و بین نفسها لکی تتفرغ لعبادتها بإخلاص دون أن یشغلها أحد،و لعل الآیه توحی بأن صلاه المرأه فی المخدع أفضل من غیره،و

جاء فی الحدیث :

«مسجد المرأه بیتها ».

فَأَرْسَلْنٰا إِلَیْهٰا رُوحَنٰا فَتَمَثَّلَ لَهٰا بَشَراً سَوِیًّا هنا ارتاعت مریم الصدیقه الطاهره(علیها السلام)فلأول مره فی حیاتها تری بشرا سویّا یأتیها،و لم تعرف لما ذا أتی؟و ما هو هدفه؟خصوصا و إنها قد احتجبت عنه،و مجرد دخوله علیها من دون إذنها کان أمرا عجیبا.

و تمثّل الروح هو ظهوره فی هیئه معیّنه،و الهیئه التی أرادها اللّه لروحه کانت علی هیئه بشر سوی،متکامل،لعله لامتحان مریم الصدیقه العذراء،باعتبار ان البشر السوی أکثر إثاره لغرائز المرأه.

[۱۸] قٰالَتْ إِنِّی أَعُوذُ بِالرَّحْمٰنِ مِنْکَ إِنْ کُنْتَ تَقِیًّا کانت شجاعه،و کانت مؤمنه،و عرفت کیف تتعامل فی الموقف الصعب، فتوجهت الی ذلک الرجل قائله:إنّی أعوذ بالرحمن منک لو کنت تقیّا،فحذّرته من

اللّه حتى يرتدع عمّا قد يريد من الفاحشه،و الاستعاذه باللّه دليل عمق الإيمان،إذ أن كثيرا من المؤمنين قد تذهلهم المفاجأه عن الركون الى ربهم فى الموقف الصعب، أما مريم فلقد استعاذت منه باللّه الرحمن،فهدفت أمرين:

تقويه ارادتها،و بعث الرعب فى قلب الطرف الآخر، ثم ذكرته بأن عمله مخالف للتقوى.

[۱۹] قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاَماً زَكِيًّا [۲۰] قَالَتْ أَنّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَ لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَ لَمْ أَكُ بَغِيًّا هنا نرى ان مريم لا تزال محتفظه بكل أعصابها أمام هذه المفاجأه و هى فى سن مبكر فأخذت تحاور الملك،و تقول:إنّى لست متزوجه،كما أنّى لست باغيه، فكيف أرزق ولدا! [۲۱] قَالَ كَذٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ لأن اللّه قال:بأن ذلك عمل هيّن بالنسبه إليه،و هدفه من ذلك هو أن يكون هذا الوليد آيه له على خلقه،و يبدو أن الملك العظيم حمّلها مسئوليه بهذا القول،إذ بين لنا أن عليها أن تتحمل صعوبه الحمل و الولاده،و تهم الناس و ما أشبه من أجل هدايه الناس،لأن وليدها سوف يصبح آيه للّه على الناس.

وَ لِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنّاسِ وَ رَحْمَةً مِنّا بالاضافه الى ذلك فهو رحمه للناس،علمه رحمه،و رسالته رحمه،و اعماله رحمه،و لعل الملك العظيم هدّأ خاطرها بهذه الكلمه،فإن آيات اللّه قد تكون من نوع آخر،بينما وليدها المنتظر سيكون رحمه للناس و لها أيضا.

وَ كَانَ أَمْراً مَقْضِيًّا و انتهى جبرائيل الملك الذى تمثل لمريم فى صوره بشر سوىّ من الاجابه على تساؤلات مريم،و قال:إن ذلك أمر من اللّه،أما كيف يحدث هذا؟و لما ذا يحدث؟ هذا أمر قد قضاه اللّه سبحانه و تعالى و قدّره.

[سوره مريم (١٩): الآيات ٢٢ الى ٣٣]

اشاره

فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكاناً قَصِيًّا (٢٢) فَأَجاءَهَا اَلْمَخاضُ إِلى جِذْعِ اَلنَّخْلَهِ قالَتْ يا لَيْتَنِی مِتُّ قَبْلَ هٰذا وَ كُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا (٢٣) فَناداها مِنْ تَحْتِها أَلاّ تَحْزَنِی قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢۴) وَ هُزِّی إِلَيْكِ بِجِذْعِ اَلنَّخْلَهِ تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا (٢۵) فَكُلِی وَ اِشْرَبِی وَ قَرِّی عَيْناً فَإِمّا تَرَيِنَّ مِنَ اَلْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِی إِنِّی نَذَرْتُ لِلرَّحْمٰنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ اَلْيَوْمَ إِنْسِيًّا (٢۶) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَها تَحْمِلُهُ قالُوا يا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا (٢٧) يا أُخْتَ هارُونَ ما كانَ أَبُوكِ اِمْرَأَ سَوْءٍ وَ ما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشارَتْ إِلَيْهِ قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِی اَلْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قالَ إِنِّی عَبْدُ اَللّٰهِ آتانِیَ اَلْكِتابَ وَ جَعَلَنِی نَبِيًّا (٣٠) وَ جَعَلَنِی مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ وَ أَوْصانِی بِالصَّلاهِ وَ اَلزَّكاهِ ما دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَ بَرًّا بِوالِدَتِی وَ لَمْ يَجْعَلْنِی جَبّاراً شَقِيًّا (٣٢) وَ اَلسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أَمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣)

اللغه

٢٢[قصيّا]:القصى البعيد،و القاصى خلاف الدانی.

٢۵[جنيّا]:الجنی بمعنی المجنی من جنی الثمر إذا قطعتها.

٢٧[فريّا]:عظيما.

ص:٢٨

یا لَیْتَنِی مِتُّ قَبْلَ هٰذٰا

هدی من الآیات:

تحدثنا فی الدرسین الماضیین للسوره عن العلاقه بین الإنسان و بین والده أو والدته،و انّه یجب أن یکون فی إطار التقوی،ذلک ان المحور الأساسی فی حیاه البشر ینبغی أن یکون العبودیه المطلقه للّه سبحانه.

و لکن یطرح هذا السؤال:لما ذا ینبغی أن تکون علاقتنا بأبنائنا،بل کل علاقاتنا فی إطار التقوی و عبودیه اللّه؟ و الجواب:

أولا:ان سنّه الحیاه و طبیعتها هی:ان کل شیء من اللّه والی اللّه: إِنّٰا لِلّٰهِ وَ إِنّٰا إِلَیْهِ رٰاجِعُونَ بمعنی أن الحیاه الطبیعیه و الفطریه قائمه بالعبودیه المطلقه للّه، إذن یجب أن تکون علاقاتنا انعکاسا للحیاه الطبیعیه الموجوده فی الکون.

من الذی و هب لی ابنا؟

و من الـذى قدّر لهذا الابن أن ينمو؟ و من الذى يسـبغ هذه النعم ان شاء،أو يمنعها ان شاء؟أو ليس اللّه؟! ثانيا:حينما تسوأ علاقتنا بأبنائنا بسبب ظلمهم،تبقى علاقتنا باللّه سليمه، و إذا اعتمدنا على التقوى آنئذ لا نجد ركنا نلتجئ اليه سوى اللّه.

و نستوحى من هذه الآيات أيضا معنى الفرج بعد الكرب،و بالذات فى بناء الأسره الأصعب من كل بناء،الزواج هو تحمّل مسئوليه الحيـاه بكل أبعادها، فالزواج و الولوج فى امتحانات عسـيره،و متعـدده الجوانب،و من دون ثقه كامله بنصـر اللّه قـد تتهاوى اراده الإنسان و تخور عزائمه،و لهذا يضرب القرآن هنا مثلا للفرج بعد الكرب الذى أصاب مريم.

بينّات من الآيات:

المخاض الصعب:

[٢٢] فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيًّا حينما أرادت مريم أن تتزهّد لتعبد اللّه،انتبذت مكانا شـرقيّا،قريبا،فى بيت المقدس فى غرفه فيه،و اتخذت من دونهم حجابا،و أخذت تتبتل الى ربها،و لكنها بعد الحمل انتبذت مكانا قصـيّا،أضف الى ذلك أن الحمل كان صعبا و مجهدا،لأنها لم ترد(عليها السلام)أن يظهر ذلك للناس،لذلك ابتعدت عنهم.

[٢٣] فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلىٰ جِذْعِ النَّخْلَهِ كم طالت الفتره بين حمل مريم و بين مخاضها؟هناك أحاديث عديده:بعضها يقول:سته أشهر و هو الحديث الأقوى،و بعضها يقول تسع ساعات،لأنها حملت فى

بـدايه النهار،و فرغت من حملها فی نهايته،و بعضـهم يقول ساعتين-اللّه أعلم-و انما نحن مع هذه الآيه التی تصور لنا حاله صـعبه كانت تعيشـها مريم عليه السـلام بحيث ان المخاض يجبرها علی أن تلتجئ الی جـذع النخله،فحينما جاءها المخاض،لم تجد دارا أو بيتا تلتجئ اليه،و انما وجدت شيئا واحدا و هو جذع نخله.

قَالَتْ يَا لَيْتَنِی مِتُّ قَبْلَ هَذَا فتاه عـذراء،تركت الـدنيا و لم تر مسـئوليات الحيـاه،-سواء كـانت مسـئوليات الـبيت أو مسـئوليات المجتمع-لأنهـا كـانت متعبـده،و متحرره من علاقـات الـدنيا، و يأتيها المخاض،و هـذه أول تجربه لها فی الحياه،فلم تعرف كيف تتصـرف تجاهها، كما انها كانت وحيـده فی الصـحراء،و لم تجـد من يمـد لها يد العون!آنئذ شـعرت بمشـقه بالغه و كرب عظيم فقالت:

وَ كُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا و الإنسـان يريـد الحياه و ما فيها من علاقات ليشاع له الـذكر الطيّب بين الناس، و لـذلک يتحمل الإنسان كل الصـعوبات،فهو يخوض الحرب مثلا،و يعرض نفسه للموت من أجل أن يقال:ان فلان بطل شـجاع،و لكن مريم تناست حتی هذه الرغبه فی ذاتها،و تمنت لو انها كانت نسيا منسيا.

و النسـی المنسـی،هو الذی نسی و نسی أنه قد نسی،فصار و كأنه لم يكن أبدا، فقد ينسی الإنسان شيئا،و لكنه يتذكر أنه قد نسی شيئا،فيفكر حتی يتذكر، أما ان تنسـی و تنسی انک قد نسيت،فهذا هو النسی المنسی،و كأن مريم(عليها السلام)تمنت لو نسيت و لم يبق لها أی أثر يذكر.

ص:۳۲

الخلف الطيّب:

[۲۴] فَنادٰاهٰا مِنْ تَحْتِهٰا اختلف المفسرون فيمن ناداها؟اهل كان جبرائيل باعتبار ان مريم كانت واقفه على ربوه و جبرائيل كان واقفا تحت الربوه،لذلک كان هو المنادى،أو كان عيسى،و أتصوّر أن المنادى هو عيسى الوليد الجديد،و هذا ينسجم مع سياق الحديث القرآنى،بينما جبرائيل لم يكن اسمه مذكورا فى سياق هذه الآيات.

أَلاّ تَحْزَنِی قَدْ جَعَلَ رَبُّکِ تَحْتَکِ سَرِیًّا يبدو أن مريم حينما حملت فكرت فى ما بعد الحمل..ما ذا سيحدث؟ما ذا سيقول عنها الناس؟و حينما وضعت تركزت هذه الفكره فى ذهنها فاحتارت ما ذا تفعل؟و الى أين تذهب؟لذلک فان أول كلمه قالها عيسى لها هى:ألا تحزنى -أى لا تحملى هموم المستقبل-و هكذا يجب أن تكون المرأه بالنسبه الى مسئوليات الحياه الزوجيه،فبعض النساء يقلقن من شؤون الحياه،و يفكرن كثيرا فى مستقبل الطفل،و هذه الأفكار غير صحيحه،لأن الذى خلق هذا الطفل،و قدّر للمرأه أن تكون أمّا سوف يعينها عليه،و علينا أن نعيش لحظتنا،بالرغم من ضروره التخطيط للمستقبل،إلاّ أن التخطيط عمل الفكر بينما الهم عمل القلب،و ليس من الصحيح أن نتحمل هذه اللحظه خوف همّ المستقبل،و حزن الماضى،فتصبح الحياه فيها جحيما،و يبدو من السياق ان كلمه السرىّ أقرب الى مفهوم النهر الرافد،إذ أنه عليه السلام أشار إليها بوجود نهر فى أسفل الربوه،هذا من جهه و من جهه ثانيه فقد أشار إليها ما ذا تطعم و قال:

[۲۵] وَ هُزِّی إِلَیْکِ بِجِذْعِ النَّخْلَهِ تُسٰاقِطْ عَلَیْکِ رُطَباً جَنِیًّا

۱-فی الأحادیث أن مریم رفعت رأسها الی السماء-و قالت یا إلهی فی الأیام العادیه التی کنت فیها شابه،و لا أعانی فیها مرض و لا ألم،کان الطعام ینزل علیّ من السماء بدون صعوبه،و الآن فی هذه الحاله علیّ أن أهز جذع النخله حتی تتساقط علیّ رطبا جنیا؟!لما ذا؟!فجاءها الوحی أو قال لها عیسی-لا أعلم بالضبط-انه فی ذلک الیوم کانت علاقتک فقط بی و ما کنتی تعرفین إلاّ اللّه،أما الآن فقد توزعت علاقتک بین اللّه و ابنک،و لذلک لا بدّ أن تهزی جذع النخله.

۲-و هناک تفسیر آخر لهذه الآیه و هو:أنّ علی الإنسان أن یتحمل صعوبات الحیاه،و من دون التعب لا یحصل الإنسان علی شیء،فقسم من التعب علیک، و القسم الآخر اللّه سبحانه هو الذی یدبره و یقدره.

تُساقِطْ عَلَیْکِ رُطَباً جَنِیًّا فی الأحادیث(إن أفضل ما تطعم النفساء من الأطعمه الرطب)لأن الرطب یحتوی علی کل المواد التی یحتاجها الجسم،و بنسبه احتیاج الجسم،یقول بعض العلماء ان فی التمر ۱۳ ماده حیاتیه و خمسه أنواع من الفیتامین،لهذا تطعم المرأه الواضع فی بعض الدول التمر لمدّه أربعین یوما.

[۲۶] فَکُلِی وَ اشْرَبِی وَ قَرِّی عَیْناً لا تفکری بهذا الولد کیف یصبح فی المستقبل؟ انه سوف یصبح قره عین لک.

فَإِمّا تَرَیِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِی إِنِّی نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً فَلَنْ أُکَلِّمَ الْیَوْمَ إِنْسِیًّا لقد بدأت مساعده عیسی لوالدته من تلک اللحظات الأولی،و السبب هو ان

عیسی کان معجزه فی الحیاه،أما فی سائر الحالات الطبیعیه،فان علی الولد أن یساعد أمه متی کبر و اشتدّ عوده،و یجب أن تفکر الأم و هی تخوض غمرات الحیاه الصعبه أن مستقبلها سیکون مضمونا بسبب هذا الولد،و ان بعد العسر یأتی الیسر، و العبره التی نستلهمها هی:ان الصیام فی الشرائع السابقه کان مقرونا بعدم التکلم،فعیسی أشار لمریم بأن تقول للناس:اننی صائمه من دون أن تقول کلاما، لأنها إذا تکلمت بطل صومها،و بالرغم من انّ هذا النوع من الصوم قد نسخ فی شریعه النبی محمد(صلی اللّه علیه و آله)الاّ ان بعض ایجابیاته لا تزال باقیه حیث

جاء فی روایه مأثوره عن الامام الصادق علیه السلام :

ان الصوم لیس من الطعام و الشراب وحده،ان مریم قالت:« إِنِّی نَذَرْتُ لِلرَّحْمٰنِ صَوْماً »-أی صمتا-فاحفظوا ألسنتکم،و غضوا أبصارکم،و لا تحاسدوا و لا تنازعوا (۱)و انما تستعمل الاشاره بدلیل الآیات التالیه التی تفید بأن مریم أشارت بیدها الی ولدها لیعلم القوم انها لا تتکلّم.

التهمه المفتراه:

[۲۷] فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهٰا تَحْمِلُهُ امرأه عذراء،غیر متزوجه،صغیره السن،تحمل ولدا رضیعا!! قٰالُوا یٰا مَرْیَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَیْئاً فَرِیًّا أی عظیما عجیبا.

۱- ۱) وسائل الشیعه ج ۷ ص ۳۹۰.

و يبدو أنّهم فى البدايه لم يتهموها بالفاحشه،و لكنّهم شيئا فشيئا اتهموها بها بصوره غير مباشره:

[۲۸] يٰا أُخْتَ هٰارُونَ مٰا كٰانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَ مٰا كٰانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا لقـد ذكّروها بأنها أخت هارون،و الواقع ان مريم لم تكن أختا لهـارون،و انمـا كـانت من عائله زكيه طاهره نقيه يقف فى رأسـها هارون أخو موسـى(عليه الصـلاه و السـلام)و من المعروف انه حينما كانوا يريـدون أن ينسـبوا أحـدا الى عائله كانوا ينسـبونه الى عشـيرته،و لأن هارون كان مشـهورا بالتقوى و الطهاره،لذلك قالوا لمريم:

«يا أخت هارون»و هذا الأسـلوب معروفا أيضا فى اللغه العربيه،حيث ان العرب حينما كانوا يريدون أن ينسـبوا شخصا الى عشيرته يقولون له:يا أخا فلان.

قالوا لها:نحن نعرف أباك،فلم يكن سـيء الخلق،و أمك لم تكن بغيّا،فمن أين هذا الطفل؟!و من هذه الآيه نسـتطيع أن نستوحى مـدى تـأثير الوراثه و التربيه فى حيـاه الإنسـان،لأـنهم عرفوا ان العـائله الزكيه يجب أن تخرج منها امرأه زكيه، و العكس صـحيح غالبا،فمن عائله غير شريفه لا يستبعد أن تخرج منها امرأه غير شريفه.

[۲۹] فَأَشٰارَتْ إِلَيْهِ قٰالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كٰانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا كيف نكلم من لم يزل فى المهد طفلا؟!فظنّوا ان مريم انما تسـتهزئ بهم، و لكن لم يلبث عيسى أن نطق بكلام فصيح،و بيّن:

أولا:ثلاث صفات أساسيه لنفسه:عبوديته للّه-و هى أصل كل خير-و انه يحمل كتابا،و هو نبى.

ثانيا:ثلاث قيم لرسالته و دعوته:(البركه،و الصلاه،و الزكاه).

ثالثا:ثلاث سمات،لسلوكه و أخلاقه(وَ بَرًّا بِوالِدَتِی،وَ لَمْ یَجْعَلْنِی جَبّاراً، شَقِیًّا) رابعا:ثلاث نتائج له و لمن یتبعه(وَ السَّلامُ عَلَیَّ یَوْمَ وُلِدْتُ،وَ یَوْمَ أَمُوتُ،وَ یَوْمَ أُبْعَثُ حَیًّا).

من هو عیسی بن مریم:

[۳۰]قالَ إِنِّی عَبْدُ اللّهِ آتانِیَ الْکِتابَ وَ جَعَلَنِی نَبِیًّا ولد عیسی بن مریم(علیه السلام)و هو یحمل الصفات المثلی،و بالتالی کان قدوه لنا،و انما نلقی علی هذه الآیه الضوء لکی نقتدی بما یمکن أن نقتدی به من، صفاته(علیه السلام)،فما هی تلک الصفات؟فی البدایه قال:إنّی عبد اللّه لیؤکد صفه العبودیه فی نفسه،و بالتالی ینسف قاعده عباده البشر،تلک القاعده التی کانت من الممکن أن تترسخ فی ذهنیه بنی إسرائیل بسبب الولاده المعجزه أولا، و تکلّمه فی المهد ثانیا،و معرفته بالکتاب صبیّا ثالثا.

و قد یتساءل البعض کیف نقتدی بعیسی(علیه السلام)فی هذه الصفات، و هل علی الأم مثلا أن تبحث عن رساله لابنها حتی یصبح نبیا؟الجواب:کلاّ..

ان ذلک لیس مهمه الأم،و لکن علی الأم أن تربی ابنها لکی یصبح مبلّغا،داعیا الی اللّه مثلما کانت امرأه عمران،عند ما نذرت ما فی بطنها محررا،فلما ذا لا تفکّر کل امرأه حامل منذ البدء أن تجعل ابنها محررا عاملا فی سبیل اللّه؟! ان المرأه إذا فکرت منذ البدء أن یکون ابنها الذی لا یزال فی رحمها عاملا فی سبیل اللّه،و داعیا الی الحق،فان اللّه سبحانه و تعالی یبارک لها فی هذا الولد.

قالوا لأم الشیخ الأنصاری(و هو أحد کبار علمائنا الزاهدین):ان ابنک قد

أصبح مرجعا دينيا كبيرا!!فلم تتعجب و قالت:لقد كنت أتوقع ذلك،فقالوا لها:

كيف؟فقالت:لأنی لم أكن أرضعه إلا و أنا علی وضوء،حتی أنه فی منتصف اللیل عند ما كان یستیقظ طالبا الحلیب،كنت أنهض من الفراش لأتوضأ ثم ألقمه ثدیی.

ان هذه الأم كانت منذ البدایه تنشد لابنها ذلك المقام الأسمی، فأعطاها اللّه ما طلبت بفضله.

رسالته؟

[۳۱] وَ جَعَلَنِی مُبٰارَكاً أَیْنَ مٰا كُنْتُ لقد كان عیسی یشع بالخیر،و یتفجر المعروف من جوانبه كما العین المعطاء.

و هكـذا یجب أن یربی الإنسان أولاده علی حب الخیر،و العمل للآخرین و ان یكونوا أبدا مركز الحب و ینبوع البركه،أینما حلوا حلت معهم البركه.

و اننا نقرأ

فی التاریـخ ان فـاطمه الزهراء علیهاالسـلام وقفت فی محرابهـا ذات لیله تصـلی و تـدعو حتی مطلع الفجر فـدعت اللّه لكلّ الناس باستثناء نفسها و أولادها،و كان ابنها الحسین علیه السلام و هو صبی الی جنبها فقال لها:

«یا أماه دعوت لكل الناس ما عـدانا؟قالت:نعم یا بنی..الجار ثم الـدار » انظروا الی تربیه فاطمه الزهراء علیهاالسـلام لابنها،انها منذ البـدء ربّت أبناءهـا علی حب الآـخرین،و فعـل الخیر الی النـاس جمیعا،و هكـذا كان عیسـی علیه السـلام مباركا،أینما كان،یفعل الخیر،و یدعو الیه.

وَ أَوْصٰانِی بِالصَّلاٰهِ وَ الزَّكٰاهِ مٰا دُمْتُ حَیًّا

و الصلاه و الزکاه هما أسمی رکیزتین بعد عباده اللّه وحده و توحیده،و قد استدل عیسی علی صدق رسالته بهاتین الرکیزتین،حیث ان اقامه الصلاه و إیتاء الزّکاه فریضتان معروفتان.

أخلاقه؟

[۳۲] وَ بَرًّا بِوٰالِدَتِی وَ لَمْ یَجْعَلْنِی جَبّٰاراً شَقِیًّا الجبار هو الذی لا یری لأحد حقا علیه،بینما یفرض علی الناس حقوقه،أما الشقی فهو الذی یسبب لنفسه البلاء،و الصفات الثلاث التی هی سلوک النبی عیسی(علیه السلام)تعود فی الواقع الی جذر واحد،و هو الخروج عن شح الذات الی أفق الحق،و العیش للناس و لیس للذات،و جعل الحق و لیس النفس و اهوائها محورا.

و إنّ فی هذه الآیه تأکید علی دور الأم و ضروره البر بها،و قد وصّی أنبیاء اللّه جمیعا بها خیرا،و البرّ بها دلیل الایمان و وسیله الزلفی الی اللّه،و قد أکد الإسلام علی دورها،و ضروره البر بها،

فهذا النبی محمد(صلی اللّه علیه و آله)یسأله رجل:

«من أحق الناس علیّ؟قال:أمک،قال:ثم من؟قال:أمک،قال:ثم من؟قال:أباک » (۱)

و مره جاءت أم سلمه الی رسول اللّه تشکو الیه حاله بنات جنسها و تقول:ان کل الفخر للرجال،فیقول لها الرسول صلی الله علیه و آله :

«بلی..إذا حملت المرأه کانت بمنزله الصائم،القائم،المجاهد بنفسه و ماله فی سبیل اللّه،فاذا وضعت کان لها من الأجر ما لا یدری أحد ما هو لعظمه،فاذا

۱- ۱) وسائل الشیعه ج ۱۵ ص ۲۷۰.

أرضعت كان لها بكل مصه تعدل محرر من ولد إسماعيل،فاذا فرغت من رضاعه ضرب ملك كريم على جنبها و قال:استأنفى العمل فقد غفر لك » (۱)[۳۳] وَ السَّلاٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أَمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا فحقيقه السعاده أو الشقاء تتجسد منذ لحظه الولاده.

و إنّه بعد ما وضح عيسى(عليه السلام)أهداف و محتوى رسالته المبدئيه،أراد ان يكمل هذه الاهداف بتوضيح الإطار الاجتماعى لرسالته،بأنه لم يرسل جبارا، فيعثى فى الأرض فسادا،بل أرسل رحمه الى الناس و سلاما،يحمل السلام إليهم منذ لحظه ولادته،الى لحظه بعثه للحياه مره اخرى.

و كلمه اخيره:ان هذا الدرس يلخّص قيم الرساله فيما يرتبط بدور الام، و كيفيه تربيتها لوليدها.

و ان وراء كل قصه فى القرآن قيمه حضاريه.

ص:۴۰

۱- ۱) جامع السعادات ج ۲ ص ۲۶۱.

[سوره مریم (۱۹): الآیات ۳۴ الی ۴۰]

اشاره

ذٰلِکَ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِی فِیهِ یَمْتَرُونَ (۳۴) مٰا کٰانَ لِلّٰهِ أَنْ یَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحٰانَهُ إِذٰا قَضیٰ أَمْراً فَإِنَّمٰا یَقُولُ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ (۳۵) وَ إِنَّ اللّٰهَ رَبِّی وَ رَبُّکُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذٰا صِرٰاطٌ مُسْتَقِیمٌ (۳۶) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزٰابُ مِنْ بَیْنِهِمْ فَوَیْلٌ لِلَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ یَوْمٍ عَظِیمٍ (۳۷) أَسْمِعْ بِهِمْ وَ أَبْصِرْ یَوْمَ یَأْتُونَنٰا لٰکِنِ الظّٰالِمُونَ الْیَوْمَ فِی ضَلاٰلٍ مُبِینٍ (۳۸) وَ أَنْذِرْهُمْ یَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِیَ الْأَمْرُ وَ هُمْ فِی غَفْلَةٍ وَ هُمْ لاٰ یُؤْمِنُونَ (۳۹) إِنّٰا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَ مَنْ عَلَیْهٰا وَ إِلَیْنٰا یُرْجَعُونَ (۴۰)

ص:۴۱

لما ذا الامتراء و كيف نزيله؟

هدى من الآيات:

كنا مع عيسى(عليه السلام)و قد بشّر برسالته صبيا،و أمر الناس بأن يعبدوا ربهم.

و القرآن الحكيم يوقفنا هنا ليبيّن لنا حقيقه هامه و هى:إنّ الخلاف العقائدى الذى انتشر حول عيسى(عليه السلام)،إنما كان بسبب عدم معرفه اللّه،و الجهل بصفاته و أسماءه و بقدراته الواسعه المطلقه،و بكيفيه خلقه للأشياء،و إن هذا الخلاف ينبع من ضعف الايمان بالآخره.

أن خلق اللّه للكون إنما هو خلق أرادى إذ يقول للشيء:كن،فيكون دون أدنى تأخير،لذلك فربنا تعالى لا يحتاج الى أن يتخذ ولدا أو معينا يرثه،بل هو الذى يرث ما فى السموات و ما فى الأرض جميعا،و الذين قاسوا ربهم بأنفسهم لم يعرضوا الفرق الشاسع بين طبيعه المخلوق و صفات الخالق،لذلك قالوا:عيسى ابن اللّه.

ص:۴۲

و الایمان بالآخره یسقط الخلافات الدینیه،لأن قسما کبیرا من هذه الخلافات نابع من الأهواء و الشهوات،و من عدم تحمل مسئولیه العلم،و من إن الذین کلّفوا ببیان العلم اختاروا شهواتهم علی دینهم فباعوا علمهم ببضع دراهم معدوده.

فالقرآن الحکیم یذکر الناس بیوم القیامه أبدا لیبیّن إن هذه الخلافات تتبخر إذا کان الایمان بالمعاد إیمانا راسخا،ذلک أن الإنسان یختلف مع الآخرین فی الدین حینما لا یتخذ الدین محورا لحیاته،بل تکون أهواؤه و شهواته هی المحور أما لو اتخذ الدین محورا بحث عنه بجد و فکّر بموضوعیه.فإنّ اللّه سیؤیده لمعرفه الحقائق بسهوله.

بینات من الآیات:

کن فیکون:

[۳۴] ذٰلِکَ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِی فِیهِ یَمْتَرُونَ أی إن هذه القصه التی نقلها القرآن الحکیم عن عیسی کانت قول الحق الذی لا ریب فیه،أما الناس فإنهم یمترون و یجادلون فیه لعدم معرفتهم باللّه و بالبعث.

و یوضح القرآن ذلک فیما یلی من الآیات:

[۳۵] مٰا کٰانَ لِلّٰهِ أَنْ یَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحٰانَهُ إن من الصفات الألوهیه صفه القدره و الهیمنه و الخلق،فکیف یتخذ الخالق من مخلوقیه ولدا له؟! الولد واحد من إثنین:أما أن یکون ولدا بالتبنّی أو بالولاده،فالولد بالتبنّی إنما یکشف عن حاجه الأب الی ذلک الولد،و اللّه سبحانه أسمی من أن یتخذ ولدا بالتبنّی لأنه قادر لا یحتاج إلی شیء.

ص:۴۳

أما لو افترضنا أن الولد بالولاده فهناك نظريه فلسفيه معقده تقول بأن الكون قد خرج من اللّه كما تخرج أشعه الشمس من القرص،و كما تخرج الأوهام من القلب،و كما يصدر الماء الرافد من النبع-فسبحان اللّه!-إن هذا إلاّ قول جاهلى بعيد عن صفه الألوهيه و الربوبيه و تناقض فى ذات الوقت،إن طريقه خلقه سبحانه للأشياء هى مجرد الاراده و المشيئه،فقد خلق اللّه المشيئه ثم خلق الأشياء بالمشيئه..

يقول: كُنْ فَيَكُونُ و ليس لفظه(كن)تعنى التلفظ بها،و إنما هى مجرد الاراده.

و ليس خلقه للأشياء عن طريق الممارسه و المعالجه،حتى يخرج شىء من شىء فيسمى بالولاده و إنما عن طريق الأمر و الإبداع،إذن فنسبه الأولاد إلى اللّه خطأ، و إذا صحت هذه الفكره فلا بد أن تصح فى الكون كله فنقول بأن السماوات و الأرضين و ما فيهما أولاد للّه،لأنها كلها خرجت من اللّه-سبحانه-حسب هذا القول الجاهلى،و هذا قول متناقض فى ذاته فكيف يكون المخلوق خالقا؟! حينما يلد شىء من شىء فلا بد أن يكون الوليد من جنس الوالد و مما لا جدال فيه أن الابن فيه كل الصفات الموجوده فى والده،و ليس فى مجال البشريه فقط و إنما كل شىء،فأشعه الشمس صفاتها نفس صفات الشمس،و الماء الذى يخرج من النبع صفاته نفس صفات النبع..و هكذا فلا بد أن تكون الأشياء المخلوقه فى الكون تحمل صفات الخالق..(صفه الحياه..الخلود..الثبات و عدم التغيّر)و هذه الصفات غير موجوده فى الخلق و إنما هى صفات منحصره فى الخالق فقط.و لو افترضنا وجودها فى المخلوق إذا لما كانت هنالك حاجه الى الخالق! و أساسا فان هذه الفكره متناقضه يرفضها العقل،و اللّه سبحانه ينسف هاتين الفكرتين معا فى آيه واحده حينما يقول:

«مٰا كٰانَ لِلّٰهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحٰانَهُ » و لما ذا يتخذ اللّه ولدا؟إن ذلك ليس من صفات الألوهيه،فاللّه سبحانه غنى عن

كل شيء،و غير محتاج الى شيء،فما حاجته الى أن يتخذ من بين مخلوقاته ولدا؟! و من جهه ثانيه ان خروج الولد من اللّه لا بد أن يكون عن طريق التناسل أو الانقسام و هذا غير وارد لأن اللّه سبحانه غير مركّب من أجزاء و إلا أفتقد صفه الكمال المطلق التى تشهد له بها كل ذره من ذرأت هذا الكون.

إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ إنّ اللّه خلق الكون بهذه الطريقه أنه يقضى أمرا فيقول له:كن فيكون،و ليست خلقته بصدور شيء عنه أو ولادته منه سبحانه. (۱)

[۳۶]أما رساله عيسى فلم تكن رساله تدعو الناس الى عبادته،و إنما تدعوهم الى عباده اللّه وحده،و كيف يدعو الإله الى عباده غيره لو كان عيسى إلها-حاشا للّه-؟!

الصراط المستقيم:

وَ إِنَّ اللّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ هناك تساؤل:ما هى العلاقه بين الجملتين فى هذه الآيه الجمله الأولى التى تقول وَ إِنَّ اللّهَ رَبِّى وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ و الجمله الثانيه التى تقول: هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ؟ إن العلاقه هى علاقه العمل بالفكر،و بالتالى علاقه الحياه الدنيا بالآخره،إن إيمانك باللّه و عبوديتك المطلقه له هما اللذان يرسمان خريطه مسيرتك فى الحياه و يعطيانك الضوء الكافى لتحرككك نحو اللّه، هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ فاذا عبدت

۱- ۱) عالج المؤلف هذا البحث بتفصيل فى كتاب«العرفان الإسلامى».

اللّه وحده فسوف ترسم لنفسک الصراط المستقیم الذی یؤدی بک الی اللّه،أما إذا لم تعبد ربک فان حیاتک سوف تکون منحرفه،و لا یمکنک أن تصل الی أهدافک،و هذه هی العلاقه بین الجملتین.

بالرغم من إن هذه کانت رساله عیسی الی قومه إلاّ أنّ قومه اختلفوا فیه اختلافا واسعا حتی أن قسطنطین إمبراطور الروم جمع ألفین و مائه و سبعین من الأساقفه فی مجمع کبیر و طرح علیهم سؤالا-خلاصته:من هو عیسی؟ فاختلفوا بینهم الی عشرات الآراء،بعضهم قال:إن عیسی هو اللّه نزل الی الأرض،ثم رجع الی السماء و بعضهم قال:إن عیسی إنما هو ابن اللّه و لنا إلهان هما:الأب و الابن،و بعضهم قال:إنه واحد من ثلاثه الأب و الابن و روح القدس، و بعضهم قال:هو جزءان:جزء إلهی و جزء بشری،و بعض قال:إنه عبد اللّه..

و هکذا،و لم یتفق منهم سوی ثلاثمائه و نیّف اجتمعوا علی رأی واحد.فاعتبره الامبراطور الرأی الحائز علی الأکثریه النسبیّه(حوالی سدس الآراء فقط)و جعله الرأی السائد الذی لا یزال أقوی النظریات الشائعه الیوم بینهم.

و فی الحقیقه إن هؤلاء اختلفوا فی عیسی هذا الاختلاف الشاسع،بالرغم من إن القضیه کانت واضحه جدا[فالذی خلق الکون هو الذی خلق عیسی و طریقه خلقه لعیسی هی نفس طریقه خلقه للکون کُنْ فَیَکُونُ]و هذه الآیه تشیر الی الاختلاف بالرغم من أنها لا توضح أسبابه.

الحزبیه طریق الضلاله:

[۳۷] فَاخْتَلَفَ الْأَحْزٰابُ مِنْ بَیْنِهِمْ الناس العادیّون کانوا علی الفطره،ثم بعد ذلک ظهرت بینهم أحزاب مختلفه

و لم يكن هدف تلك الأحزاب(الحقيقه)إنما كان هدفهم شيئا آخر و هو(أنفسهم أو طائفتهم)و لعله-لذلك ينسب القرآن الاختلافات الى التحزب.

فى البدايه ينشأ التحزب ثم يتبعه الاختلاف،فلكى أجمع أنا مجموعه من الناس حولى و لكى يجمع منافسى مجموعه أخرى من الناس حوله،فلا بد أن نخلق نوعا من الاختلاف بيننا حتى أكون أنا شيئا و هو شيئا آخر،و خيال البشر يستطيع أن يكشف أبدا بعض الفروقات،و أن يخلق بعض الأمور الخلافيه،لأن الخلاف ليس أصلا إنما هو فرع للمتحور الذاتى.و لكن تتبخر هذه الخلافات التحزبيه المصطنعه فى يوم القيامه.

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ يذكرنا القرآن بأن هذا الخلاف لم يكن خلافا دينيا،و لم يكن من أجل اللّه، إنما كان من أجل شهواتهم و أهوائهم بدليل وصفهم بالكفر، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا و عباره مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ تشير الى موقفهم يوم القيامه.

[٣٨] أَسْمِعْ بِهِمْ وَ أَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنٰا لو تراهم و لو تسمعهم فى ذلك اليوم الذى يأتون فيه الى اللّه سبحانه لاكتشفت بأن الظالمين فى هذه الدنيا كانوا فى ضلال مبين،فبدل أن يبحثوا عن طريقه لانقاذ أنفسهم من نار جهنم،و من أهوال يوم القيامه،فإنهم أخذوا يبحثون عن الدنيا و عن بعض الشهوات البسيطه و الأنانيات و الخلقيات الضيقه.

أَسْمِعْ بِهِمْ وَ أَبْصِرْ أى ليكن سمعك و بصرك متوجها إلى هؤلاء فى ذلك اليوم حتى ترى و تسمع واقعهم و هم يقفون خائفين مرتجفين فى المشهد العظيم أمام اللّه سبحانه و تعالى.

ص:٤٧

لکِنِ الظّالِمُونَ الْیَوْمَ فِی ضَلالٍ مُبِینٍ إن الظالمین الیوم فی ضـلال ظاهر یمنعهم عن إحساسهم بذلک عدم تصورهم للمصیر و لو تصوروه لما اختلفوا،بل اتخذوا الدین مقیاسا لهم،و لتحاکموا إلیه بدل أن یختلفوا فیه.

[۳۹] وَ أَنْذِرْهُمْ یَوْمَ الْحَسْرَهِ إِذْ قُضِیَ الْأَمْرُ أعمالهم-أفکارهم-طاقاتهم تذهب سدی،و یبقی لدیهم شیء واحد یکون زادهم الی القیامه،و هو الحسره و الندامه،لأنه فی ذلک الیوم لا یجدون طریقه للعوده و لا یجدون فرصه أخری لتصحیح مسیرتهم و إصلاح ما أفسدوه من أنفسهم.

وَ هُمْ فِی غَفْلَهٍ وَ هُمْ لاٰ یُؤْمِنُونَ لکن الناس الیوم فی غفله عن ذلک الیوم،و هم لا یؤمنون،و عند ما یزعمون أنهم مؤمنون فإنهم یکذبون لأنهم لو کانوا کذلک لما اختلفوا،و لما تحزّبوا،بل اعتصموا جمیعا بحبل اللّه.

فی الحدیث الشریف، أنه یؤتی یوم القیامه بکبش أملح فیوضع بین أهل الجنه و أهل النار،بعد أن یستقر أصحاب الجنه فی نعیمهم و أصحاب النار فی جحیمهم، فینادی المنادی یا أهل الجنه هل تعرفون هذا الکبش؟إنه الموت،فیذبح،فآنئذ تکون الحسره الکبری لأهل النار لأنهم لا یموتون فیتخلصون من العذاب،و لا یخفف عنهم العذاب فیستریحون،و إنه لو ظل الموت موجودا فی الآخره لمات أهل الجنه فرحا بنقل الموت عنهم و بقاءهم خالدین فی الجنه،و لمات أهل النار حسره علی خلودهم فی النار.

ص:۴۸

اللّه الوارث:

[۴۰] إِنّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَ مَنْ عَلَيْها وَ إِلَيْنا يُرْجَعُونَ هـذه الأرض و ما عليها من مباهـج و متع ليست لهم،انها بالتالى تعود إلينا فنحن الوارثون لها،و هم بـدورهم يعودون إلينا ليحاسـبوا فلما ذا التحزب و الاختلاف من أجل هذه المتع الزائله؟من هنا نقول:إن الخلافات البشريه خصوصا تلك التى تتقولب ضمن الأديان و الرسالات السماويه يجب أن ننسفها بطريقتين:

الطريقه الأولى:بتذكره الناس بربهم،ليؤمنوا بخالق الكون.

الطريقه الثانيه:بتذكره الناس بيوم القيامه.

و لو عرف النـاس ربهم لانـتهى الخلاف النـابع من الجهـل،و لو عرف الناس أنهم سـيبعثون فى القيامه لانتهى الخلاف النابع من الجهاله و لأن الخلاف اما يأتى من الجهل و أما من الجهاله،لا غيرهما فانه يتلاشى مع معرفه اللّه و الايمان بالآخره.

ص:۴۹

[سوره مريم (۱۹): الآيات ۴۱ الى ۵۰]

اشاره

وَ اُذْكُرْ فِي اَلْكِتٰابِ إِبْرٰاهِيمَ إِنَّهُ كٰانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا (۴۱) إِذْ قٰالَ لِأَبِيهِ يٰا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مٰا لاٰ يَسْمَعُ وَ لاٰ يُبْصِرُ وَ لاٰ يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً (۴۲) يٰا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جٰاءَنِي مِنَ اَلْعِلْمِ مٰا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرٰاطاً سَوِيًّا (۴۳) يٰا أَبَتِ لاٰ تَعْبُدِ اَلشَّيْطٰانَ إِنَّ اَلشَّيْطٰانَ كٰانَ لِلرَّحْمٰنِ عَصِيًّا (۴۴) يٰا أَبَتِ إِنِّي أَخٰافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذٰابٌ مِنَ اَلرَّحْمٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطٰانِ وَلِيًّا (۴۵) قٰالَ أَ رٰاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يٰا إِبْرٰاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَ اُهْجُرْنِي مَلِيًّا (۴۶) قٰالَ سَلاٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كٰانَ بِي حَفِيًّا (۴۷) وَ أَعْتَزِلُكُمْ وَ مٰا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ وَ أَدْعُوا رَبِّي عَسىٰ أَلاّٰ أَكُونَ بِدُعٰاءِ رَبِّي شَقِيًّا (۴۸) فَلَمّٰا اِعْتَزَلَهُمْ وَ مٰا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ وَهَبْنٰا لَهُ إِسْحٰاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ كُلاًّ جَعَلْنٰا نَبِيًّا (۴۹) وَ وَهَبْنٰا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنٰا وَ جَعَلْنٰا لَهُمْ لِسٰانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (۵۰)

اللغه

۴۶[و اهجرنى مليّا]:فارقنى دهرا طويلا.

۴۷[حفيا]:برّا لطيفا.

ص:۵۰

وَ أَعْتَزِلُکُمْ وَ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ

هدی من الآیات:

علاقه الإنسان بربه یجب أن تکون فوق علاقاته الأخری بل تکون موجّهه لسائر العلاقات،و إطارا لسائر الروابط الاجتماعیه،و فی طلیعتها رابطه الإنسان بأسرته.

و من القضایا الطبیعیه فی حیاه الإنسان،استلهامه من أبیه:الفکره و الخبره، فالأجیال البشریه تتلاحق و یرث کل جیل،أفکار السابقین،و یورثها للاحقین، و اللّه سبحانه قد أرکز فی الإنسان غریزه التقلید و اتباع الآباء،کما أرکز فی الآباء غریزه التعلیم لنقل أفکارهم الی أبنائهم بل و إکراههم علیها.

بید إن هذه الغریزه التی هی من السنن الکونیه یجب أن لا تترک بعیده عن التوجیه،بل علی الإنسان أن یوجهها فی ذاته و یوجهها فی الآخرین،فالابن الذی یطیع والده و یتبعه من دون تفکیر لا یکون فقط عاجزا عن ابتداع تجارب جدیده،بل یکون أیضا غیر صالح لنقل التجربه فالتجربه ینقلها جیل یکتوی بنارها،و یعرف قیمتها و یستهلمها بإرادته و حریته،أما الجیل الذی یضطر الی قبول تجربه السابقین

و استلهام أفكارهم فانه لا يمكنه أن يعرف قيمه التجربه،و بالتالى لا يمكنه أن يستفيد من هذه الخبره شيئا كثيرا،إذ يصبح آله عمياء لا يستوعب الحقائق التى تجرى حوله.

من هنا..يركز القرآن الحكيم فى هذه الآيات على مسأله نقل الأفكار من الجيل السابق الى الجيل اللاحق و يحدد فى ذات الوقت طريقه التعامل بين الأجيال.

كثيرا ما يفكر الجيل الناشئ فيجد أن أفكار الأجيال السابقه إنما هى أفكار خاطئه و غير سليمه،و لذلك يتوجه هذا الجيل نحو التغيير و الإصلاح و تطوير الأفكار و الأساليب،فيحدث الصراع بين الأجيال،كل جيل يوجه الحياه الى طرف معيّن و هذا ليس من مصلحه المجتمع،فالمجتمع الذى يعيش صراع الأجيال ينهار بسرعه و لا تكتسب الأجيال الناشئه فيه تجارب الأجيال السابقه.

و فى هذه الآيه الكريمه نجد القرآن الحكيم يركز على طريقه التعامل بين الأجيال ليقول:حتى لو كان الخلاف حول محور أساسى كعباده اللّه فينبغى أن يتم عبر أساليب مرنه،لذلك نجد إبراهيم يوجه خطابه لأبيه قائلا:« سَلاٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّى ».

و لكن إذا لم تنفع المرونه ينبغى أن يكون الاعتزال،لأنه هو الحل الأخير، فحينما وجد إبراهيم إن أباه لم يهتد،و إن قضيه التوحيد لا يمكن أن تخضع لأهواء والده و لضلالات الأجيال السابقه،فانه قرر أن يثور.و لكن كيف كانت ثورته؟ إنه لم يقتل أباه،و لم يتمرّد عليه،و إنما اعتزل ما يعبد بعد أن جادله بالحسنى و أعتقد أن هذين الاسلوبين،الأسلوب المرن ثم أسلوب الاعتزال هما أمثل طريقه للتعامل بين الأجيال فى قضايا الصراع و فى حالات التغيير.

هناک ملاحظه تبدو فی هذه الآیات و هی:إن القرآن الحکیم یرکز الضوء هنا علی مشهد واحد فقط من قصه إبراهیم الخلیل(علیه الصلاه و السلام)،و هو مشهد الحوار مع أبیه،بینما ترک سائر المشاهد کمشهد صراعه مع النظام القائم و مع المجتمع الجاهلی،و لعل السبب ان هذه السوره ترکز علی موضوع علاقه الإنسان بأسرته،و علاقته بالأقربین إلیه.

کما إن القرآن الحکیم یبیّن حقیقه أخری و هی:إن الإنسان الذی یترک أهله و یعتزلهم لوجه اللّه،فان اللّه سبحانه سوف یعوضه بآخرین،أحسن منهم،و القرآن الحکیم یؤکد هذه الفکره فی هذا المشهد من حیاه إبراهیم الخلیل،حیث یبیّن بأن اللّه قد عوّضه عن أسرته السابقه بأسره جدیده،و جیل جدید،و وهب له إسماعیل و إسحاق و یعقوب و ذریّه طیّبه منهم،و نجد تکرارا لهذه الفکره فی الدرس القادم.

بیّنات من الآیات:

اشاره

[۴۱] وَ اذْکُرْ فِی الْکِتٰابِ إِبْرٰاهِیمَ إِنَّهُ کٰانَ صِدِّیقاً نَبِیًّا کان إبراهیم قدوه و کان صدّیقا،صدّق بکل ما أنزله اللّه،ان بعض الناس یصدّقون و یعملون بما أنزل اللّه و لکن بشرط أن لا یتعارض و مصالحهم،أو لا یکون صعبا،بینما إبراهیم کان صدّیقا آمن بکل ما أنزله اللّه من هدی و برامج برغم کل الضغوط و الصعوبات،و کان نبیّا مرسلا من قبل اللّه.

[۴۲] إِذْ قٰالَ لِأَبِیهِ یٰا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مٰا لاٰ یَسْمَعُ وَ لاٰ یُبْصِرُ وَ لاٰ یُغْنِی عَنْکَ شَیْئاً لقد وصل إبراهیم بفطرته و بهدی ربه الی نتیجه و هی:إن عباده الآلهه الحجریه خطأ لأنها لا تبصر و لا تسمع و لا تستطیع أن تفعل شیئا.

فی کثیر من الأوقات یصل أبناء البشر الی نقطه محوریه فطریه واضحه و لکنهم بعدئذ یترکون الأمر،و لا یفکرون تفکیرا جدّیا فی متابعه ما توصلوا إلیه،بل کل إنسان یعیش فی مجتمع فاسد تبرق له بعض الأحیان من هدی ربه بارقه هدی،لو سار وراءها لاهتدی،و لذلک نری إن هؤلاء الذین یعیشون فی أقاصی الأرض بعیدین عن هدی الرسالات الإلهیه،تبقی للّه علیهم حجه تتمثل فی أنهم فی بعض لحظات حیاتهم یصلون الی بعض النتائج الأولیه،و یجب أن تکون لدیهم الشجاعه الکافیه للاستمرار فی الأخذ بها و البحث عمّا وراءها،أما إذا کانوا جبناء فللّه علیهم حجه، لما ذا جبنوا و لما ذا لم یهتدوا بنور عقلهم حین أضاء لهم الطریق؟ بعد رحله قفل أبو ذر الغفاری راجعا الی قبیلته،و اتجه الی صنمها یتبرک به کعادتهم حین یعودون من سفر یبدءون بأصنامهم فبرقت فی نفسه بارقه هدی؟! فسأل نفسه:إن الصنم لیس إلا صخره صمّاء،فلما ذا أعبد الحجر الأصم؟و ما عساه أن یفعل بی؟فقرر أن یجربه،ففکر فی خطه بأن یضع أمام الصنم شیئا من الطعام و الشراب،فاذا أکل و شرب فلا بد أنه علی حق و هکذا فعل،فوضع أمامه قدحا من اللبن و جلس عنده ناحیه یراقب،فلم یطعم الصنم شیئا فقال:ربما یخجل منی،فذهب و اختبأ وراء صخره و أخذ یراقبه،و بعد فتره إذا بثعلبان یأتیان و یشربان اللبن،ثم یتبولان علی الصنم و یغادران المکان دون أن یمسهما الصنم بأذی فأنشد أبو ذر یقول:

أربّ یبول الثعلبان برأسه لقد هان من بالت علیه الثعالب

فترک عباده الأصنام.

إن مثل هذا المشهد کان یتکرر عند کثیرین فی التاریخ الجاهلی،و لکن لم یکن أحدهم یمتلک شجاعه أبی ذر،لذلک فأنهم کانوا یسایرون الأوضاع الفاسده،و لا یجدون فی أنفسهم حرجا من ذلک؟

إن الإنسان قد يفكر تفكيرا حرّا و على أثر تفكيره هذا يكتشف انحرافا كبيرا فيهتدى بسببه الى كل البرامج الرساليه،فاذا عارضه والداه فی تلك النقطه ستتكشف له سائر النقاط و تصبح هذه النقطه البسيطه بدايه المسيره طويله،هكذا نجد إبراهيم يقول لوالده:«يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَ لاَ يُبْصِرُ وَ لاَ يُغْنِی عَنْكَ شَيْئاً »..

و حينما اكتشف إبراهيم تلك النقطه تشجع و استمر فی محاولات الكشف، فكشفت له نقطه أخرى و هی:إن إتباعه لأبيه خطأ،لأن أباه يعبد صنما لا يسمع و لا يبصر و لا يغنی شيئا.

إن هذه قفزه جديده لا يصل إليها الإنسان عاده، خصوصا الإنسان الذی يعيش فی جوّ عائلی مغلق يفرض عليه إتباع والده،لكن إبراهيم وصل الى تلك القفزه بشجاعته و باتباعه لفطرته...

ولايه الشيطان:

[۴۳]يَا أَبَتِ إِنِّی قَدْ جَاءَنِی مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ إن مقياس الطاعه و التقليد هو العلم،فاذا كنت أنا أعلم منك فلا بد أن تكون أنت الذی تطيعنی و ليس العكس!..

فَاتَّبِعْنِی أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيًّا واجه إبراهيم عليه السلام أباه بهذه الشجاعه،حيث طلب منه أن يتّبعه لأنه يمتلك العلم،و هذه إشاره بأن الاعتبار الأول فی القياده العلم،و ليس شرطا عمر القائد أو منزلته.

[۴۴]يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ عَصِيًّا

عرض إبراهيم على أبيه فى البدايه أن لا يعبد الأصنام التى لا تسمع و لا تبصر، و هنا يقول له:لا تعبد الشيطان،فالشيطان هنا هو الذى يتجسد لهم على صوره صنم،أو على شكل و وساوس نفسيه فيزين لهم عباده غير اللّه،و ما دام الشيطان عصيا للّه،فهو-بطبيعه الحال-لا يهدى الى سبيل الرشاد،بل يقود الناس على ما هو عليه من العصيان.

لما ذا وضع اللّه كلمه(الرحمن)فى مقابل الشيطان،و لم يضع مثلا«الرب»؟ ربما لكى يوضح حقيقه هامه،و هى إن الشيطان هو حاله ضد الرحمه و نقيض لها.

و عموما فليس المقصود من عبادتهم الشيطان مجرد عباده الصنم الذى لا يضر و لا ينفع،بل المقصود أيضا عباده الشيطان المتمثل فى الطواغيت أو سدنه الأصنام الذين ينتفعون مباشره من عباده هؤلاء.

[۴۵]يَا أَبَتِ إِنِّى أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا إن الإنسان الذى يريد أن يجمع بين الحق و الباطل،بين الهدى و الضلال،بين الخير و الشر،فانه سيجد أن الخير و الهدى قد تبخرا و لم يبق معه سوى الشر و الضلاله، إذ لا يمكن أن يجتمع عند الإنسان الخير و الشر معا و لا بد أن يذهب أحدهما و إذا تمادى البشر فى عباده الشيطان فان اللّه يسلب منه ضوء العقل فيصبح وليا للشيطان الى الأبد،و هذا عذاب عظيم يمس الذين يتبعون الشيطان.

و لعلّ الآيه تنفى-بصوره إيحائيه-فكره ضاله يبثها الشيطان فى روع تابعيه خلاصتها:إن اللّه يبغضه و إنما الشيطان يحميه من غضب الرب..و يسفه السياق هذا الزعم.

أولا:بأن اللّه هو الرحمن.و لا يبغض أحدا لذاته بل بسبب فعاله القبيحه.

ص:۵۷

و ثانیا:إنّ إتباع الشیطان عذاب و شر مستطیر و لیس فیه أیه فائده.

هذا هو حوار إبراهیم الذی یتمیّز بعده سمات:

أولا:إنه حوار هادئ.

ثانیا:إنه یتدرج و یتصاعد شیئا فشیئا،ففی البدایه یقول لم؟ثم یقول لا تعبد،ثم یقول اتبعنی،ثم یقول:إنه یخشی أن تکون ولیّا للشیطان.

فی الواقع إن عم إبراهیم الذی یخاطبه إبراهیم علیه السلام بالأب لأنه کان یعیش فی بیته کان فعلا ولیا للشیطان،بید إن إبراهیم لم یجابهه بالحقیقه مره واحده،و لکن لننظر الی الآخر ما ذا یقول فی حواره...

الإرهاب فی المحیط العائلی:

[۴۶]قَالَ أَ رَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِی یَا إِبْرَاهِیمُ لم یقل أ راغب أنت عن الحق یا إبراهیم،لأن الحق و الباطل لم یکن محورا لعمل«آزر»عم إبراهیم،إنما قال عن آلهتی لأنه أراد أن یفرض سیطرته و هیمنته.

لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّکَ هذا هو الإرهاب العائلی یقول:لأن لم تنته لأرجمنّک،و أرجمنک اما بمعنی أن أقذفک بالحجاره کما یرجم مرتکبوا الکبائر،و هو أشد أنواع الاعدام،و اما بمعنی انی لأرجمنّک بالضلاله فأقول إنک مارق،أو أتهمک بتهمه کبیره أمام المجتمع.و من سیاق الآیه یتبیّن أن المقصود هو المعنی الثانی للرجم و لیس الاعدام.

وَ اهْجُرْنِی مَلِیًّا

ص:۵۸

فی البدایه هدده بالرجم و التشهیر،ثم أمره بأن یهجره،أی یخرج من بیته نهائیا و هذه عملیه نراها الیوم عاده بین الآباء،حیث یقوم الواحد منهم بطرد ولده إذا وجد لدیه عملا ثوریّا أو أنه ینتمی الی حرکه إسلامیه أو یقوم بنشاطات سیاسیه...

مواجهه الإرهاب:

[۴۷]عند ما رأی إبراهیم إن الأمر قد وصل الی هذا الحد،و إنه إذا هجر أسرته فانه سوف تتکرس فیهم ضلالتهم،لذلک:

قَالَ سَلاَمٌ عَلَیْکَ لعلّ إبراهیم علیه السلام کان یرید أن یتبع تکتیکا آخر بعد أن وصلت مواجهته الصریحه مع أبیه الی طریق مسدود،و هو أن یبحث عن وسائط خیر یمکن أن یقنعوا الأب بدعوته الحقه،و هذه الفکره التی نستوحیها من الآیه تفیدنا کثیرا فی حیاتنا العملیه،إذ أن کثیرا من الشباب الذین تتفتح بصائرهم علی الهدایه و الایمان یریدون أن ینقلوا تلک الهدایه الی آبائهم أو أعمامهم أو إخوانهم الکبار،و لکنهم غالبا ما یصطدمون بالحواجز التقلیدیه التی تحول دون تقبل هؤلاء ممن هم أصغر منهم سنّا و تجربه،فلا یکون أمام الأولاد إلا أن یلجأوا الی الطرق غیر المباشره فیبحثون عن أصدقاء أو معارف لآبائهم یشترط فیهم کبر السن و الوعی الثوری،لیقوموا بدور الوسیط فی تبلیغ الرساله.

سَأَسْتَغْفِرُ لَکَ رَبِّی إِنَّهُ کَانَ بِی حَفِیًّا قال إبراهیم لأبیه سأطلب لک المغفره من اللّه،فهو یحبنی و یبرّ إلیّ،و کان إبراهیم فی استغفاره یرید هدایه أبیه،کما جاء فی آیه أخری،فلما تبیّن له إن أباه لا یرید أن یهتدی و أنه مصرّ علی الضلال ترکه و شأنه.

[۴۸] وَ أَعْتَزِلُكَمْ وَ مٰا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَ أَدْعُوا رَبِّى عَسىٰ أَلاّ أَكُونَ بِدُعٰاءِ رَبِّى شَقِيًّا يقول إبراهيم لأبيه أنت تريد أن تطردنى من البيت،و تقول لى و اهجرنى مليّا، حسنا-فأنا بدورى سوف أعتز لكم و أترككم،و لكن حين أترككم،فأن عندى ملجأ آخر ألتجأ إليه و هو الذى يبعد عنى الشقاء حينما أدعوه و ألتجأ إليه،بلى إنه اللّه ربّى.

الأسره الفاضله:

[۴۹] فَلَمّٰا اعْتَزَلَهُمْ وَ مٰا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَهَبْنٰا لَهُ إِسْحٰاقَ وَ يَعْقُوبَ لقد أصبح إبراهيم مؤسسا لحضاره،و لخط فكرى،فوهب له اللّه من رحمته إسحاق و يعقوب.

وَ كُلاًّ جَعَلْنٰا نَبِيًّا إن اللّه وهب لإبراهيم إسحاق و إسماعيل أخوين،و لكن القرآن يقول وهبنا له إسحاق و يعقوب ليبين استمراريه الخط الرسالى.

[۵۰] وَ وَهَبْنٰا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنٰا وَ جَعَلْنٰا لَهُمْ لِسٰانَ صِدْقٍ عَلِيًّا لقد أصبح هؤلاء مضرب الأمثال فى العالم،فحينما يريد الناس أن يضربوا مثلا لأسره فاضله،فأنهم يضربون إبراهيم و أبناءه مثلا لذلك،و لا يزال هذا الأمر منذ أكثر من خمسه آلاف سنه و إلى هذا اليوم،فهناك أكثر من ألفى مليون إنسان فى العالم يكرمون إبراهيم عليه السلام عبر التاريخ،و هذا بعض معانى لسان صدق عليّا أى ان

الناس يلهجون بذكرهم،و صحيحا ما يلهجون و صادقا ما يقولون.

و هكذا نجد إبراهيم عليه السلام ترك والده و قومه و هجرهم و لكن بعد أن أتمّ الحجه عليهم،و حاول بكل جهده هدايتهم،و حين تركهم عوّضه اللّه بأفضل منهم، و جعلهم قدوه صالحه للآخرين.

إذن فعلاقتنا بآبائنا و بمن حولنا يجب أن تكون علاقه رساليه يوجهها التوحيد و الايمان باللّه تعالى.

و فكره أخيره:إن المجتمعات الثوريه الرساليه هى المجتمعات التى لا تخضع للارهاب،و لكن كيف يمكن للإنسان أن يتحرر من الإرهاب و كيف يقاومه؟ إن ذلك يكون عن طريق بناء أسرته على أساس الحريه،لأنّ الفرد الذى يخضع فى بيته لإرهاب والده،لا يمكنه أن يقاوم إرهاب النظام،فإرهاب النظام صوره لإرهاب الأسره،و إذا تحرر الإنسان من إرهاب الأسره و استطاع أن ينقذ نفسه من ذلك المجتمع الضيق الخانق،فانه يستطيع غدا أن يقاوم إرهاب السلطات الجائره، و أمّا الذى يخضع لوالده كليا خشيه بطشه اليوم فكيف لا يخضع للنظام الفاسد غدا؟! إن الأسره هى الأم الحقيقيه للمجتمع لذلك فأن قصه إبراهيم مع والده تبين لنا:إن الخطوه الأولى فى تحرير المجتمع هى تحرير الأسره من الإرهاب و الضغط الفكرى..

[سوره مریم (۱۹): الآیات ۵۱ الی ۵۹]

اشاره

وَ اُذْكُرْ فِی اَلْكِتابِ مُوسى إِنَّهُ كانَ مُخْلَصاً وَ كانَ رَسُولاً نَبِيًّا (۵۱) وَ نادَيْناهُ مِنْ جانِبِ اَلطُّورِ اَلْأَيْمَنِ وَ قَرَّبْناهُ نَجِيًّا (۵۲) وَ وَهَبْنا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنا أَخاهُ هارُونَ نَبِيًّا (۵۳) وَ اُذْكُرْ فِی اَلْكِتابِ إِسْماعِيلَ إِنَّهُ كانَ صادِقَ اَلْوَعْدِ وَ كانَ رَسُولاً نَبِيًّا (۵۴) وَ كانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَ اَلزَّكاةِ وَ كانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (۵۵) وَ اُذْكُرْ فِی اَلْكِتابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا (۵۶) وَ رَفَعْناهُ مَكاناً عَلِيًّا (۵۷) أُولئِكَ اَلَّذِينَ أَنْعَمَ اَللّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ اَلنَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَ مِمَّنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ وَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْراهِيمَ وَ إِسْرائِيلَ وَ مِمَّنْ هَدَيْنا وَ اِجْتَبَيْنا إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُ اَلرَّحْمنِ خَرُّوا سُجَّداً وَ بُكِيًّا (۵۸) فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضاعُوا اَلصَّلاةَ وَ اِتَّبَعُوا اَلشَّهَواتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (۵۹)

اللغه

۵۹[غیّا]:جزاء الضلال.

ص:۶۲

القدوات الرساليه

هدى من الآيات:

لكى تكون علاقات الإنسان إيمانيه سليمه مع أسرته،و بالذات مع والده و أبنائه و أخواته فانه يحتاج إلى أن يقتدى بأولياء صالحين يتخذ من حياتهم أسوه لتصرفاته.

و فى سوره مريم يذكرنا القرآن الحكيم ببعض تلك القدوات الصالحه،كما يضرب لنا مثلا من أمثله السوء الذين عكسوا الآيه،و كانت علاقاتهم سيئه بالنسبه الى أسرهم.

فمن جهه نرى موسى عليه السلام يتخذ من أخيه هارون مساعدا له فى تبليغ رسالته، و تربطه مع أخيه علاقه رساليه هدفها تبليغ الرساله الالهيه،و ذلك لأنه كان ملخصا قد أخلص نفسه للّه،و انصهر فى بوتقه الايمان فانزاحت عنه سلبيات البشر،لذلك فهو لم يفكر أن يتخذ من أخيه وسيله للفخر و الغرور أو أن تكون علاقته بأخيه مصلحيه شخصيّه،بل إنه استفاد من هذه العلاقه من أجل الرساله.

و نرى إسماعيل الذى كان صادق الوعد مع الآخرين،تربطه بأهله علاقه فريده،حيث انه كان يأمر أهله بالصلاه و الزكاه،و لذلك فقد كان مرضيّا عند اللّه سبحانه.

إن هؤلاء زكريا و ابنه يحيى،و مريم و ابنها عيسى،و كذلك موسى و أخاه هارون،و إسماعيل و أهل بيته إبراهيم و أبناءه،يجب أن يصبحوا قدوات لنا.

من جهه أخرى نرى فى الطرف الآخر ذرّيتهم الذين كان ينبغى أن يكونوا لا أقلا مثلهم أو فى مستواهم،قد ضيّعوا الصلاه،و تركوا عباده اللّه،و اتبعوا شهواتهم.

بيّنات من الآيات:

موسى النبىّ المخلص:

[۵۱] وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ مُوسىٰ ذكر موسى،و ذكر سائر الأنبياء فى القرآن،إنما كان من أجل أن يتخذوا قدوه و أسوه.

انّ من المستحبات الأساسيه،بل أحيانا من الواجبات،الصلاه على محمد و آل محمد لأننا حينما نذكر رسول اللّه صلى الله عليه و آله فاننا نتذكر صفاته و سلوكه،و بالتالى نبحث فى حياتنا عمّا يوافق حياه الرسول و نهتدى بهداه،و هكذا يستحب ذكر النبيين و السلام عليهم بين الحين و الآخر لتوثيق الصله الروحيه بهم،و ذلك بهدف إتباع نهجهم الصائب و القرآن الحكيم يؤكد هذه الفكره هنا فيقول: وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ مُوسىٰ ، وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ إِسْماعِيلَ ، وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ إِدْرِيسَ ..إلخ لكى نشعر بأننا لسنا وحيدين فى رحله الايمان الطويله،فحينما نتحرك و معنا إبراهيم و عيسى و يحيى و موسى و إسماعيل فاننا سوف نستلهم منهم

الاستقامه و الصمود كلما ضعفنا أو أصابنا الوهن.

إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً لقـد كـانت علاقه موسى باللّه خالصه،و إذا كانت علاقتك أيها المؤمن باللّه كـذلك،فأن لك علاقه أيضا مع موسى،إذ أنه سيصبح أخا لك فى الايمان.و قدوه صالحه.

وَ كَانَ رَسُولاً نَبِيًّا فموسى هو أخوك فى الإيمـان و أبوك بالاقتـداء،من جهه هو أخوك لأنه كان مخلصا للّه فى علاقته،و من جهه أخرى هو بمنزله أبيك لأنه كان نبيا و رسولا إليك.

[۵۲] وَ نَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ إن الإنسان ليشعر بالاطمئنان حينما يرى إن واحدا من بنى جنسه قـد تقرب الى اللّه بهـذا المستوى،حيث ناداه اللّه و تحدث معه بصوره مباشره من جانب الطور الأيمن و الطور هو الجبل.

وَ قَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا لو أن أحدا كـان على مسافه منك و هو يحدّثك فأن ذلـك لا يعتبر نجوى،بينما حين يقترب منك و يكلمك حينذاك يصبح حديثه نجوى.لقد قرّب اللّه موسى و تناجى معه،فأىّ مستوى هذا الذى يرتفع إليه الإنسان حينما يتكلم اللّه معه و يناجيه؟! إن الإنسان لا يمكن أن يصبح اللّه،و لكن يمكنه أن يصبح قريبا من اللّه،و هذا هو أفضل كرامه له على سائر خلق اللّه.

ص:۶۵

[۵۳] وَ وَهَبْنا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنا أَخاهُ هارُونَ نَبِيًّا ان من النعم العظيمه التى تفضل اللّه بها على موسى انّه استجاب لدعائه فجعل أخاه هارون نبيّا معه ليؤازره فى مهمته العظيمه.

إسماعيل صادق الوعد:

[۵۴] وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ إِسْماعِيلَ إِنَّهُ كانَ صادِقَ الْوَعْدِ وَ كانَ رَسُولاً نَبِيًّا

لقد جاء فى الحديث الشريف ان إسماعيل هو إسماعيل بن حزقيل و ليس إسماعيل بن إبراهيم الخليل،و انه قد تواعد مع شخص خلف جبل،فنسى الرجل موعده و لكن إسماعيل ظلّ ينتظره فى مكانه عاما كاملا.و حدث ان مر الشخص صدفه فى نفس المكان فوجد إسماعيل ينتظره،فلذلك سمّى بصادق الوعد.

ثلاث قواعد فى التربيه:

[۵۵] وَ كانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَ الزَّكاةِ وَ كانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا لقد كان يستفيد من علاقه الأبوّه التى تربطه بأبنائه من أجل اللّه لكى يأمرهم بالاتصال الدائم معه عن طريق الصلاه و الزكاه.

فى هذه القطعه من الآيه ثلاث ايحاءات:

الإيحاء الاول:ان من أهم أركان التربيه العائليه هى تربيه الأبناء على الصلاه،لأنها أساس سائر الأعمال الصالحه،و هى تقرّب الإنسان الى اللّه.

ليس من المهم أن تلقّن طفلك كل صغيره و كبيره من الواجبات و الاخلاقيات، بل الأهم من ذلك هو أن تربطه باللّه برابطه الايمان،و ذلك عن طريق الصلاه،فاذا

أصبح الولد مؤمنا صادقا فی طفولته،فانه سوف یبحث عن الواجبات بل المندوبه عند ما یکبر،اما إذا کان ایمانه غیر ثابت من الأساس،فلن ینفعه علمه بکل تعالیم الدین.

ان الصلاه عملیه منتظمه و القیام بها خمس مرات فی الیوم شیء صعب،لذلک فان الإنسان یحتاج الی ان یتعوّد علیها من الصغر،و إذ ذاک تصبح جزءا من حیاته، و ضروره لا یستغنی عنها.

الإیحاء الثانی:الزکاه قد تکون بمعنی الفریضه الخاصه التی تتعلق بالغلّات الأربع و الانعام الثلاث و النقدین،و قد تعنی مطلق العطاء و الإنفاق،و هی بنوعیها تربی الأبناء علی الخروج من الذات الی الاهتمام بالآخرین.

الإیحاء الثالث:اننا نجد فی سوره مریم تکرار معنی:الرضا و ما یخالفه من التجبر و الشقاء،و هذا التکرار یعود لسببین:

الاول:أن الإنسان یجب ان یربی طفله علی أن یکون متکامل الشخصیه، حتی یکون مرضیّا،یرضی الناس عنه فی سلوکیاته و تصرفاته،و بتعبیر علمی یجب تنمیه حسّ التوافق الاجتماعی عند الطفل تنمیه سلیمه،لکی لا یصبح غیر مبال بالآخرین،بل یفکر فیهم و یرضیهم.

الثانی:ان طبیعه الإنسان ان یکون مقبولا فی المحیط الاجتماعی الذی یعیش فیه،و من واجب الوالدین ان یربّیا أولادهما بحیث تکون هذه الصفه الطبیعیه فیهم متجهه الی اللّه،أی فی حدود تقوی اللّه و مناهج رسالته.

إدریس الصدیق:

[۵۶] وَ اذْکُرْ فِی الْکِتٰابِ إِدْرِیسَ إِنَّهُ کٰانَ صِدِّیقاً نَبِیًّا

ص:۶۷

اما إدريس فان القرآن يذكرنا بصفه من صفاته التي يجب أن تتوفر عند الإنسان و هي كونه صدّيقا.و الصدّيق صيغه مبالغه من صفه الصادق و هو الذي يصدق في المواقف الصعبه،و يكون الصدق صبغه لحياته كلها.

يمكن ملاحظه ان ذكر الأنبياء في عده آيات يكون مسبوقا بصفات مختلفه،فترى مثلا وَ كٰانَ رَسُولاً نَبِيًّا كٰانَ صٰادِقَ الْوَعْدِ وَ كٰانَ رَسُولاً نَبِيًّا ، إِنَّهُ كٰانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا .مما يوحى إلينا فيما يبدو:ان من أسباب نبوه هؤلاء هي تلك الصفات الفاضله التي تحلّوا بها.

فمن دواعي نبوه أحدهم رسالته،فحينما يبدأ شخص بحمل رساله اللّه بفطرته، فان اللّه يختاره نبيا،لقد كان إبراهيم منذ طفولته يحاور والده و يتكلم معه حول عباده الأصنام، و كثير من الأنبياء كانوا يحملون الرساله قبل النبوه،و ذلك لان الرساله موجوده في وجدانهم،فإذا حملها الإنسان و رأى اللّه منه الصدق فانه يرزقه النبوّه.و أمّا لما ذا سبقت كلمه(الرسول)كلمه(النبي)في الآيه(رسولا نبيا) للاشاره الى ان وسام الرساله اقدس من وسام النبوه و أعلى درجه.

و بالنسبه لإسماعيل ربما كان صدقه لوعده هو السبب الذي أهّله لحمل الرساله، كما أن صفه الصدق هي التي أهّلت إدريس لحمل رساله اللّه،حيث ان اللّه يختار رسله من الصادقين العاملين،و لا يختار من لا تتوفر فيهم هذه الصفات فيقول ربنا:

اَللّٰهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسٰالَتَهُ .

[۵۷] وَ رَفَعْنٰاهُ مَكٰاناً عَلِيًّا إذا أردت العلو،فكن صدّيقا مثل إدريس،لان الصادق يحبه الناس و يرفعونه، فيرتفع بين جماعته الى منزله عاليه.

ص:۶۸

الذريه الصالحه و الخلف الصالح:

[۵۸] أُولٰئِکَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّهِ آدَمَ وَ مِمَّنْ حَمَلْنٰا مَعَ نُوحٍ وَ مِنْ ذُرِّيَّهِ إِبْرٰاهِيمَ وَ إِسْرٰائِيلَ وَ مِمَّنْ هَدَيْنٰا وَ اجْتَبَيْنٰا هؤلاء هم الـذريه الصالحه التى يجب أن تكيف أسـرتک وفق هـداها.و لعل تأكيـد القرآن الحكيم على كلمه الـذريه هنا يشير الى هذه الفكره.

إِذٰا تُتْلىٰ عَلَيْهِمْ آيٰاتُ الرَّحْمٰنِ خَرُّوا سُجَّداً وَ بُكِيًّا ان الصـفه الهـامه الـتى وجـدت فى هؤلاء بعـد هـدايه اللّه و اجتبـائه لهم هى علاقتهم باللّه و قربهم الروحى منه،و هذا أعلى وسام يحمله الإنسان المؤمن الصادق.

ان المـؤمنين حينمـا تتلى عليهم آيـات الرحمـان و مـا فيهـا من أوامر و نواهى و برامـج و اخلاقيـات،فـإنهم يسـجدون دلالـه على تقبلهم،و علامه على استعدادهم لتطبيقها.

ان السجود هو إظهار الخشوع خارجيا،اما البكاء فهو إظهار الخشوع نفسيا،لان نفسيه الإنسان تتفاعل مع الموعظه فتجرى دموعه،و هؤلاء قد خشعوا بهيأتهم و كذلك بنفوسهم فخروا سجدا و بكيا.

[۵۹] فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضٰاعُوا الصَّلاٰهَ وَ اتَّبَعُوا الشَّهَوٰاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا و هؤلاء هم النموذج الآخر و هم الأمثله السيئه،فقد أضاعوا الركن الاساسى للدين مما سبب فساد حياتهم،و الركن الأساسى هو الصلاه.

و القرآن لم يقل تركوا الصـلاه،بل أضاعوا الصـلاه،و هذا يشمل بالاضافه الى معنى ترک الصلاه معنى آخر و هو تحويل الصلاه الى هيئه فارغه لا محتوى فيها،

فالصلاه الحقیقیه هی صلاه المؤمنین الذین یقول عنهم ربنا سبحانه: اَلَّذِینَ هُمْ فِی صَلاٰتِهِمْ خٰاشِعُونَ .و هؤلاء الذین أضاعوا الصلاه و اتبعوا أهواءهم و شهواتهم فإنهم سوف یسیرون فی طریق الغوایه و الضلاله بدل الهدی..

ص:۷۰

[سوره مريم (۱۹): الآيات ۶۰ الى ۶۷]

اشاره

إِلاّ مَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ اَلْجَنَّهَ وَ لا يُظْلَمُونَ شَيْئاً (۶۰) جَنّاتِ عَدْنٍ اَلَّتِي وَعَدَ اَلرَّحْمنُ عِبادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (۶۱) لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً إِلاّ سَلاماً وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَهً وَ عَشِيًّا (۶۲) تِلْكَ اَلْجَنَّهُ اَلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبادِنا مَنْ كانَ تَقِيًّا (۶۳) وَ ما نَتَنَزَّلُ إِلاّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ ما بَيْنَ أَيْدِينا وَ ما خَلْفَنا وَ ما بَيْنَ ذلِكَ وَ ما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (۶۴) رَبُّ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما فَاعْبُدْهُ وَ اِصْطَبِرْ لِعِبادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (۶۵) وَ يَقُولُ اَلْإِنْسانُ أَ إِذا ما مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (۶۶) أَ وَ لا يَذْكُرُ اَلْإِنْسانُ أَنّا خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ يَكُ شَيْئاً (۶۷)

الآخره حصاد الدنيا

هدی من الآیات:

الاسره الفاضله فی الدنیا هی الاسره التی تصنع فی بیتها جنه معنویه تشبه الی حدّ بعید جنّات عدن فی الآخره.و من عاش فی الجنان فی الدنیا فحریّ به ان یعیشها فی الآخره،فجنه الآخره توفر للإنسان الراحه الروحیه و الرفاه الجسدی،و کذلک الاسره الفاضله فی الدنیا،أما الراحه المعنویه فهی السلام،البعید عن اللغو،و الذی هو قمه تطلع الإنسان فی الحیاه،فحین لا یوجد ألم و لا مرض و لا خوف و لا حزن و لا عقد نفسیه و لا حسد،و ما الی ذلک مما تنغص حیاه الإنسان،فآنئذ یعیش الإنسان فی جوّ من السلام یشمل العافیه بکل أبعادها و النجاه من الأخطار جمیعها.

و یوم القیامه یدخل ربنا سبحانه المتقین جنه السلام الخالده،لان المتقین قد ابتعدوا عن کل ما یسبب لهم انحرافا أو فسادا فی الدنیا،فالآخره حصیله الدنیا و انعکاس لها،و حسب ما یفیدنا القرآن الحکیم:ان الآخره هی إرث الدنیا،فما تعمل فی الدنیا ترثه فی الآخره.

ان الصفات السيئه لها جزاء فی الدنيا و جزاء فی الآخره،فنار الحسد تأكل الإنسان فی الدنيا مره،و فی الآخره مره،و ثعبان الحقد يلدغ الإنسان فی الدنيا بطريقه،و يلدغه فی الآخره بطريقه اخری،و فی الآخره يری الإنسان الحقد فی صوره ثعبان عظيم أو عقربه ضخمه تلدغه،أما فی الدنيا فان ذات الحقد يلدغ قلب الإنسان،و لكن دون أن يتجسد فی ثعبان ظاهر،و لا فرق بين أن يلدغ جسمه هناك أو يلدغ قلبه هنا.و هكذا سائر الصفات« وَ مَنْ كٰانَ فِي هٰذِهِ أَعْمىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمىٰ وَ أَضَلُّ سَبِيلاً ».

و هكذا نعلم بأن جهنم الآخره انعكاس لجهنم الدنيا و لا أقول:ان جهنم هناك رمز لجهنم هنا كلا..لان عذاب جهنم فی الآخره أشدّ ألما و أشد ظهورا و هی حصيله هذه و حصاده،من هنا تأتی آيات القرآن تعبر لنا عن الإرث،فما هو الإرث،؟ أليس يعنی:أن تعمل ثم يأتی الآخرون ليأخذوا نتيجه عملك بعد ما تموت،و قد لا يأتی إنسان آخر ليأخذ ارثك و انما تكون أنت نفسك بعد موتك تأخذ ما كسبت، و هذا نوع آخر من أنواع الإرث« وَ نَرِثُهُ مٰا يَقُولُ وَ يَأْتِينٰا فَرْداً ».

هناك شبهه عميقه الجذور فی فكر الإنسان،تقول بأنه كيف يمكن للإنسان ان يبعث من بعد الموت؟ ان مصدر هذه الغرابه جهل الإنسان ببدايه خلقه،فلو عرف الإنسان كيف خلقه اللّه و ما ذا كان قبل ذلك،و لو تذكر الإنسان أنه كان نطفه فی صلب أبيه أو مضغه فی رحم أمه أو طفلا وليدا لا يتجاوز وزنه(٣)كيلو غراما،لو تذكر كل ذلك آنئذ يتحسس بأن الذی خلقه و ربّاه قادر علی أن يحيله الی تراب ثم يخلقه مره اخری.

ان تذكّر هذه الحقيقه بصوره مستمره يرفع عن الإنسان حجاب الغفله عن

الآخره.

ان شبهات الجهل فی قلب الإنسان تشبه(الفطر)الذی یتکاثر باستمرار،هذه هی طبیعه الشبهه الناتجه عن الضعف البشری،أنت تجوع و تشبع،ثم تجوع فتشبع..

و هکذا تحتاج أبدا الی الطعام حتی تمنع عن نفسک الجوع، لماذا؟لان الجوع من طبیعتک،کذلک الشبهات فی قلب الإنسان..هی من طبیعته،إذ طبیعه الإنسان الجهل و الغفله و النسیان.فاذا قرأت کتابا ثم لم تعد قراءته،أو سمعت خطابا ثم لم نستمع الیه مره أخری،فانک بمرور الزمان تنسی ما قرأت و ما سمعت،لان الجهل و الغفله من طبعک،کذلک الشبهات من طبیعه الإنسان،لذلک علی الإنسان ان لا یکتفی بدفع الشبهات عن نفسه مره واحده،لأنه إذا رفعها عادت و نمت نفس الشبهه.

إذا یحتاج الفرد الی مبضع یقوم بواسطته بعملیه جراحیه مستمره لقلع الخلایا السرطانیه الفاسده التی تتکاثر فی قلبه،و ذلک عن طریق التذکر المستمر.

و هکذا یوجهنا القرآن الحکیم فی مجال الحدیث عن البعث الی ان نتذکر أبدا، کیف کنا؟و کیف خلقنا؟و کما کنا و خلقنا و ترعرعنا،کذلک یعیدنا اللّه سبحانه مره أخری.

بینات من الآیات:

وعد الرحمن:

[۶۰] إِلاّٰ مَنْ تٰابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صٰالِحاً فَأُولٰئِکَ یَدْخُلُونَ الْجَنَّهَ وَ لاٰ یُظْلَمُونَ شَیْئاً یبین القرآن فی هذا السیاق ثلاث مراحل مرّ بها المجتمع:

مرحله الروّاد و القاده و هم(الأنبياء)و مرحله الانحراف بعـدهم الذی قال عنه ربنا فی آیه أخری: فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضٰاعُوا الصَّلاٰهَ ،و مـن رحـم هـذا الجيـل جـاءت طـائفه مثلـت المرحله الثـالثه حيث أنهم تحـدوا سـلبيات هـذا الجيـل الفاسـد و تـابوا و أصلحوا،فهیّء الرب لهم الجنات.

[۶۱] جَنّٰاتِ عَـدْنٍ الَّتِی وَعَـدَ الرَّحْمٰنُ عِبٰادَهُ بِالْغَيْبِ ان الجنات لا تری بالشـهود،بل بالغيب و قد قلت فی حديث مضـی:ان الطالب الـذی يجسـد امـام نـاظريه قاعه الامتحان،و التاجر الـذی يتصور يوم خسارته،و الجنـدی الـذی يتخيل فی ذهنه ساحه المعركه،ان هؤلاء أنفع من غيرهم،و هكـذا الحياه كلها و القرآن الحكيم يقول: وَعَدَ الرَّحْمٰنُ عِبٰادَهُ بِالْغَيْبِ فالرحمن برحمته الواسـعه يريد أن يرحم عباده الذين خلقهم فجعل لهم جنه كبيره مليئه بالطيبات و النعم،و لكن بشرط أن يؤمنوا بها بالغيب.

إِنَّهُ كٰانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ما دام ذلك الوعد هو وعد اللّه فهو لا ريب آت.

[۶۲] لاٰ يَسْـمَعُونَ فِيهٰا لَغْواً إِلاّٰ سَـلاٰماً اللغو هو الانحراف مثل السب و الفحش،و الجدل،و كل ما يعكس حاله العداء بين الناس،و يقـابله السـلام ذلك النور الـذی يضـیء الجنه و إنّ أول و أهم تجليات السـلام هو سـلام القلب حيث يعيش الجميع فی ظل رب السـلام يشـربون من كأس السـلام،و يسرحون فی وادی السلام،و يسمون الی أفق السلام،و لا يبقی غل فی قلوبهم،و لا طمع و لا حسد،و إذا التقی بهم خزنه الجنه حيّوهم بالسلام:

اُدْخُلُوهٰا بِسَلاٰمٍ ذٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (/۳۴ق)

ص:۷۵

و ربّهم سبحانه يحييهم بالسلام:

سَلاٰمٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ (/۵۷يس) و سلام القلب يعكس سلامه الأعضاء و العافيه من جميع الأخطار الحاليه و المستقبليه.

وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهٰا بُكْرَةً وَ عَشِيًّا يظهر من هذه الآيه و من النصوص ان أفضل وجبات الرزق ما كان أول النهار و آخره (۱).

و لعله فی الجنه يتبدل الوقت الی ما يشبه الليل و النهار بازدياد النور و نقصه و نتسائل:أ ليست الجنه تفيض أبدا بالنعم،فلما ذا إذا الرزق بكره و عشيا.و الجواب:

ان المؤمن يزداد رزقا كل يوم و يسير نحو التكامل هناك أبدا.

فقد جاء فی حديث نبوی شريف و نعطيهم طرف الهدايا من اللّه لمواقيت الصلاه التی كانوا يصلون فيها فی الدنيا (۲).

[۶۳] تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِی نُورِثُ مِنْ عِبٰادِنٰا مَنْ كٰانَ تَقِيًّا الجنه ميراث العباد الذين قاموا باكتسابها فی الدنيا عن طريق التقوی.

[۶۴] وَ مٰا نَتَنَزَّلُ إِلاّٰ بِأَمْرِ رَبِّكَ لا تنزّل الملائكه من السماء الی الأرض الاّ بأمر اللّه و حكمته،كما

جاء فی

۱- ۱) راجع تفسير نور الثقلين ج ۳ ص ۳۵۱

۲- ۲) روح المعانی ج ۱۶ ص ۱۰۳

الحديث :ان النبی صلی اللّه علیه و آله و سلّم قال لجبرئیل:

ما منعک ان تزورنا أکثر مما تزورنا؟ فنزلت الآیه: وَ مٰا نَتَنَزَّلُ إِلاّٰ بِأَمْرِ رَبِّکَ ،و هـذه الآیه توحی بأن الوعد الذی وعد اللّه سـبحانه و تعالی عباده بالغیب انما هو وعد أکید اثبته القرآن،لا ینزل الا بأمر اللّه سبحانه.

لَهُ مٰا بَیْنَ أَیْدِینٰا وَ مٰا خَلْفَنٰا وَ مٰا بَیْنَ ذٰلِکَ ان اللّه تعالی هو الذی وعد و لیس(الملائکه)التی وعدت،و انما الملائکه رسل للّه تأتی بالوعد الی البشر و من ثم فان اللّه لا ینسی وعده.

وَ مٰا کٰانَ رَبُّکَ نَسِیًّا اللّه سـبحانه و تعالی وعدکم و هو یعلم وعده و سـیفی لکم به،و لو کان ربنا سـبحانه ینسی،إذا لاختلّ نظام الکون،و لما استطاع ان یلبّی نداء الکائنات،و لما استطاع ان یحفظ جزاء المحسنین،أو یمیّز المحسن من المسیء حین لقائه.

الایمان باللّه و بالبعث:

[۶۵] رَبُّ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مٰا بَیْنَهُمٰا فَاعْبُدْهُ وَ اصْطَبِرْ لِعِبٰادَتِهِ ان طاعه اللّه و عبادته و الاستقامه علیها بحاجه الی صبر عظیم(و اصـطبر لعبادته) لان عباده اللّه تعنی التحرر من کل القیود،و الارتفاع فوق کل السـفاسف،و الصبر أمام کل الضـغوط،لذلک فان القرآن الحکیم یقول(و اصطبر)ای حمّل نفسک الصبر حتی تستطیع أن تعبد ربک...

ص:۷۷

هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا لعل أحد معانى هذه الآيه هل هناك اله يدّعى و لو مجرد ادعاء بأنه رب السماوات و الأرض،و رب هذه الآفاق البعيده اللامتناهيه؟!.

كلا،ليس هناك أحد يدّعى الالوهيه بهذا المعنى،اما هؤلاء الطواغيت الذين يدّعون الالوهيه صراحه أو ضمنا،فان أقصى ما تصل اليه ادعاءاتهم هو أن يقولوا:

نحن نمتلك جنودا نسيطر عليهم،أو اننا نسيطر على قطعه ارض.

[۶۶]هذا عن الايمان باللّه سبحانه و تعالى،و هناك بعد آخر من الايمان هو الايمان باليوم الآخر،و إذا ما آمن الإنسان بهذين البعدين(مبدأه و معاده)فانه يصبح إنسانا متكاملا،لذلك يركز القرآن الحكيم دائما عليها.

وَ يَقُولُ الْإِنْسانُ أَ إِذا ما مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا أتصور ان القرآن حينما يستخدم كلمه(الإنسان)دون كلمه الناس أو البشر و ما أشبه فان ذلك للدلاله على طبيعته،فهناك غريزه اركزت فى خلقه البشر و هى:

ان هذا الإنسان كثيرا ما يتساءل إذا ما مت لسوف اخرج حيّا؟! هل الموت نهايه أم بدايه،أم مرحله بين هذه و تلك؟! [۶۷] أَ وَ لا يَذْكُرُ الْإِنْسانُ أَنّا خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ يَكُ شَيْئاً على الإنسان ان يفكر..ما ذا كنت قبل أن أخلق،ان الذى خلقنى و أوجدنى يستطيع أن يعيدنى،و هذا الكلام ليس كلاما يمكن ان يقنعك بمجرد طرحه عليك، انما هذا يوافق الوجدان،فاذا عدت الى وجدانك و تذكرت أحوالك الماضيه،و تخيلت العدم الذى كنت فيه،و كيف جئت بعد ذلك الى الوجود،آنئذ تفهم قدره اللّه

سبحانه و تعالی،و تحیط ببعض أسـمائه الحسـنی،و کذلک تعرف نفسک،و تعرف انک مخلوق،و انک مقدّر،و ان اللّه هو الذی یدبّر حیاتک و بذلک تستطیع ان تؤمن بالآخره.

ص:۷۹

[سوره مریم (۱۹): الآیات ۶۸ الی ۷۵]

اشاره

فَوَ رَبِّکَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَ اَلشَّیاطِینَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِیًّا (۶۸) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ کُلِّ شِیعَهٍ أَیُّهُمْ أَشَدُّ عَلَی اَلرَّحْمنِ عِتِیًّا (۶۹) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِینَ هُمْ أَوْلی بِها صِلِیًّا (۷۰) وَ إِنْ مِنْکُمْ إِلاّ وارِدُها کانَ عَلی رَبِّکَ حَتْماً مَقْضِیًّا (۷۱) ثُمَّ نُنَجِّی اَلَّذِینَ اِتَّقَوْا وَ نَذَرُ اَلظّالِمِینَ فِیها جِثِیًّا (۷۲) وَ إِذا تُتْلی عَلَیْهِمْ آیاتُنا بَیِّناتٍ قالَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا لِلَّذِینَ آمَنُوا أَیُّ اَلْفَرِیقَیْنِ خَیْرٌ مَقاماً وَ أَحْسَنُ نَدِیًّا (۷۳) وَ کَمْ أَهْلَکْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثاثاً وَ رِءْیاً (۷۴) قُلْ مَنْ کانَ فِی اَلضَّلالَهِ فَلْیَمْدُدْ لَهُ اَلرَّحْمنُ مَدًّا حَتّی إِذا رَأَوْا ما یُوعَدُونَ إِمَّا اَلْعَذابَ وَ إِمَّا اَلسّاعَهَ فَسَیَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَکاناً وَ أَضْعَفُ جُنْداً (۷۵)

اللغه

۶۸[جثیّا]:الجثیّ جمع جاثی و هو الذی برک علی رکبتیه.

۶۹[عتیّا]:العتی مصدر کالعتو و هو التمرد و العصیان.

۷۳[ندیّا]:الندی و النادی المجلس الذی قد اجتمع أهله.

۷۴[رئیا]:الرّئی ما یراه الرجل من ظاهر أحوال القوم.

وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلاّ وٰارِدُهٰا...

اشاره

ثُمَّ نُنَجِّی الَّذِینَ اتَّقَوْا

هدی من الآیات:

الآخره صوره مصغّره عن الدنیا من أعمال و تصورات و أفکار،و القرآن الحکیم حین یعرض لنا مشاهد الآخره فأنه یشیر إلی تلک الحقائق التی صنعت هذه المشاهد لکی یقرّب فهم الإنسان من واقع عمله فی الدنیا،و کیف یتحول الی شیء حیّ فی الآخره.

و القرآن الحکیم فی هذا المشهد الرهیب یبیّن لنا:کیف ان العلاقات التی کانت فی الدنیا تتطوّر و تتغیّر لتتجسد فی الآخره،فتصبح هنالک شیئا آخر و بالتالی تحدد طریق الإنسان اما الی الجنه أو الی النار.

إن الرجل الذی تتبعه و تطیعه فی الدنیا سوف یکون إمامک اما الی الجنه أو الی النار،و یرکز القرآن فی هذه الآیات حول أولئک الذین یهدون الناس الی النار،إذ لا بد أن نتفکر جیّدا لکی لا نربط مصیرنا بالبعض بصوره عفویه،و من دون تفکیر.

ص:۸۲

ثـم يحـدد القرآن لنـا جانبـا مـن واقـع الآخـره،و ارتبـاط الـدنيا بـذلك الواقـع و هـو:إن الـدنيا تحتـوى على خير و شـر،صـلاح و فساد،فالخير و الصلاح يتحولان فى الآخره الى جنه و نعيم أما الشر و الفساد فيتحولان الى عذاب شديد،و من اتقى فى الدنيا الشر و الفسـاد،و ابتعـد عنهمـا بالرغم من انهما كانا يحومان حوله و يحوم حولهما،فانه فى الآخره يـدخل نار جهنم و لكنه يخرج منها بسرعه.

القرآن الحكيم يوضـح لنا حقيقه فيقول:إن الناس جميعا سوف يدخلون نار جهنم لأنهم جميعهم فى الدنيا كانوا قريبين من الشرّ و الفساد،لـذلك تجـدهم فى الآخره قريبين من نتائجهما،و لكن الـذى ابتعـد عنها عمليا فى الـدنيا فأنه يسـتطيع أن ينقذ نفسه من نتائجهما عمليا فى الآخره،و من لم يفعل ذلك فان شر جهنم سوف يحيط به.

لنتصور الشـر الـذى يقوم به الإنسان فى الـدنيا،حين يؤذى الناس (بلسانه-بقلمه-بعمله)فأن أعماله هذه تتحول فى الآخره،الى حيّه حجمهـا بقـدر حجم الأذيّه التى سـببها للآخرين فى الـدنيا،و عنـد ما يأتى الإنسان فى يوم القيامه يتحتم عليه أن يعبر جهنم لكى يدخل الجنه و فى حاله عبوره يلتقى بصاحبته تلك الحيّه..

إذن دعنا نتصور ان الحياه الدنيا هى نفسها الآخره،إلا أنها فى الآخره أكبر.

و هنالـك فكره تـذكر بهـا هـذه الآيـات و هى:إن بعض الناس يحسـبون ان النعم التى يوفرها اللّه لهم دليل على إنهم قريبون منه سبحـانه،فـاذا لم يكن اللّه يحبهم فلمـا ذا أعطـاهم القوه و المـال و الأولاـد و الجـاه و الجمـال و الحيويه؟! هناك آيات كثيره من القرآن تنفى هذه الفكره و تقول:كلا..إن النعم التى يسـبغها اللّه على الإنسان فى الدنيا قد تكون بسـبب رضا اللّه عنه،و قد تكون بسبب

سخطه علیه،و إن الـذی یکفر و یظلم،یوفر له النعم حتی یستدرجه أکثر فـأکثر، فیأخـذه مره واحـده،أمـا العـذاب فی الـدنیا،و أما العذاب فی الآخره.

بینات من الآیات:

[۶۸]إن اللّه سبحانه لا یحضر الإنسان وحده فی یوم القیامه و إنما یحضره مع شیاطینه،فکما إن الشیاطین کانوا یغوون الإنسان و یضلونه فی الـدنیا،فهم فی الآخره یقومون بـدور تعذیبه فالشیطان کان یتبعه فی الدنیا(یظلمه و یؤذیه و یجرح کبریاءه)و إنّه یراه یوم القیامه أمامه یتلقّاه بالصفع و الضرب،و الشیطان الـذی کان فی قلبه یدفعه الی اتباع الشهوات و لم یره و لم یشاهد صورته هنـا،و لکنه سیأتی فی یوم القیامه بأقبح وجه و أول عمل یقوم به اللعین هو أن یبصق فی وجهه و یقول للإنسان:ما ذا جنیت عند ما اتبعتنی،فبئس المصیر مصیرک،فیقول له:لقد اتبعتک فخلصنی من النار،فیجیبه:دعنی أخلص نفسی أولا(!)..

إذن فعلاقاتنـا السیئه فی الـدنیا مع الشیاطین(شیاطین الجن و الإنس)ستستمر الی الآخره و یصبح هؤلاء إن لم نتب،قرناء لنا فی الآخره منذ المطّلع و الی دخول النار و العیاذ باللّه.القرآن الحکیم یقول:

فَوَ رَبِّکَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَ الشَّیاطِینَ أی لنبعثنّهم محشورین مع شیاطینهم الذین اتبعوهم.

ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِیًّا یحشر اللّه الناس حول جهنم جاثین علی رکبهم،ذلک إنهم لا یستطیعون أن یقفوا علی أقدامهم من شده الخوف إذ یمنعهم الزحام الشدید من الاستلقاء أو اتخاذ جلسه مریحه،و لذلک هم یضطرون الی اتخاذ وضع الجثو علی رکبهم و فی ذلک مزید

من العذاب لهم..

[۶۹] ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمٰنِ عِتِيًّا فى يوم القيامه،يشير اللّه الى إمام المجرمين فيعزله،ليكون قائدا لاتباعه الى النار.

و الشيعه:كل مجموعه يشايعون أحدا و يتبعونه..

[۷۰] ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلىٰ بِهٰا صِلِيًّا من الذين يكونون أولى بدخول نار جهنم؟انهم أئمه الضلال و قاده الأنظمه الفاسده فهم أول من يدخلها،ثم يتبعهم شيعتهم الأقرب فالأقرب،الملك أولا ثم رئيس الوزراء،ثم الوزراء ثم الموظفون،و هكذا حسب درجاتهم فى الدنيا و اتباعهم للإمام الظالم،فأنهم يوم القيامه أيضا يتبعونه الى نار جهنم..

[۷۱] وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلاّٰ وٰارِدُهٰا كل واحد منكم سيرد نار جهنم..

كٰانَ عَلىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا إن هذا حتم قطعه اللّه على نفسه،فكما ان كل إنسان يدخل الدنيا ليمتحن فيها،كذلك كل إنسان يدخل النار فى الآخره و عليه أن ينقذ نفسه بما قدّم من أعمال صالحه فى الدنيا و

لقد جاء فى حديث عن عبد اللّه بن مسعود عن رسول اللّه(صلى اللّه عليه و آله)،قال:

«يرد الناس النار ثم يصدرون بأعمالهم،فأولهم كلمح البرق،ثم كمرّ الريح

ثم كحضر الفرس،ثم كالراكب،ثم كشدّ الرجل ثم كمشيه » (۱)و

جاء فى حديث عن رسول اللّه(صلى اللّه عليه و آله)يقول:

«تقول النار للمؤمن يوم القيامه:جزيا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبى » (۲)[۷۲] ثُمَّ نُنَجِّی الَّذِینَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظّالِمِینَ فِیها جِثِیًّا یبقى الظالمون جاثين على ركبهم فى جهنم ليذوقوا العذاب،لأنهم ظلموا أنفسهم و لم يتقوا نار جهنم فى الدنيا.

يقول رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى خطبته التى ألقاها قبل شهر رمضان :

«اتقوا اللّه و لو بشقّ تمره » إن شق التمر الذى يعطيه الإنسان سوف يكون له خلاصا من نار جهنم بقدره، و كل عمل صالح يعمله فى الدنيا يصبح زادا لمسيره الخروج من نار جهنم.

المقاييس الماديه:

[۷۳] وَ إِذا تُتْلی عَلَیْهِمْ آیاتُنا بَیِّناتٍ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لِلَّذِینَ آمَنُوا أَیُّ الْفَرِیقَیْنِ خَیْرٌ مَقاماً وَ أَحْسَنُ نَدِیًّا هنا يعالج القرآن مشكله نفسيه أخرى و هى مشكله تقييم الحقائق بالماديات، فقد تتلى آيه من القرآن على إنسان فلا يستمع إليها باعتبارها آيه قرآنيه نزلت من السماء،لماذا لأنّ الذى يتلو عليه تلك الآيه رجل فقير،فيقول فى نفسه:كيف أسمع كلامه؟!في الحقيقه أنت لا تسمع كلامه،و إنما تسمع كلام اللّه،و هكذا فهو يقيم

۱- ۱) نور الثقلين ج ۳ ص ۳۵۳

۲- ۲) المصدر ص ۳۵۴

الحقائق بحسب وضعه المادى،و يقول: أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقاماً وَ أَحْسَنُ نَدِيًّا .

خير مقاما:يعنى أحسن مكانا،و أكثر نديّا:أكثر أصحابا و جماعه.

[۷۴] وَ كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثاثاً وَ رِءْياً لقد أهلكنا كثيرا من الأمم السابقه بالرغم من أنهم كانوا يتملكون الأمتعه و مظاهر الأبهه و العظمه،لأنهم لم يفكروا أو يعتبروا.

إن الحقائق تقاس بذاتها لا بما يملك الإنسان من ماديات و مظاهر،و إن هذه المظاهر ليست دليلا على أن اللّه يحب صاحبها أو أنه يرضى بعمله.

[۷۵] قُلْ مَنْ كانَ فِي الضَّلالَهِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمنُ مَدًّا إن اللّه يمد فى ضلاله الإنسان الضال،بامداده بالنعم،حتى يفقد الأمل فى العوده الى الهدايه،آنئذ يأخذه مره واحده أخذ عزيز مقتدر.

حَتّى إِذا رَأَوْا ما يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذابَ وَ إِمَّا السّاعَهَ أما عذابا بئيسا فى الدنيا أو عذابا بئيسا فى الآخره.

فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكاناً وَ أَضْعَفُ جُنْداً آنئذ يعلمون بأن أموالهم و أولادهم لا تغنى عنهم من اللّه شيئا،كما أن أصحابهم و جنودهم و رجالهم لا يغنون عنهم من اللّه شيئا إذا حانت ساعه الثوره، و أحاط بهم العذاب على يد المستضعفين فى الدنيا،أو سبق الأجل ثوره المستضعفين فأخذهم الى نار جهنم،حينئذ سيعلمون عاقبه الغرور بالدنيا و زينتها.إن فخر الإنسان و مباهاته يجب أن يتأخر الى الآخره،و إذا خطر بباله أن يغتر بالدنيا فعليه

أن ينهى نفسه عن ذلـك و يقول لهـا:انتظرى الى يوم القيامه،حينما تكون الجنه من نصـيبك فآنئـذ يحق لك الافتخار و الاختيال أمـا إذا رموك مثلما ترمى القمامه فى نار جهنم فهل تسـتطيع فى هـذه الحاله أن تـدعى لنفسك شـرفا؟كلا...انه فى نفس الوقت الذى يمد اللّه فى ضـلاله الضالين فانه يمد فى هدايه المهتدين بهداه،و هذا هو الفرق،فانك إذا أصبحت مهتديا فان اللّه يزيدك هدى،أما الإنسان الضال فان اللّه يزيده شهره و أموالا و أنصارا و يملى له الى حين.

[سوره مريم (١٩): الآيات ٧٦ الى ٨٤]

اشاره

وَ يَزِيدُ اَللّٰهُ اَلَّذِينَ اِهْتَدَوْا هُدىً وَ اَلْبٰاقِيٰاتُ اَلصّٰالِحٰاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوٰاباً وَ خَيْرٌ مَرَدًّا (٧٦) أَ فَرَأَيْتَ اَلَّذِي كَفَرَ بِآيٰاتِنٰا وَ قٰالَ لَأُوتَيَنَّ مٰالاً وَ وَلَداً (٧٧) أَطَّلَعَ اَلْغَيْبَ أَمِ اِتَّخَذَ عِنْدَ اَلرَّحْمٰنِ عَهْداً (٧٨) كَلاّٰ سَنَكْتُبُ مٰا يَقُولُ وَ نَمُدُّ لَهُ مِنَ اَلْعَذٰابِ مَدًّا (٧٩) وَ نَرِثُهُ مٰا يَقُولُ وَ يَأْتِينٰا فَرْداً (٨٠) وَ اِتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اَللّٰهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلاّٰ سَيَكْفُرُونَ بِعِبٰادَتِهِمْ وَ يَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢) أَ لَمْ تَرَ أَنّٰا أَرْسَلْنَا اَلشَّيٰاطِينَ عَلَى اَلْكٰافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (٨٣) فَلاٰ تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمٰا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (٨٤)

اللغه

٨٣[تؤزهم]:الأز الإزعاج و قيل تؤزهم أزا اى تغريهم بالمعاصى إغراء.

ص:٨٩

وَ الْباقِياتُ الصّالِحاتُ

اشاره

خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ

هدى من الآيات:

فى إطار الموضوع العام لسوره مريم فى ترشيد العلاقه بين الإنسان و بين أولاده و أسرته.و لكن لا تضل هذه العلاقه عن الصراط المستقيم.تعالج آيات هذا الدرس مرض النفس البشرى و هو الغرور بالمال و الولد،و تبين أن اهتداء البشر من مسئوليته إلا إن اللّه يزيده هدى،و إن من أهم ما يهدى إليه الربّ عبده العمل للمستقبل.

ذلك إن الأعمال الصالحات التى تبقى خير عند اللّه ثوابها،و خير مصيرها،أما الضالون الذين يكفرون بآيات اللّه،و يفترّون بما أوتوا من مال و ولد.و لكن هل اطّلعوا على الغيب و علموا ان اللّه لا يعذبهم،أم اتخذوا عند الرحمن بذلك عهدا.

كلا..إنّ ادعاءه الكاذب بذلك سوف يصبح بذاته وبالا عليه.و سوف يمدّ اللّه له من العذاب مدّا،و سوف يورثه اللّه أقواله،و يمتثل أمام ربه للجزاء وحده من دون مال و ولد.

و تراهم اتخذوا آلهه من دون اللّه،ليعتزوا بهم.كلاّ..بل سوف تكون عبادتهم

ص:٩٠

للآلهه وبالاـ عليهم،فيكفرون بعبادتهم،و ينقلبون ضدهم. إن الشياطين يثيرون الكافرين،و يسوقونهم نحو الضلاله،فلا تعجل فى طلب العقوبه لهم.إذ أنّ استمرار ضلالتهم و كفرهم سيكون سببا لمزيد العقاب عليهم.

هكذا ينبغى أن يتّقى البشر الاعتماد على المال و الولد و الآلهه،و تكون صلته باللّه هى الأسمى و الأعلى و الأمتن.

بيّنات من الآيات:

اشاره

[۷۶]بما أن آيات الذكر لا تسدى إلينا الوصايا و المواعظ فحسب،بل تعالج بعمق الانحرافات النفسيه التى تعجل الإنسان يتورط فى علاقات شاذّه مع زينه الحياه الدنيا،من مال و ولد،سواء بالغرور بها أو بالاستسلام لها من دون إراده أو تفكير،و هكذا يؤكد السياق هنا أن(قرار)الاهتداء الى اللّه من مسئوليه البشر، فعليه أن يخطو الى ربه الخطوه الأولى.حيث سيتولّاه اللّه بعدئذ برحمته فيزيده هدى.

وَ يَزِيدُ اللّٰهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً و ليس على الإنسان أن يلاحظ لحظاته الحاضره فقط،و إنما ينظر بعيدا الى المستقبل،و ما ذا يجب أن يعمل فيه.

إن الأعمال الحسنه بالرغم من أنها قد تبدو ضائعه فى بادئ الرأى،الا أنها باقيه،و ستعود الى صاحبها بصوره مضاعفه،لذلك نجد القرآن الحكيم يقول،عن الباقيات الصالحات،« وَ خَيْرٌ مَرَدًّا »أى أنها ترد إليك أضعافا مضاعفه بعد أن تزكو و تنمو.

وَ الْبٰاقِيٰاتُ الصّٰالِحٰاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّکَ ثَوٰاباً وَ خَيْرٌ مَرَدًّا

فجزاؤه أفضل،و عاقبته أحسن.

بلى إنّ كل فعل صالح تقوم به اليوم يصبح غدا جنات واسعه تعيش فيها بإذن اللّه خالدا.حتى الكلمات التى يلهج بها اللسان،و قد يستهين بقدرها المرء تصبح موادا أوليه لبناء قصوره فى الجنه.

جاء فى حديث مأثور عن أبى عبد اللّه الصادق(عليه السلام)عن جده الأكرم محمد(صلى اللّه عليه و آله)انه قال :

«لمّا أسرى بى الى السماء دخلت الجنه فرأيت فيها قيعانا يقفا (۱)و رأيت فيها ملائكه يبنون،لبنه من ذهب و لبنه من فضه،و ربما أمسكوا،فقلت لهم:ما لكم ربما بنيتم و ربما أمسكتم؟فقالوا:حتى تجيئنا النفقه،فقلت لهم:و ما نفقتكم؟قالوا:قول المؤمن فى الدنيا:سبحان اللّه و الحمد للّه و لا إله إلا اللّه و اللّه أكبر،فاذا قال بنينا،و إذا أمسك أمسكنا » (۲)[۷۷]ثم يبيّن بأن أولئك الذين يتعلقون بأموال الدنيا،و يزعمون بأن سعيهم و عملهم ينبغى أن يكون من أجل الدنيا،و من أجل الحصول على المال و الولد.ان هؤلاء على خطأ كبير،لأن زينه الحياه الدنيا ليس من المؤكد الحصول عليها،فقد يحصل الإنسان عليها و قد لا يحصل.

و لو افترضنا أنه حصل عليها فليس من المضمون أن تكون رحمه،بل قد تكون عذابا له،اما فى الدنيا أو فى الآخره،و أخيرا فان ما يحصل عليه الإنسان قد يسعده فى الدنيا،و لكن هل الدنيا نهايه رحله الإنسان؟كلا..

إذن عليه أن لا يحصر كل اهتمامه،و كل سعيه من أجل الحصول على المال

۱- ۱) أى أراضى بيضاء.

۲- ۲) تفسير نور الثقلين ج ۳ ص ۳۵۶.

و الولـد،كما عليه أن لا يتعلق بغير اللّه و يجعله إلها يعبـده من دونه،فان المال قـد يصـبح معبود الإنسان،كـذلک الولـد،و العلم،و الغنى.

و عموما إنّ على الإنسان أن لا يفقد ذاته من أجل شیء،أنّى كان ذلک الشیء.

فـاذا عشـقت العلم لمجرد العلم،و ليس لمنفعتـک و لاـ لمنفعه الناس،و إذا أحببت الفن للفن لا لمنفعتک و لا لمنفعه أحـد،و أی شیء فی الحيـاه لو عشـقته عشـقا مجردا من دون أن تفكر فی مـدى منفعته لـک أو لمجتمعـک أو لقيمـک،فان ذلک لن يكون مجديا.

لأن هذا الشیء سوف ينتهی و لن يعطيک شيئا،بل سوف تخسر نفسک،و تخسر آمالک و تطلعاتک.

نعم:العلم فی حـدود الإيمـان،و الفن من أجـل سـعادتک و سـعاده الناس،و السـلطه من أجل العـداله،و الثروه من أجل العماره،و هكـذا سـائر أشياء الحياه الـدنيا إن كانت من أجل القيم و فی حـدود القيم كانت نافعه لأننا آنئـذ نحب تلک الأشـياء لأننا نحب القيم،أما إذا انعكست الآيه و أردنا أن تكون القيم وراء الأشياء، و تحولت الحياه الى شیء يعبد من دون اللّه،فان هذا لن ينفعنا،لا فی الدنيا و لا فی الآخره،يقول ربنا سبحانه:

أَ فَرَأَيْتَ الَّذِی كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَ قَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَ وَلَداً فی مقابل الباقيات الصالحات التی يدخّرها الإنسان لمسـتقبله،هناک من يسعى و يـدخّر جهوده ليس من أجل الباقيات الصالحات،و ليس من أجل اللّه،و لا رسالته،و لا من أجل المجتمع،إنما لكی يصـبح أكثر أموالا و أولادا.

و القرآن الكريم يقول: أَ فَرَأَيْتَ الَّذِی كَفَرَ أی انظر و تـدبّر فی عـاقبه هـذا الرجل الـذی كفر بآياتنا.إن الإنسان الـذی يسـعى من أجل المال و الولد فی حدود

الایمـان بـاللّه و فی حـدود القیم فلا بأس علیه،أما الـذی یکفر بالآیات من أجل المال و الولـد و غرورا بهما فما علیه إلا أن ینتظر عاقبته،و یبدو من الآیه:إنّ الإنسان یشعر فی قراره نفسه بالضعف،و فطرته تدعوه إلی أن یجبر هذا الضعف الذاتی بالایمان باللّه،و بآیاته المبثوثه فی الکون،و المنزله علی النبی فی الکتاب،إلاّ أنّ الشـیطان قد یضله عن هذا السبیل الحق،و یغویه بالتمسک بالمال و الولد بزعم انهما یغنیاه شیئا و یجبران ضعفه الذاتی،و لکن هیهات.

هل یعلم هذا الإنسان بأنه سـیحصل علی المال و الولد حتی یؤکد ذلک تأکیدا و یقول:« لَأُوتَیَنَّ مٰالاً »بلام التأکید و نونه؟کلا.. و أبسـط دلیـل علی عـدم علم الإنسـان بـالغیب هو أن یحاول کتابه قائمه تفصـیلیه لما سـیعمله غـدا ثم یحاول فی الیوم الثانی بکل جهـده أن یعمـل کـل الأعمـال الـتی کتبهـا فی برنـامجه،و لکنه سـیجد نفسه قـد فشـل فی تطـبیق کـثیر من بنوده لأـی سـبب من الأسباب..

یقول الامام علی علیه السلام :

«عرفـت اللّه بفسـخ العزائم و نقض الهمم » [۷۸] أَطَّلَعَ الْغَیْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْداً إن ضـمان تطبیق شـیء لا یکون إلا عن طریق أمرین:اما العلم بالمستقبل،و اما قدره اللّه،و لکن الإنسان الذی لیس لدیه ضمانه من اللّه و لا علم له بالمستقبل کیف یعتمد علی شیء غیر موجود.جاء فی حدیث فی سبب نزول الآیه ما یلی:

عن أبی جعفر(علیه السـلام) فی قوله عز و جـل: أَ فَرَأَیْتَ الَّذِی کَفَرَ بِآیٰاتِنٰا وَ قٰالَ لَأُوتَیَنَّ مٰالاً وَ وَلَداً (ان العاص بن وائل بن هشام القرشـی ثم السهمی و هو أحد المستهزئین،و کان لخباب بن الأرت علی العاص بن وائل حق،فأتاه یتقاضاه،فقال له العاص:ألستم تزعمون ان فی الجنه الذهب و الفضه و الحریر؟قال:بلی،قال:فموعد ما بینی و بینک الجنه فو اللّه لأوتین

فيها خيرا مما أوتيت فى الـدنيا،يقول اللّه عز و جل: أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً كَلاّ سَنَكْتُبُ ما يَقُولُ وَ نَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذابِ مَدًّا وَ نَرِثُهُ ما يَقُولُ وَ يَأْتِينا فَرْداً وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلاّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبادَتِهِمْ وَ يَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا و الضد القرين الذى يقرن به) (١)[٧٩] كَلاّ سَنَكْتُبُ ما يَقُولُ و أما ما يحصل عليه عمليا من نعم و مكاسب ماديه فى الحياه الدنيا،فمن يضمن أنها ستكون مصدر سعاده له،بل على العكس من ذلك قد تجرّه الى تعاسه و عذاب.

وَ نَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذابِ مَدًّا إن هـذه النعم ليست سعاده بالنسبه إليه،و إنما هو ذنب عجّلت عقوبته،كما جاء فى الحديث و هو لا يشعر بذلك.

[٨٠] وَ نَرِثُهُ ما يَقُولُ وَ يَأْتِينا فَرْداً معنى الآيه-كما ذكروا-إن اللّه يرث ما يقوله الفرد عن المال و الأولاد، و بتعبير آخر:يرث اللّه منه ما يعتمد عليه.

إن ما يحصل عليه من المال و الولد سيذهب عنه بعد حين،و الذين كان لديهم أموال و أولاد ذهبوا عن أموالهم و أولادهم أيضا،و لم يصحبوا معهم الى القبر سوى قطعتين من الكفن.

اللّه سبحانه هو الباقى و هو الذى يرث الأرض و من عليها،فالأولاد و الأموال لا

١- ١) نور الثقلين ج ٣ ص ٣٥٦.

تبقی له و لا هو یبقی لها،و یوم القیامه یأتی وحده عاریا حافیا حاسرا،لا یملک أی شیء« وَ یَأْتِینا فَرْداً ».

[۸۱]إنّ البشر یبحث عن شیء أو شخص یعتمد علیه،و یجبر به ضعفه الذاتی، و یعالج به شعوره بالضعفه و الذله.فقد یتخذ المال و الأولاد جابرا لضعفه فیعتز بها، و قد یبحث عن آلهه من أصنام بشریه أو حجریه-فیقول عنه ربنا:

وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّهِ آلِهَهً لِیَکُونُوا لَهُمْ عِزًّا هؤلاء بدورهم اتخذوا آلهه انتموا إلیها من أجل أن یکونوا أعزاء،و أساسا الانتماء الی جهه ما سواء کانت عشیره،أو حزبا،أو تیّارا سیاسیّا،أو سلطه حاکمه،أو ما أشبه،إن لم یکن من أجل اللّه،و من أجل القیم و الرساله،فلا بدّ أن تکون من أجل العزّه الدنیویه،ذلک ان الإنسان حینما یشعر بنقصه الذاتی فیری نفسه مهینا ضعیفا یحاول الانتماء الی جهه معینه،کأن ینتمی الی تیّار حزبی مثلا لکی یعطیه العزه التی یبحث عنها،و هناک طائفه کبیره من الناس-و للأسف- یسیرون علی هذا النهج،فهم بالاضافه الی أنهم لن یجدوا عندهم العزه،فإنهم سیکونون علیهم ضدّا.

[۸۲] کَلاّ سَیَکْفُرُونَ بِعِبادَتِهِمْ وَ یَکُونُونَ عَلَیْهِمْ ضِدًّا آنئذ سیندمون ندما شدیدا،و یتحسرون علی شبابهم الذی ضیّعوه فی خدمه هذا التجمع الزائف،و قیادته الکافره،و یقولون:لقد اتبعناه،و وفرنا له العزه و السلطه علی حساب مصلحتنا،و مصلحه أمتنا،و قیم رسالتنا،و لم نحصل مقابل ذلک إلا علی سخط اللّه من جهه،و عداوه من انتمینا إلیهم.و هذه النهایه المأساویه لیست مقصوره علی یوم القیامه،بل هی کثیرا ما تتحقق فی الدنیا قبل الآخره.إنّ الطاغیه

الذی نتخذه من دون اللّه إلها،تسمع له،و تطیع أمره،و تزعم انه عزّ لک،إنه یکفر بعبادتک و لا یوفّر الحمایه لک،بل إنه سیکون ضدک لأنه یعیش لنفسه فحسب،و إذا خالفت مصالحه مصالحک فانه سوف یضربک عرض الحائط،و کل تاریخ الطغاه شاهد حق علی هذه الحقیقه،و لعلک تقول:إنی لا أعبده،بل أطیعه.کلا.

إنک تعبده حین تسمع له،و تطیع أمره،و ما جوهر العباده إلاّ الطاعه.جاء فی حدیث شریف فی تفسیر هذه الآیه.

عن أبی عبد اللّه(علیه السلام) فی قوله: «وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ آلِهَهً لِیَکُونُوا لَهُمْ عِزًّا کَلاّٰ سَیَکْفُرُونَ بِعِبٰادَتِهِمْ وَ یَکُونُونَ عَلَیْهِمْ ضِدًّا» یوم القیامه أی یکون هؤلاء الذین اتخذوهم آلهه من دون اللّه ضدا یوم القیامه،و یتبرءون منهم و من عبادتهم الی یوم القیامه ثم قال:لیس العباده هی السجود و لا الرکوع،و إنما هی طاعه الرجال،من أطاع مخلوقا فی معصیه الخالق فقد عبده،و قوله عز و جل:

« أَنّٰا أَرْسَلْنَا الشَّیٰاطِینَ عَلَی الْکٰافِرِینَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا »قال:لما طغوا فیها،و فی فتنتها،و فی طاعتهم،و مدّ لهم فی طغیانهم و ضلالتهم،أرسل علیهم شیاطین الانس و الجن تَؤُزُّهُمْ أَزًّا أی تنخسهم نخسا،و تحضهم علی طاعتهم و عبادتهم،فقال اللّه عز و جل: فَلاٰ تَعْجَلْ عَلَیْهِمْ إِنَّمٰا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا أی فی طغیانهم و فتنتهم و کفرهم (1)

جزاء الکافرین:

[83] أَ لَمْ تَرَ أَنّٰا أَرْسَلْنَا الشَّیٰاطِینَ عَلَی الْکٰافِرِینَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا إن الشیاطین یدفعون الکافرین دفعا الی العذاب،الی حیث النقمه و الشقاء.

هکذا یفعل الشیاطین بالکافرین،و لکن اللّه لیس بظلام للعبید،فهو لا یبعث

1- 1) تفسیر نور الثقلین ج 3 ص 357.

الشیاطین علی المؤمن المخلص الذی انتهج منذ البدء طریق الهدی،و الشیطان لا یقدر علیه مهما حاول جهده،أما ذلک الإنسان الـذی کفر باللّه ابتداء،و ترک الاعتصام بحبله،و ظل بدون محور صـحیح یدور علیه،و لا قاعده ثابته یعتمد علیها، فأن اللّه یرسـل علیه شـیطانا یـدفعه الی النار فی الآخره،و العـذاب فی الـدنیا،و الآیه هـذه شاهده علی الآیه السابقه،إذ إنّ الشـیاطین و هم الحکام الظلمه،و الأحزاب الکـافره، و إبلیس و جنوده،لا یزالون ینخسون مریـدیهم و تابعیهم،و یحرضونهم علی طاعتهم حتی یوردونهم نار جهنم.

[۸۴] فَلاٰ تَعْجَلْ عَلَیْهِمْ لذلک لا تعجل علی هؤلاء الذین یمشون فی هذا الطریق،و ینتمون الی هذه الأحزاب المشـبوهه الباطله،فی سبیل تثبیت الأنظمه الفاسده،فان الشیطان سوف یدفعهم الی مصیرهم المحتوم.

جاء فی حـدیث عن قوله:« أَ لَمْ تَرَ أَنّٰا أَرْسَلْنَا الشَّیٰاطِینَ عَلَی الْکٰافِرِینَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا »قال:نزلت فی مانعی الزکاه و المعروف، یبعث اللّه علیهم سلطانا أو شـیطانا فینفق مـا یجب علیه من الزکاه فی غیر طاعه اللّه، و یعـذبه علی ذلک (۱) إِنَّمٰا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا إن کل خطوه یخطونها،و کل سـعی یسـعونه،یتحول الی عذاب یعدّه اللّه لهم، و یحصـیه علیهم،و قد جعل لدی کل واحد منهم رقیبا من الملائکه،یسجّل علیه کل حرکاته و سـکناته بـدقه بالغه،بحیث لا یفوته أدق الأمور،و هـذا الرقیب لا یمل،و لا یتعب،و لا یعتریه الخلل أو العطل،و ربما لذلک یسـتغرق عذاب الآخره وقتا طویلا، قد یبلغ ملایین السنین،و هی الفتره اللازمه لمعاقبه المجرم علی کل ما اقترفه فی الدنیا

۱- ۱) المصدر.

من آثام.

فنفس واحد يتنفس المجرم فى مجلس الشيطان،أو فى مجلس الظالمين،أو فى مجلس السوء أو..أو.يسجل عليه إثما،فكيف إذا كان يدفع الجنود الى الحرب؟! إن كل عمل تقوم به مهما كان صغيرا سوف يتحول الى عقرب يلدغه يوم القيامه،و سواء كان يؤمن بهذا الشيء أو لا يؤمن،فذلك غير مهم،فليس من الضرورى أن تؤمن بأن هذا الشيء الذى تأكله إنما هو سمّ قاتل حتى يضرك،فاذا أخذت قرصا و بلعتها زاعما انها قطعه سكّر و كان سما،فهل ذلك يدفع عنك تأثير السم؟كلا..

هكذا إذا كانت تخدم الظالم و لا تؤمن بأنك تقوم بجريمه،فان ذلك سوف يكتب عليك جريمه،لأنك اخترت طريق الخطأ،و سواء رضيت أو لم ترض،فهذا قدر اللّه و قضاؤه،و يجب أن تخضع لأمر اللّه سبحانه.

إن من يريد أن يخلّص نفسه يجب عليه أن يتوب سريعا،أما إذا جاءه الموت أو الساعه،و قرّر أن يتوب فتوبته ستكون غير مقبوله.

جاء فى حديث شريف حول هذه الآيه :

«قال لى:ما عندك؟قلت:عندى عدد الأيام قال:لا،إن الآباء و الأمهات ليحصون ذلك،و لكن عدد الأنفاس » (1)

١- ١) المصدر.

[سوره مریم (۱۹): الآیات ۸۵ الی ۹۸]

اشاره

یَوْمَ نَحْشُرُ اَلْمُتَّقِینَ إِلَی اَلرَّحْمٰنِ وَفْداً (۸۵) وَ نَسُوقُ اَلْمُجْرِمِینَ إِلیٰ جَهَنَّمَ وِرْداً (۸۶) لاٰ یَمْلِکُونَ اَلشَّفٰاعَهَ إِلاّٰ مَنِ اِتَّخَذَ عِنْدَ اَلرَّحْمٰنِ عَهْداً (۸۷) وَ قٰالُوا اِتَّخَذَ اَلرَّحْمٰنُ وَلَداً (۸۸) لَقَدْ جِئْتُمْ شَیْئاً إِدًّا (۸۹) تَکٰادُ اَلسَّمٰاوٰاتُ یَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ اَلْأَرْضُ وَ تَخِرُّ اَلْجِبٰالُ هَدًّا (۹۰) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَداً (۹۱) وَ مٰا یَنْبَغِی لِلرَّحْمٰنِ أَنْ یَتَّخِذَ وَلَداً (۹۲) إِنْ کُلُّ مَنْ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ إِلاّٰ آتِی اَلرَّحْمٰنِ عَبْداً (۹۳) لَقَدْ أَحْصٰاهُمْ وَ عَدَّهُمْ عَدًّا (۹۴) وَ کُلُّهُمْ آتِیهِ یَوْمَ اَلْقِیٰامَهِ فَرْداً (۹۵) إِنَّ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ سَیَجْعَلُ لَهُمُ اَلرَّحْمٰنُ وُدًّا (۹۶) فَإِنَّمٰا یَسَّرْنٰاهُ بِلِسٰانِکَ لِتُبَشِّرَ بِهِ اَلْمُتَّقِینَ وَ تُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدًّا (۹۷) وَ کَمْ أَهْلَکْنٰا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِکْزاً (۹۸)

اللغه

۸۶[وردا]:الورد الجماعه التی ترد الماء.

۸۹[إدّا]:الأمر العظیم.

۹۰[هدّا]:الهدم بشده صوت.

ص:۱۰۰

٩٧[لدّا]:اللّه جمع ألد و هو المخاصم الشديد الخصومه.

٩٨[ركزا]:صوتا خفيّا.

ص:١٠١

وَ قالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَداً

هدى من الآيات:

فى الدرس الأخير من سوره مريم يذكّرنا القرآن بسلسله من الحقائق،تلك التى ذكّرت بها الدروس السابقه،و هى تصلح علاقتنا بالناس و الأشياء:و أبرزها:

تذكره الإنسان بيوم القيامه،حيث يحشر المتقون مكرمين الى ربهم وفدا،بينما يساق المجرمون الى جهنم ليردوها وردا،و هذه التذكره ليست تذكره عقائديه فحسب،و إنما تخلق أيضا معادله فى فؤاد الإنسان ذلك لأنه،إذا عرف الإنسان بدايه شيء و نهايته،فانه يعرفه بصوره أفضل،و بدون ذلك فان معرفته تكون ناقصه.

و إذا عرف الى أين تنتهى حياته الدنيا،و ما هو مصيرها فانه يكون قد حصل على معرفه عميقه بها،فيتعامل معها معامله سليمه،علما بأن آيات سوره مريم، كما الكثير من آيات القرآن-تهدف فيما تهدف-جعل علاقه الإنسان بالحياه الدنيا علاقه سليمه.

ص:١٠٢

و تشير آيات هذا الدرس الى فكره نفى الشرك،و بالذات فيما يرتبط برفض فكره الولد،و لعلّ الحكمه فى ذلك أن فكره الولد هى التى تكمن وراء النزعه العنصريه و هى من العلاقات الشاذه بين الإنسان و بين الآخرين.

إن الإنسـان الـذى يحسب نفسه ابنا للّه،أو يحسب آباءه هكـذا،تكون علاقته بآبائه و جماعته و عشيرته شاذّه،تتمحور حول(الشيء)،بينما القرآن الحكيم يهدف تحرير الإنسان من العلاقه(الشيئيه)فى الحياه،سواء كانت العنصريه أو العصبيه اللتان هما من أبرز العلاقات الشاذه بين الإنسان و بين الآخرين.أو غيرهما من العلاقات الشيئيه التى تخالفها علاقه القيم المعنويه التى تؤكد أنه ليس هنالك علاقه بين اللّه و الإنسان سوى علاقتين،علاقه الخلقه،أى أن اللّه خلقنا و نحن عبيده،و علاقه الايمان و العمل الصالح،و بالتالى علاقه القيم،أما أيّه علاقه أخرى كعلاقه الانتماء العصبى الجاهلى،فانها مرفوضه فى الإسلام.

يذكرنا القرآن بهذه الفكره،ثم ينطلق بنا الى آفاقها البعيده فتبين أن الإنسان عبد داخر للّه،و إن كل من فى السماء و الأرض آت للرحمن عبدا،و يوم القيامه تسقط كل الانتماءات و العلاقات.و يحشرون الى ربهم أفرادا لا جماعات عنصريه أو عصبيّه.لنتصوّر ذلك اليوم..و لنبرمج حياتنا وفقه.

فلان ابن من؟أخو من؟ينتمى الى من؟لنحذف كل هذه الكلمات من حياتنا،لكى نرى الحقيقه،التى تتلخص فى أن الإنسان ابن عمله و ابن إيمانه فقط، أما الانتماءات الأخرى،فانها جميعا باطله و ليست بحقيقه.

و أخيرا تذكر الآيات بأن القرآن جاء لكى ينذر الإنسان،و لكن من الذى يستفيد من نذر القرآن؟إنهم المتقون،أما المعاندون الذين قرّروا سلفا:عدم الايمان بآيات القرآن،و لم يخشوا المستقبل،و لم يهدفوا خلاص أنفسهم و نجاتها من

العذاب،فان هؤلاء لن يستفيدوا من نذر القرآن و مواعظه،و سيكون مصيرهم مصير تلك القرون،التی هلکت و لم یعد یسمع لهم صوتا عالیا أو خفیا.

بینات من الآیات:

الحشر و الشفاعه:

[۸۶/۸۵] یَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِینَ إِلَی الرَّحْمٰنِ وَفْداً* وَ نَسُوقُ الْمُجْرِمِینَ إِلیٰ جَهَنَّمَ وِرْداً هـذا منظر من ذلک الیوم حیث یری المتقون وفودا مکرمه،یحشرون الی لقاء ربهم،بینما یساق المجرمون کما تساق البهائم الی جهنم.إن هـذا المنظر وحـده یکفینا عبره لکی نختار طریق المتقین و وفدهم،علی طریق المجرمین و وردهم

جاء فی حـدیث شـریف مأثور عن تفسیر علی بن إبراهیم عن أبی عبـد اللّه علیه السـلام قال :سأل علی(صـلوات اللّه علیه)رسول اللّه(صلی اللّه علیه و آله)عن تفسیر قوله عز و جل:

یَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِینَ إِلَی الرَّحْمٰنِ وَفْداً قال:

«یا علی الوفـد لا یکون إلا رکبانا،أولئک رجال اتقوا اللّه عز و جل فأحبهم، و أخصـهم و رضـی أعمالهم،فسـماهم اللّه متقین،ثم قـال:یا علی أما و الـذی فلق الحبه و بریء النسـمه أنهم لیخرجون من قبورهم بیاض وجوههم کبیاض الثلـج، علیهم ثیاب بیاضـها کبیاض اللبن،علیهم نعال الذهب شراکها من لؤلؤ یتلألأ » و

فی حدیث آخر قال :

«إن الملائکه لتسـتقبلهم بنوق من نوق الجنه،علیهـا رحائـل الـذهب مکلّله بالـدر و الیـاقوت،و جلالها (۱)الإسـتبرق و السندس و خطامها جذل الأرجوان (۲)

۱- ۱) جلال-ککتاب-جمع الجل و هو للدّابه-کالثوب للإنسان تصان به.

۲- ۲) الجذل-أصل الشـجر الخشبی و الأرجوان:شـجره صـغیره الحجم من فصـیله القرنیّات زهر وردی یظهر فی مطلع الربیع قبل الأوراق.

و أزمتهم من زبر جد،فتطير بهم الی المحشر،مع کل رجل منهم ألف ملک من قدامه و عن یمینه و عن شماله،یزفونهم (۱)حتی ینتهوا بهم الی باب الجنه الأعظم، و علی باب الجنه شجره،الورقه منها یستظل تحتها مأه ألف من الناس.و عن یمین الشجره عین مطهره مکوکبه (۲)قال:فیسقون منها شربه فیطهر اللّه عز و جل قلوبهم من الحسد و یسقط عن أبشارهم الشعر.و ذلک قوله عز و جل: وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً من تلک العین المطهره،ثم یرجعون الی عین أخری عن یسار الشجره فیغتسلون منها:و هی عین الحیوه،فلا یموتون أبدا» ثم قال:

«یوقف بهم قدام العرش و قد سلموا من الآفات و الأسقام و الحر و البرد،قال فیقول الجبار جل ذکره للملائکه الذین معهم:أحشروا أولیائی الی الجنه و لا تقفوهم مع الخلائق،قد سبق رضائی عنهم و وجبت لهم رحمتی،فکیف أرید أن أوقفهم مع أصحاب الحسنات و السیئات،فتسوقهم الملائکه الی الجنه،فاذا انتهوا الی باب الجنه الأعظم ضربوا الملائکه الحلقه ضربه فتصرّ صریرا (۳)فیبلغ صوت صریرها کل حوراء خلقها اللّه عز و جل و أعدها لأولیائه،فیتباشروا إذ سمعوا صوت صریر الحلقه و یقول بعضهم لبعض:قد جاءنا أولیاء اللّه فیفتح لهم الباب، فیدخلون الجنه و یشرف علیم أزواجهم من الحور العین و الآدمیین،فیقلن:مرحبا بکم فما کان أشد شوقنا إلیکم،و یقول لهم أولیاء اللّه مثل ذلک» فقال علی(صلوات اللّه علیه):من هؤلاء یا رسول اللّه؟فقال رسول اللّه(صلی اللّه علیه و آله):

یا علی هؤلاء شیعتک المخلصون فی ولایتک،و أنت إمامهم و هو قول اللّه

ص:۱۰۵

۱- ۱) رف العروس إلی زوجها:أهداها-قال المجلسی«ره»فی مرآه العقول،أی یذهبون بهم علی غایه الکرامه کما یزف العروس إلی زوجها.

۲- ۲) کذا فی النسخ،لکن فی المصدر و کتاب الروضه و المنقول عنهما فی البحار«مزکیه»و هو الظاهر.

۳- ۳) صر صریرا:صوّت و صاح شدیدا.

عز و جل: يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمٰنِ وَفْداً على الرحائل، وَ نَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلىٰ جَهَنَّمَ وِرْداً (۱)

من يملک الشفاعه؟

[۸۷] لاٰ يَمْلِكُونَ الشَّفٰاعَةَ إِلاّٰ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْداً الشفاعه فی الدنیا نوعان:شفاعه باطله و شفاعه صحیحه،فاذا قلت:أنا ابن فلان،و أنتمی الی الدین الکذائی دون أن أعمل بتفاصیله و أعماله،فهذه شفاعه باطله،و کذلک لو قلت:إننی أنتمی الی هذا الحزب أو تلک المنظمه مما تعبد من دون اللّه،فأنت لا تشفع لهم و لا هم یشفعون لک و إنما أنت شفیع عملک،أی إنک قرین عملک،و هو الذی یبقی معک،و من عمل الإنسان انتماؤه الصحیح الی الرساله،فاذا انتمیت انتماء صحیحا إلی قائد أو إمام عادل،و أطعته طاعه مخلصه لوجه اللّه سبحانه،ثم أذنبت ذنبا صغیرا فان اللّه یعهد الی ذلک الامام بالشفاعه لک،و هذه هی الشفاعه الصحیه.و من ثم فأنت فی وفد المتقین،و هذه فکره الطاعه الواعیه،التی تستتبع الشفاعه حتی و لو لم یکن هناک رابطه عنصریه و لا عصبیه و لا قومیه بینک و بین ذلک الإمام،و لکنک تطیعه لوجه اللّه،فأنت تکون ولیّا له،و فی وفده یوم القیامه و من هنا

جاء فی حدیث شریف تفسیر العهد باتباع الإمام العادل عن أبی بصیر عن أبی عبد اللّه(علیه السلام)قال :قلت:قوله:« لاٰ يَمْلِكُونَ الشَّفٰاعَةَ إِلاّٰ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْداً »قال:

«إلاّ من دان اللّه بولایه أمیر المؤمنین و الأئمه من بعده،فهو العهد عند اللّه » (۲)

ص:۱۰۶

۱- ۱) نور الثقلین ج ۳ ص ۳۵۹/۳۶۰.

۲- ۲) المصدر ص ۳۶۲.

الشفاعه الباطله:

[۸۸]ثم يعود القرآن-بعد ذلک-لينسف فکره الشفاعه الباطله فيقول:

وَ قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَداً إنما قالوا ذلک ليکرسوا فکره الشفاعه إذ أنهم يقولون:لأننا أولاد اللّه،أو أبناء المتقين،فسوف ندخل الجنه و لا يعذبنا اللّه شيئا! و القرآن ينفی هذه الفکره أساسا فيقول:

[۸۹] لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا أی ان فکرتکم هذه کذب عظيم فاللّه هو الذی خلق السماوات و الأرض، و خلق المنظومات الشمسيه و المجرات و الفضاء اللامتناهی،و لو کان له ولد سبحانه لوجب أن يکون ولده بمستواه سبحانه.

[۹۰] تَکَادُ السَّمٰاوٰاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبٰالُ هَدًّا السماوات و الأرض و الجبال لا تتحمل تلک الکذبه المبتدعه،و القرآن الحکيم يعطينا هذه الصوره ليوضح لنا:بأن هذه الکلمه ليست صغيره فی مقياس الحق، فالذی خلق السماوات التی لا يمکن أن تحصی نجومها،و الذی خلق الأرض الواسعه،هل يمکن أن يتخذ ولدا؟! إن هذه فکره غير متناسبه و عظمته سبحانه،و لا مع أيّه قيمه من قيم الفکر،و ایّ مقياس من مقاييس العقل!! يتفطّرن:أی يتفتتن و يتشققن.

و لعلّ هناک إيجاء آخر فی هذه الآيه،هو:إن الکذبه الکبيره هذه،قد سببت جرائم کبيره،بحجم تفطر السماوات و انشقاق الأرض،و هدّ الجبال،مثل الجرائم التی قامت بها النازيه فی العالم،أو التی قام بها العنصريون فی جنوب إفريقيا، و حتی الجرائم التی تقوم بها أمريکا و روسيا و سائر المستکبرين فی العالم.و کلها،

حين نبحث عن جذورها،نجد أنها تنمو من أرض العنصريه الخبيثه،حيث أنها ناشئه من تمحور الإنسان حول ذاته،و اعتقاده بأنه أفضل من نظائره.

أنظر-مثلا-الى الأفكار العنصريه التى زعمت بأن الحضاره،إنما تنشأ من العنصر الآرى لأنه العنصر الذى خلقه اللّه بشكل أفضل،هذه السفاهه التى انتشرت بعد الثوره الفرنسيه،و التزم بها بعض النبلاء و الأشراف،و تورط فيها بعض علماء الاجتماع و التاريخ علما بأن الآريين لم يخلقوا الحضاره أصلا فى أى فتره من فترات التاريخ،و غايه ما فى الأمر أنهم كانوا أسلاف اليونان الذين صنعوا الحضاره فى التاريخ،و من بين واحده و عشرين حضاره نشأت فى العالم،فان هذه واحده منها فقط أما العشرون الباقيه فهى غير أوربيه،و إنما الأوربيون استفادوا منها،كما إنهم قد اقتبسوا من الحضاره الإسلاميه كثيرا.

[٩٢/٩١] أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَداً* وَ مٰا يَنْبَغِي لِلرَّحْمٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً الرحمن الذى شملت رحمته كل عباده،لا يمكن أن يفرق بين جنس و آخر،و لا يمكن أن يقول أن البيض أو السود،أو الأوربيين أو الآسيويين أو غيرهم،هؤلاء دون غيرهم،يستحقون رحمتى..إنه الرحمن و آثار رحمته موجوده فى كل مكان.

-نعم-إذا رأيت الشمس أشرقت فقط على آسيا،أو على أوربا أو أن الرياح حملت السحب الى المدينه الكذائيه،أو أن قاره أوربا فقط هى التى أنبتت الزرع و احتوت على المعادن،إذا رأيت مثل ذلک فربّما يكون لک الحق فى أن تقول:أن أولاد هذه القاره هم أبناء اللّه سبحانه،لكن شيئا من ذلک لا يشاهد،فآثار رحمه اللّه تشمل كل شىء.إذن فهو لا يتخذ من بين عباده ولدا دون آخر و هذه هى العلاقه بين فكره نفى الولد عن اللّه،و استخدام كلمه الرحمن المكرره فى هذه الآيات،فلأنه الرحمن،فهو لا يفضل بعض الناس على بعضهم دون أن يكون ذلک التفضيل نابعا من عملهم و سعيهم.

ص:١٠٨

[۹۳] إِنْ كُلُّ مَنْ فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ إِلاّ آتِی الرَّحْمٰنِ عَبْداً هؤلاء جميعا متساوون أمام الرحمن فی عبوديتهم له.

[۹۴] لَقَدْ أَحْصٰاهُمْ وَ عَدَّهُمْ عَدًّا إن اللّه لا يمكن أن ينسی أحدا من عباده أبدا،سواء كان فی غابه أو فی كهف فهو عبد اللّه و اللّه قد كتب له اسما،و قرّر له مواهب،و أجری له رزقا،و كذلك المتربّع علی الكرسی فی قصره العظيم.و الذی ملأ أرصدته البنوك الأجنبيه أحصاه اللّه و أحصی ذنوبه.

و لعلّ تكرار الآيه بمعنی الإحصاء ثلاث مرات(أحصاهم-وعدّهم-عدّا) يعنی أنه لا يمكن أن يفلت من حساب اللّه شخص أبدا لا صغير و لا كبير،و لا غنی و لا فقير،فكلّهم سيحاسبهم و يجازيهم بما قدّموا من أعمال فی حياتهم الدنيا.

[۹۵] وَ كُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ فَرْداً كل العلاقات الدنيويه المزيفه ستتساقط،و سيأتون الرحمن بشكل أفراد -نعم-أن العلاقه الوحيده المجديه بعد علاقه الخلق و العبوديه التی تربط العبيد بربهم هی علاقه الايمان و العمل الصالح.

[۹۶] إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدًّا إن اللّه يحب هؤلاء و هم يحبونه،و هذه هی العلاقه الصحيحه بين العبد و ربّه، لذلك أمر الرسول صلی الله عليه و آله عليا عليه السلام أن يدعو ربّه ليرزقه الودّ فی قلوب المؤمنين كما جاء فی الحديث التالی:

فی تفسير علی بن إبراهيم و أما قوله: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ

ص:۱۰۹

سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدًّا فانه قال الصادق(عليه السلام)كان سبب نزول هذه الآيه إن أمير المؤمنين كان جالسا بين يدى رسول اللّه(صلى اللّه عليه و آله)فقال له:

«قل يا على:اللهم اجعل لى فى قلوب المؤمنين ودا» فأنزل اللّه: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدًّا ثم خاطب اللّه نبيه صلى الله عليه و آله فقال:« فَإِنَّمٰا يَسَّرْنٰاهُ بِلِسٰانِكَ »يعنى القرآن« لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَ تُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدًّا »قال:أصحاب الكلام و الخصومه.

[۹۷]و من مظاهر رحمه اللّه،انه يسّر القرآن،و سهّل آياته و أوضحها،لكى يستطيع الرسول أن يبشر بها المؤمنين و ينذر بها المعاندين.

فَإِنَّمٰا يَسَّرْنٰاهُ بِلِسٰانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَ تُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدًّا قوما لدّا:جماعه معاندين و جاحدين.

إن أكبر ما ينذر الإنسان هو الموت،

«كفى بالموت واعظا »لكن بعض الناس يقولون،ليس من المهم أن نموت فأولادنا سوف يبقون،و خطنا سوف يبقى، و بهذه الأفكار يهوّنون على أنفسهم الموت،و لكن القرآن ينفى ذلك و يقول:ليس أنتم وحدكم الذين تموتون،بل سيموت معكم أبناؤكم و عشيرتكم،و نهجكم و خطكم،و كل شىء يرتبط بكم،يهلك و يفنى،و هذا أكبر إنذار للإنسان،و إذا لم يتعظ الإنسان بذلك،فانه سوف يواجه مصيره الرهيب.

[۹۸] وَ كَمْ أَهْلَكْنٰا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً قد لا يبقى من الأمه أحد،و لكن يبقى أثر من الآثار فى بعض الصور أو بعض

الکتابات أو..أو،و لکن القرآن یقول:لقد صفّیناها تصفیه کامله،و لا حتی صوت یخرج منها لا عال و لا خفیّ،

جاء فی حدیث مأثور عن أئمه آل البیت(علیهم السلام)فیما وعظ اللّه عز و جل به عیسی(علیه السلام) :

«و طیء رسوم منازل من قبلک و أدعهم و ناجهم هل تحس منهم من أحد، و خذ موعظتک منهم،و اعلم أنک ستلحقهم فی اللاحقین » و کلمه أخیره:إنّ فکره اتخاذ الولد لها و جهتان:

الأولی:إنها تعطی للظالم حق الظلم.

الثانیه:إنها تسلب من المظلوم حق التمرد و لذلک نجد المستعمرین أشاعوا هذه الفکره بین الشعوب المستضعفه،و انهم إنما تقدّموا لأن اللّه أراد لهم ذلک،و لأن الطبیعه التی کانت حولهم کانت أسخی،و لأن عقولهم کانت أکبر و لأن حظهم کان أوفر،و لأی شیء.

و ینسف القرآن الحکیم هذه الفکره و یقول:لا تفکر أیها الإنسان،إن للجنس الفلانی میزه علیک و إن اللّه فضّله علیک تفصیلا،کلا..بل ربما یکون أقل منک عقلا،و أرضه أقل سخاء و بالتالی فهو أقل تعرضا لرحمه اللّه منک،و بالتالی فان الحضاره أقرب إلیک،و إنما تقدم من تقدم،و تأخر من تأخر بسبب عمله..

و أتصوّر إن إشاعه هذه الفکره المعاکسه و ترسیخها فی الشعوب المستضعفه، تلهمهم الاندفاع و تعطیهم الدافع نحو بناء حضارتهم و التخلص من نیر المستکبرین.

سوره طه

اشاره

ص:۱۱۳

بسم اللّه الرحمن الرحيم

فضل السوره:

-۱

عن النبی محمد صلی الله علیه و آله قال :

«من قرأها أعطی یوم القیامه ثواب المهاجرین و الأنصار».

الثقلین/ص ۳۶۶/ج ۳ ۲-

عن الإمام الحسین علیه السلام قال :

«لا- تدعوا قراءه طه فان اللّه سبحانه یحبها و یحب من قرأها،أعطاه یوم القیامه کتابه بیمینه و لم یحاسبه بما عمل فی الإسلام و اعطی من الأجر حتی یرضی».

م البیان/ص ۱/ج ۷

ص:۱۱۵

الإطار العام

من المعروف إن اسم هـذه السوره مسـتلهم من الكلمه الأولى التى نجدها فيها، و هكذا أسـماء كثير من سور القرآن تسـتلهم من الكلمات الاولى أو من بعض المشاهد البارزه فى تلك السوره،فسوره يس استلهم اسمها من كلمتها الاولى،أما سوره الطارق فقد استلهم اسمها من كلمه بارزه فيها.

و السؤال:مـا هو الموضوع الـذى تبحثه آيـات سوره طه؟ يحـدد البعض من المفسـرين نظراته حول سور القرآن عبر الموضوعات العـامه و المشتركه بينهمـا و بين سـائر السور،فكـلّ سور القرآن فى تصوره تـدور حول ضـروره توحيـد اللّه،و الايمـان بحـاكميته المطلقه على الأرض و السماء و الإنسان و هكذا.

و لاـ شـك ان هـذا صـحيح،و لكن لاـ يكفى ذلـك وحـده فالمواضـيع الهـامه موجوده فى كلّ السور،فلما إذا تكررت؟و ما هى الفوارق بينهما؟و هل يكفى لنعرف مدينه أن نقول بأنها بنيت من الطوب و الاسمنت،و ان شوارعها معبده؟أم انه يجب أن

نرسم خريطه تفصيليه لها و لشوارعها،و أسواقها و جغرافيتها الطبيعيه،و جغرافيتها الاقتصاديه،و البشريه و ما أشبه،لكى يتضح الفرق بينها و بين المدن الأخرى؟ إن العلم هو إحاطه بدقائق الأمور،و حدود الأشياء التى تفضلها عن سواها.

و علم التفسير-بدوره-يجب أن يحيط خبره بالموضوعات المتميزه فى سور القرآن،و ما يميّز هذه الموضوعات عن مثيلاتها فى سائر السور مع العلوم و المعارف الجديده التى تستلهم من كلّ سوره،و من كلّ آيه من هذه الآيات،بل حتى الآيه الواحده التى تأتى فى القرآن مرتين بنفس الألفاظ و بنفس التعابير و من دون أيه زياده أو نقيصه يجب أن نبحث فيها عن معارف جديده تميزها عن التى سبقتها أو تلحقها بسبب اختلاف السياق.

فهل إنّ معنى« بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ »فى كلّ سور القرآن واحد؟كلا.إنّ كلّ سوره تبحث عن قضيه و« بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ »فى تلك السوره مرتبطه بتلك القضيه.

إذا أراد المؤمن القيام يقول بسم اللّه،و إذا أراد الطعام يقول كذلك بسم اللّه، و إذا أراد الذهاب قال بسم اللّه،و إذا أراد الكتابه قال أيضا بسم اللّه،فهل هذه الكلمات ذات معنى واحد؟كلا..بل يقول بسم اللّه أقوم،و بسم اللّه أجلس، و بسم اللّه آكل،و بسم اللّه أذهب،و بسم اللّه أكتب،فهو يستعين باللّه الذى أعطاه القدره على القيام،و تفضل عليه بنعمه الطعام،و أعطاه العقل،و هكذا لا تعنى البسمله ذات المعانى فى مختلف المجالات التى ينتفع بها.

و كذلك فى القرآن الحكيم نزلت-بسم اللّه الرحمن الرحيم-مع كلّ سوره، و لم تنزل مره واحده فى القرآن كله،و إلاّ لم يكن الرسول يجعلها فى رأس كلّ سوره

ص:١١٨

و هو الـذی لاـ ینطق عن الهوی إن هو إلاّ وحی یوحی،و ترتیب القرآن بهـذه الصوره لم یکن اعتباطیا انما هو من توجیه الرسول صلی الله علیه و آله إذ کان یأمر بوضع آیات القرآن فی مواضـعها المحـدوده لها من قبل اللّه تعالی،کما یظهر ذلک من ملاحظه سیاق الذکر و یدل علیه التاریخ.

إذا فلمـا ذا جعـل القرآن-بسم اللّه الرحمن الرحیم-علی رأس کـلّ سوره،فـإن لم تکن هـذه الآیه قـد نزلت فمن المسـتحیل علی الرسول أن یضـیفها من تلقـاء نفسه، و إلاّـ فلما ذا لم یکرر آیه أخری أو کلمه أخری؟! فان أیّه آیه جدیـده تنزل من السـماء مره جدیـده،لاـ بـدّ أن تحمـل فکره جدیـده أیضـا،ففی تفسـیرنا للآیات القرآنیه،و فی معرفتنا للسوره القرآنیه و موضوعاتها یجب أن نبحث عما یمیزها عن سائر الأمور،فی نفس الوقت الذی نبحث عن الخطوط العامه المشترکه بینها و بین سائر السور.

فآیات القرآن متشابهات(بعض آیاته مثل بعضـها)لأن أصولها واحده و بلاغتها واحده،و فی نفس المسـتوی،إذ کلّ آیات القرآن تـدل علی الاعجـاز،کمـا تـدل علی انهـا من اللّه،و لیست من البشـر،و لکن-فی نفس الوقت-نجـد ان لکـلّ آیه من آیات القرآن موضوعا خاصا بها،و موضوعات أعمّ بالنسـبه الی سـیاقها،و أعمّ بالنسـبه الی السوره الواحده التی نجد الآیه فیها،فما هو الموضوع الرئیسی فی سوره طه؟ أکثر من تسعین آیه من آیات هذه السوره البالغه مائه و خمسه و ثلاثین آیه تبحث قصه موسی،و الأربعین آیه الباقیه منها تبحث مواضـیع شتی،من بینها قصه أبینا آدم علیه أفضل الصـلاه و السلام،و سبب خروجه من الجنه،و کیفیه إغواء إبلیس له.

فهل هذه السوره کسوره یوسف،حیث تبحث عن قصه موسی،کما کانت

تلك السوره تبحث عن قصه يوسف؟ حدثنا القرآن الحكيم عن قصه بنى إسرائيل و قصه موسى معهم فى سوره البقره، و يحدثنا عن موسى و قصته مع قومه و مع فرعون كما يحدّثنا أيضا عن السحره،فما هو الفرق؟ الفرق هو إن القرآن الحكيم فى سوره البقره-مثلا-انما يحدثنا عن الجانب الاجتماعى و الأمنى-إن صحّ التعبير-لنبى إسرائيل،باعتبارهم أمه مستضعفه قاومت المستكبر و اتصفت بصفاته عند ما بنت حضارتها و كيف انسجت عليها تلك الصفات فبدأت بحركه للتطهير و ما أشبه.

هذه الموضوعات نجدها فى سوره البقره فى حديثها عن بنى إسرائيل،أما قصه بنى إسرائيل و قصه موسى عليه الصلاه و السلام معهم و مع فرعون فى سوره طه،فانها تتناول جانبا آخر هو جانب الإنسان فى هذه القصه.

الإنسان الذى خرج من الجنه بسبب غريزتيه الذاتيتين اللتين انحرفتا و تضخمتا و هما غريزتا التملك و حب الخلود،هذا الإنسان نجده عند فرعون و قد اكتملت فيه أسباب الانحراف حتى أوصلته الى أبعد ضلاله،و نجده عند موسى و قد قاوم الغريزتين فاكتملت فيه صفات الاستقامه،و نجده فى الصراع بينهما الذى يتمخض عن مفاجأه هامه،هى السحره الذين انحرفوا حتى وصلوا فى انحرافهم الى حدّ انهم أصبحوا أدوات بيد الطاغوت فرعون،ثمّ مره واحده و بسبب تلك الانسانيه الكامنه فيهم وصلوا الى القمه.

هذا هو الإنسان،و القرآن يركز الضوء على هذا الإنسان،ليس بصوره عامه كما نلاحظ ذلك فى سوره الأعراف مثلا،بل بصوره خاصه يركز الضوء على علاقه

الإنسان بهـدى الإله،و من الذى ينقذ الإنسان فى صـراعه مع الطبيعه و الشـهوات، و كيف ينبغى للإنسان أن يتحدى الطبيعه،و بما ذا؟ فى آيـات سوره طه إشـارات دقيقه الى موضوعـات خفيه،ينبغى أن نتـدبر فيهـا لنعرف أسـباب رقى الإنسان،و ما هى العوامل التى لو التزم بها الإنسان لاستطاع أن يتحدى و أن يقاوم طبيعته و بالتالى لاستطاع الوصول الى الجنه؟

[سوره طه (۲۰): الآیات ۱ الی ۸]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . طه (۱) مٰا أَنْزَلْنٰا عَلَيْكَ اَلْقُرْآنَ لِتَشْقىٰ (۲) إِلاّٰ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشىٰ (۳) تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ اَلْأَرْضَ وَ اَلسَّمٰاوٰاتِ اَلْعُلىٰ (۴) اَلرَّحْمٰنُ عَلَى اَلْعَرْشِ اِسْتَوىٰ (۵) لَهُ مٰا فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِي اَلْأَرْضِ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا وَ مٰا تَحْتَ اَلثَّرىٰ (۶) وَ إِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ اَلسِّرَّ وَ أَخْفىٰ (۷) اَللّٰهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ لَهُ اَلْأَسْمٰاءُ اَلْحُسْنىٰ (۸)

اللغه

۵[استوی]:استولی،و هو كنايه من المالكيه المطلقه.

۶[الثّری]:التراب.

ص:۱۲۲

هدی من الآیات:

یبحث هذا الدرس من سوره طه موضوعات شتی و لا غرابه،فکما قلنا مرارا:

ان الدرس الأول و الأخیر من سور القرآن قد تبدو موضوعات غیر منسجمه بادئ الرأی،إلاّ أنها-عند التأمل-نجدها ترمز الی کلّ الموضوعات التی نجدها فی السوره ببلاغه نافذه و قول فصل.

و الموضوعات فی هذا الدرس تشیر الی دور الرساله،و انها جاءت لسعاده الإنسان،و ان صاحب الرساله التی یحملها لا ینبغی أن یقتل نفسه من أجل هدایه الناس،بل یکفی أن یذکرهم،فمن خشی تذکر،و من لم یخش أعرض،و ان هذه الرساله إنما هی من اللّه رب السماوات و الأرض المحیط بهما و بالإنسان و بما یجهر به من القول أو یخفیه،و ان للّه الأسماء الحسنی،التی تتجسد فی قصه موسی حیث انه ذهب فقیرا،مسکینا،ملتجئا الی اللّه فحمل معه مشعل الرساله مضیئا و هّاجا و أنقذ سائر الناس بهذا المشعل الوقاد من الظلمات التی کانوا فیها.

ذلـک المشـعل الـذی کان قوامه ذکر اللّه المتجسـد،و توحیـد العباده للّه،و الایمان بالآخره،و الایمان بان عمل الإنسان هو الـذی یتجسد فی الآخره،و ان کلّ نفس تجزی بما علمت،هذه هی الموضوعات التی یبحثها الدرس الأول من سوره طه.

بینات من الآیات:

الرسول و هموم الهدایه:

قیل فی کلمه«طه»ما قیل فی الحروف المقطعه فی بـدایه السور،و أقول فیها ما قلته فی أمثالها فی سائر السور القرآنیه،حیث أتصور بأن الکلمه ترمز الی القرآن الحکیم،و لعلها هنا-کما جاءت فی النصوص الاسلامیه-رمز الی الرسول صلی اللّه علیه و آله،فتکون لفظه(طاء)اختزالا لجمله(طالب الحق)بینما تکون لفظه (هاء)اختزالا لجمله(الهادی الیه) (۱)کما اننا نشیر الی کتاب و نقول:هذا الکتاب،فکذلک لفظه(طه)انما هی الی القرآن ذاته،و قیل:ان طه هو رسول اللّه صلی الله علیه و آله .

[۱-۲] طه* مٰا أَنْزَلْنٰا عَلَیْکَ الْقُرْآنَ لِتَشْقیٰ إن رسـاله السـماء تنزل علی الإنسان لا لکی یهلک نفسه حزنا علیها لان المجتمع لا یؤمن بهـا،فهو لا یتحمل مسـئولیته إلاّ بقـدر البلاغ فقط،و انما الرسول مبلغ، فلما ذا یشـقی نفسه؟ قیل ان الرسول صـلی الله علیه و آله کان یسهر اللیل بالعباده،و یمضی النهار بالصیام،متعبا نفسه،و

قد جاء فی حدیث شریف عن أمیر المؤمنین علیه السلام انه قال:

ص:۱۲۴

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین/ج ۳/ص ۳۶۷.

«و لقد قام رسول اللّه عشر سنين على أطراف أصابعه حتى تورّمت قدماه، و اصفرّ وجهه،يقوم الليل أجمع حتى عوتب فى ذلك فقال اللّه عزّ و جل- طه* مٰا أَنْزَلْنٰا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقىٰ -بل لتسعد به » (۱) و التفسير صحيح،و هو سبب النزول،و لكن القرآن الحكيم ليس خاصا بشخص الرسول الكريم فقط،و انما نزل كما

فى حديث للإمام الصادق عليه السلام على لغه(إياك أعنى و اسمعى يا جاره) ،و نستفيد من هذه الآيه أن صاحب الرساله ينبغى أن لا يشقى نفسه لان الناس لا يؤمنون،و لا أن يكلف نفسه فوق طاقتها فى تحمل واجبات الرساله و مندوباتها،

و قد أجهد الامام الحسن عليه السلام نفسه بالعباده مره فنهاه والده أمير المؤمنين عليه السلام قائلا:يا بنى ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق.

[۳] إِلاّٰ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشىٰ فاذا خشى الناس و اعتبروا فلهم جزاؤهم،و إلاّ فليس عليك من أمرهم شيء.

و القرآن تذكره لمن يستفيد منه و لمن يوجد فى ذاته الاستعداد لذلك،كما الأرض لا تستفيد من المطر إلاّ بشرط أن تكون مستعده لاستقباله،و كذلك قلب الإنسان لا- يستفيد من بركه الرساله،إلاّ بشرط استعداده لاستقبالها و استعداده بالتذكره و الخشيه.

و من الذى يخاف؟ هل المجنون أو الطفل الصغير؟أم الإنسان الهائج الذى أذهب الغضب عقله،أو الغافل الذى حجبت الغفله عقله؟كلا..انما يخاف الذى ينظر الى المستقبل،

۱- ۱) المصدر.

و يفكر فى عواقب الأمور،و هذا هو الإنسان الذى يستفيد من الرساله،لأنه عاقل، و لذا كان الخوف من علامات العقل.

هيمنه اللّه:

[۴] تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَ السَّمٰاوٰاتِ الْعُلىٰ السماوات العلى أى العاليه.

قد يبدى الإنسان نوعا من الذهول عند ما يقرأ الأرقام العلميه،فقد كان العلماء يقدّرون عدد النجوم بالآلاف،ثمّ قدروها بمئات الألوف،ثمّ بالملايين و المليارات، و بعد ذلك عجز علمهم عن الإحصاء، و كانوا فى البدايه يقدرون المسافات و الابعاد التى تفصل الاجرام السماويه عن بعضها بوحدات القياس الاعتياديه،ثم اكتشفوا ان هذه الوحدات الطويله أعجز من أن تصمد أمام المسافات الكونيه الرهيبه، فلجئوا الى استخدام السنه الضوئيه فى القياس،و هى المسافه التى يقطعها الضوء فى سنه كامله فى حين ان سرعه الضوء تبلغ حوالى(۳۰۰,۰۰۰)كيلومترا فى الثانيه.

هذه الأرقام يكاد الإنسان لا يصدقها من ضخامتها،و كثير منا لم يصدق بهبوط الإنسان على القمر،و انه للحقيقه،و كان القرآن الحكيم يشير الى أن رساله السماء نور منزل من خالق السماوات العلى.

[۵] اَلرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ و هو رحمن،لأنه خلق هذه السماوات و هذه النجوم و هذا الفضاء اللامتناهى و هذا الإنسان،فرحمته تتجلى فى إيجاد الأشياء من بعد العدم و اعطائها كيانا بعد أن لم تكن شيئا مذكورا.

ص:۱۲۶

ثمّ لم يترك السماوات بعد خلقها عبثا،انما استوى عليها،أى يشرف عليها و يأمرها فتأتمر و يزجرها فتزدجر،و بالتالى هو المسيطر المهيمن على السماوات و الأرض،فلا شيء فيها أقرب اليه من شيء،لأنه محيط بها جميعا،علما و قدره و سلطانا و تدبيرا،

جاء فى حديث شريف عن عبد الرحمن بن الحجاج قال، سألت أبا عبد اللّه عن قول اللّه عزّ و جل اَلرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ ،فقال:استوى من كلّ شيء،فليس شيء أقرب اليه من شيء،لم يبعد منه بعيد،و لم يقرب منه قريب،استوى من كلّ شيء. (۱)

و العرش هنا بمعنى مركز القدره و السلطه و التدبير،و تعالى اللّه عما يتصوره الجاهلون،من أن العرش مقام ربنا المادى..كلا: إن العرش لا يتحمل الرب،انما الرب هو الذى يحمله،

جاء فى حديث مأثور عن الإمام على عليه السلام قاله لوفد النصارى و رئيسهم جاثليق:

فكان فيما سأله أن قال له:أخبرنى عن ربك أ يتحمل؟فقال على عليه السلام :إن ربنا جلّ جلاله يحمل و لا يحمل،قال النصراني:و كيف ذلك و نحن نجد فى الإنجيل:

«و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانيه»فقال على عليه السلام :ان الملائكه تحمل العرش، و ليس العرش كما تظن كهيئه السرير،و لكنه شيء محدود مخلوق مدبر و ربك عزّ و جل مالكه،لا انه عليه ككون الشيء على الشيء،و أمر الملائكه بحمله،فهم يحملون العرش بما أقدرهم عليه،قال النصراني:صدقت يرحمك اللّه. (۲)

و جاء فى حديث آخر مأثور عن حنان بن سدير قال :سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن العرش و الكرسى فقال:ان للعرش صفات كثيره مختلفه،له فى كلّ سبب وضع فى

۱- ۱) المصدر/ص ۳۶۸.

۲- ۲) المصدر.

القرآن صفه على حده،فقوله: رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ قول:الملک العظيم،و قوله:

اَلرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ يقول:على الملک احتوى:و هذا ملک الکيفوفيه فى الأشياء،ثمّ العرش فى الوصل منفرد من الکرسى لأنهما بابان من أكبر أبواب الغيوب،و هما جميعا غيبان،و هما فى الغيب مقرونان،لان الکرسى هو الباب الظاهر من الغيب الذى منه يطلع البدع،و منه الأشياء كلها،و العرش هو الباب الباطن الذى يوجد فيه علم الکيف و الکون و القدر و الحد و الأين و المشيه،و صفه الاراده، و علم الألفاظ و الحرکات،و الترک و علم العود و البداء،فهما فى العلم بابان مقرونان،لان ملک العرش سوى ملک الکرسى،و علمه أغيب من علم الکرسى، فمن ذلک قال: رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أى صفته من صفه الکرسى،و هما فى ذلک مقرونان. (١)

[۶] لَهُ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِي الْأَرْضِ وَ مٰا بَيْنَهُمٰا وَ مٰا تَحْتَ الثَّرىٰ و لم يملّک القرآن أحدا شيئا،لان الأشياء كلها للّه سبحانه،و هو الذى يحكم فيها،و إذا أعطى الإنسان شيئا،فانما يخوله الاستفاده منه،و يكون فى الواقع مستخلفا فيه لا مالکا حقيقيا له.

[٧] وَ إِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفىٰ إذا جهرت بکلامک و أعلنته،فان اللّه سبحانه لا يعلم ما جهرت به فقط،و انما أيضا يعلم خلفيات جهرک،ان كلّ كلمه ينطقها الإنسان جهارا قد يكون من ورائها ألف مقصد و مقصد و كلّ ذلک قد أحاط به اللّه علما.

١- ١) المصدر/ص ٣۶٩.

اللّه يتجلى:

[٨] اَللّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى كلّ ذلک الجمال و الجلال و تلک العظمه التی نشاهدها فی الموجودات المخلوقه من حولنا انما هی آیه لأسماء اللّه سبحانه و تعالی،و انعکاس منها علی الطبیعه،أنت تبحث عن الجمال و عند ما تری شیئا جمیلا فانک تبحث عما هو أجمل منه،و تبحث عن القوه،فإذا رأیت قویا تبحث عمن هو أقوی منه،و تبحث عن العظمه فاذا رأیت عظیما تبحث عمّن هو أعظم منه،لان قلبک انعکست علیه أسماء اللّه الحسنی، أسماء الجلال و الجمال و العظمه التی هی للّه،فلا یقتنع القلب بالمخلوق،بل لا یبحث عنه حقا.

و أسماء اللّه تشیر الی صفاته و هی کثیره،منها ما أوتی البشر علمه،و منها ما أوتی الأصفیاء من البشر فقط علمه،و منها ما هو غیب لا یعلمه إلاّ رب العزه،و

قد جاء فی حدیث نبوی شریف :

«إن اللّه سبحانه و تعالی تسعه و تسعین اسما من أحصاها دخل الجنه » (۱)

ص:۱۲۹

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین/ج ۳/ص ۳۷۳.

[سوره طه (۲۰): الآیات ۹ الی ۱۶]

اشاره

وَ هَلْ أَتٰاکَ حَدِیثُ مُوسیٰ (۹) إِذْ رَأیٰ نٰاراً فَقٰالَ لِأَهْلِهِ اُمْکُثُوا إِنِّی آنَسْتُ نٰاراً لَعَلِّی آتِیکُمْ مِنْهٰا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَی اَلنّٰارِ هُدیً (۱۰) فَلَمّٰا أَتٰاهٰا نُودِیَ یٰا مُوسیٰ (۱۱) إِنِّی أَنَا رَبُّکَ فَاخْلَعْ نَعْلَیْکَ إِنَّکَ بِالْوٰادِ اَلْمُقَدَّسِ طُویً (۱۲) وَ أَنَا اِخْتَرْتُکَ فَاسْتَمِعْ لِمٰا یُوحیٰ (۱۳) إِنَّنِی أَنَا اَللّٰهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ أَنَا فَاعْبُدْنِی وَ أَقِمِ اَلصَّلاٰةَ لِذِکْرِی (۱۴) إِنَّ اَلسّٰاعَةَ آتِیَةٌ أَکٰادُ أُخْفِیهٰا لِتُجْزیٰ کُلُّ نَفْسٍ بِمٰا تَسْعیٰ (۱۵) فَلاٰ یَصُدَّنَّکَ عَنْهٰا مَنْ لاٰ یُؤْمِنُ بِهٰا وَ اِتَّبَعَ هَوٰاهُ فَتَرْدیٰ (۱۶)

اللغه

۱۰[بقبس]:القبس هو الشعله للتدفئه.

ص:۱۳۰

هدى من الآيات:

فی اطار موضوع سوره طه التی تتحدث عن علاقات البشر بالدنیا و زینتها من جهه،و رسالات اللّه و قیمتها من جهه ثانیه،یتساءل السیاق هنا:هل سمعت قصه موسی حینما حار بأهله فی الصحراء فرأی نارا فذهب إلیها لیأتی منها بقبس،أو یجد هدی،لیعرف کیف یخرج من أزمته؟ و حین وصل إلیها ناداه الرب:إنی أنا ربک،و أمره بأن یخلع نعلیه لأنه فی مکان مقدس،و أخبره بأنه اختاره لرسالاته،و علیه أن یستمع إلیها،و هی عبادته،و إقامه الصلاه لذکره،و الایمان بالساعه التی لا ریب فیها،و حینها تجزی کلّ نفس بما تسعی،و التحصن ضد من یصدون عن الساعه لأنهم لا یؤمنون بها و یتبعون أهواءهم،و هم یریدون هلاکه.

کما ان الإنسان یفیق فی الصحراء من الغفله و الضلاله فتحیط به الظلمات، و تلاحقه عوامل الخوف،فیبحث عن مشعل یستضیء به،و عن دفء یأوی إلیه...

كذلك موسى كان فى تلك الليله المظلمه الشاتيه يسير فى صحراء سيناء يبحث عن دفء و عن نور،يبحث عن دفء يعالج به البرد القارص و عن هدى و نور يضىء به طريقه،فحينما رأى نارا من بعيد،كانت تلك النار بالنسبه اليه«أنسا» فاقترب إليها فاذا بها خير من النار و من النور،انها(الرساله)التى تعالج مشكله الإنسان،معالجه جذريه،فتسيّر سفينه عقله و تذكره بربه و تخط له خطا مستقيما الى اللّه.

إن تصوّر موسى فى تلك الليله،فى تلك الصحراء،الى جانب وادى طوى،و هو يكلم اللّه،و اللّه يكلمه و يناجيه،تصور هذا المنظر يبعث إلينا مشاعر مختلطه من السرور و الرهبه.

فمن جهه نشعر باننا حينما نضيع فى صحراء الحياه فلا بدّ أن نجد ربا يأخذ بأيدينا،ربا رحيما و دودا الى درجه أنّه يحدثنا.ترى أن اللّه يناجى موسى بعبارات قصيره،و لكنّ موسى يتحدث حديثا طويلا،حديث موسى مع ربه يكون بنفس طويل،لأنه وجد فى حديث ربه أنسا،كان يريد أن يبقى طويلا مع ربه،برغم انه كان قد ترك أهله ينتظرونه ليرجع إليهم بالدفء و الهدى،و هذا هو دائما منظر الإنسان و حالته و علاقته مع ربه فى الحياه،و هى علاقه الأخذ من دون تكلف، و الاهتداء به من دون خشيه أو رهبه.

و يبعث فينا هذا التصور الرهبه،حيث نخشى بأن يتركنا الرب إذا تركنا هداه.

ففى نفس الوقت الذى ترانا نحتاج الى اللّه حاجه ملحه فهو رحيم بنا،ودود معنا،مع ذلك شديد العقاب،هذه هى علاقه الإنسان باللّه سبحانه و تعالى.

ص:١٣٢

و الآیات هذه توحی إلینا بفکره أخری،تلک هی فکره ارتفاع الإنسان الی هذا المستوی،حیث یکلمه اللّه سبحانه و تعالی تکلیما.

نحتفظ بهذه الصوره لنقارنها بعدئذ بصوره آتیه،و هی صوره(فرعون)،فمره یکون الإنسان فی صوره(موسی)و مره یکون فی صوره(فرعون)،و کلّ واحد من أبناء آدم فی قلبه إنسانان،موسی و فرعون،فخذ لنفسک ما تشاء.

و هناک أفکار أخری تستلهم من هذه الآیات سوف نتعرض لها عبر حدیثنا التفصیلی.

بینات من الآیات:

حدیث موسی:

[٩] وَ هَلْ أَتٰاکَ حَدِیثُ مُوسیٰ و هذا الکلام لیس موجها الی رسول اللّه صلی الله علیه و آله فقط و انما هو-بصوره مرکزه-موجّه إلیک و إلیّ.

[١٠] إِذْ رَأیٰ نٰاراً فَقٰالَ لِأَهْلِهِ امْکُثُوا إِنِّی آنَسْتُ نٰاراً عند ما جاء موسی علیه السلام من مدین الی مصر و بعد أن تاه فی الطریق مع أهله فاذا به یشاهد نارا من بعید فیتجه إلیها لعله یحصل علی جذوه منها کی یتدفی هو و أهله،و آنست:مأخوذه من الأنس فلعله جاء تعبیرا عن تصور وجود بشر هناک.

لَعَلِّی آتِیکُمْ مِنْهٰا بِقَبَسٍ ربما کانت النار بعیده فلم یشأ موسی أن یأخذ أهله الی تلک النار فیحمّلهم

مشقه الطریق،لذلک أبقاهم فی مکانهم.

أَوْ أَجِدُ عَلَی النّارِ هُدیً لعلّنی أسأل من قد یکون عند تلک النار عن الطریق.

القرآن یوجز العبارات،و یرمز من خلال الإیجاز الی حاجات الإنسان فی الحیاه،فمن جهه کانت هناک حاجه مادیه هی الدفء و النار،و من جهه أخری کانت هناک حاجه معنویه و هی الهدی،و رساله اللّه تأتی بهاتین الحاجتین معا و لکن عبر سعی الإنسان.

فالإنسان+الرساله الوفاء بحاجاته کلها.

النداء المقدس:

[۱۱] فَلَمّا أَتاها نُودِیَ یا مُوسی جاء موسی لیقتبس النار و لیهتدی بهدی أصحابها،فاذا بنداء یتناهی الی سمعه لا یعرف مصدره،و لذلک عبر القرآن بکلمه«نودی»،فیأتیه النداء فی البدء و لیست المناجاه لماذا؟ لأن الإنسان الغافل یحتاج الی نداء حتی یستیقظ من غفلته،ثم یناجی من قریب.

من هذا الذی ینادینی باسمی؟من الذی یعرفنی فی هذه الصحراء..؟ [۱۲] إِنِّی أَنَا رَبُّکَ فجاءه الجواب واضحا بأن:الذی یکلمک هو رب العزه.

ص:۱۳۴

فَاخْلَعْ نَعْلَيْکَ أول أمر هو أن يخلع موسى نعليه احتراما لمن يكلم..

إِنَّکَ بِالْوٰادِ الْمُقَدَّسِ طُویً لما ذا يخلع نعليه؟و ما هی العلاقه بين خلع النعلين و بين وجود الإنسان فی مكان مقدس؟و لما ذا يقدس المكان..؟ الجواب:إن خلع النعلين-كما أتصور-إنما هو رمز يشير إلى تجرد الإنسان من ارتباطاته و علاقاته،و هذا التجرد ضروره تمهيديه لاستقبال نور السماء،نور الرساله، فاذا كانت عندک علاقه بأهلك،بأولادک،بسلطانک،فانک لن تفهم الرساله،و لن تتمكن من استيعابها.

إنما تفهم الرساله،إذا انفصلت عن علاقاتک،و اتجهت الی اللّه،لذلک نحن فی الحج،تؤمر بأن نخلع ملابسک العاديه و نلبس ملابس بسيطه،يعنی تجردنا عن علاقاتنا الأرضيه،و قيمنا الماديه،و توجهنا الی اللّه سبحانه و تعالی،لذلک أمر موسى بخلع نعليه،و بذلک جاءت النصوص الاسلاميه التی نفت فی ذات الوقت أن تكون نعلا موسی-آنئذ-من جلد حمار ميت و لذلک أمر بنزعهما نقرأ معا النص التالی المأثور عن الامام الحجه القائم عجل اللّه تعالی فرجه:

فی كتاب كمال الدين و تمام النعمه باسناده الی سعد بن عبد اللّه القمی عن الحجه القائم عليه السلام حديث طويل و فيه :قلت فاخبرنی يا ابن رسول اللّه عن أمر اللّه لنبيه موسی: فَاخْلَعْ نَعْلَيْکَ إِنَّکَ بِالْوٰادِ الْمُقَدَّسِ طُویً ،فان فقهاء الفريقين يزعمون انها كانت من إهاب الميته؟قال صلوات اللّه عليه:من قال ذلک فقد افترى على موسى فيها،و استجهله فی نبوته،لأنه ما خلا الأمر فيها من خطيئتين:

ص:۱۳۵

أما أن تكون صلاه موسى فيها جائزه أو غير جائزه،فان كانت صلاته جائزه،جاز له لبسها فی تلك البقعه إذا لم تكن مقدسه،و إن كانت مقدسه مطهره فليست بأقدس و أطهر من الصلاه،و إن كانت صلاته غير جائزه فيها فقد أوجب على موسى عليه السلام:أنّه لم يعرف الحلال من الحرام،و علم ما جاز فيه الصلاه،و ما لم يجز، و هذا كفر،قلت:فاخبرنی يا مولای عن التأويل فيها:قال صلوات اللّه عليه:ان موسى ناجى ربه بالواد المقدس فقال:يا رب إنی قد أخلصت لك المحبه منی، و غسلت قلبی عمن سواك،و كان شديد الحب لأهله،فقال اللّه تعالى:« فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ »أی انزع حب أهلك من قلبك إن كانت محبتك لی خالصه،و قلبك من الميل الى من سوای مغسول. (۱)

و السؤال الآخر:ما هی العلاقه بين خلع النعلين و بين الوادی المقدس طوى؟ العلاقه ان الإنسان فی الأماكن المقدسه و المشرّفه،يجب أن لا يكتفی بخشوع قلبه،و انما يجعل مظهره بشكل يدل على أنه خاشع للّه سبحانه.

لذلك يستحب فی بعض الأماكن المقدسه أن يتحرك الإنسان إليها بخطى وئيده،لكی تدل طريقه مشيه على انه خاشع،و هكذا أمر اللّه موسى بأن يخلع نعليه فی ذلك المكان المقدس الذی لم يقدس لذاته،و انما لأنه ينتسب الى من هو متصف بالقدسيه،أو ليس أوحى اللّه سبحانه فی هذا المكان،أو ليس الوحی مقدسا؟ الوادی المقدس«طوى»هو فی جانب طور سيناء،و سبب قداسته حسب حديث الرسول صلى الله عليه و آله لأنه قدست فيه الأرواح،و اصطفيت فيه الملائكه،و كلّم اللّه عزّ و جل موسى تكليما. (۲)

۱- ۱) نور الثقلين/ج ۳/ص ۳۷۳-۳۷۴.

۲- ۲) نور الثقلين/ج ۳/ص ۳۷۴.

[۱۳] وَ أَنَا اخْتَرْتُکَ فَاسْتَمِعْ لِمٰا یُوحیٰ الاختیار هو تفضیل شیء لصفه ممیّزه فیه،و انما اختار ربنا الحکیم موسی(علیه السلام)لما وجد فیه من الصفات المثلی لحمل الرساله،و أهمها-فیما یبدو لی- صفه:الخروج عن الذات،و الاهتمام بالآخرین.

و هذه الصفه کانت متوفره فی کلّ الأنبیاء و فی موسی-علیه السلام-بالذات، فأنت تری انه نسی أهله،و جلس یتحدث مع اللّه حدیثا مفصلا،لم یقل:ائذن لی یا الهی حتی أذهب و احضر أهلی ثمّ أکمل الحدیث،کلّا بل ظلّ یواصل الکلام، کذلک یقول اللّه عن یوسف: وَ لَمّٰا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَیْنٰاهُ حُکْماً وَ عِلْماً وَ کَذٰلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ ،إن اللّه یجزی أولئک الذین یحسنون الی الناس و یحبونهم و یعملون من أجلهم،و یخرجون عن ذواتهم من أجل المصلحه العامه،هؤلاء یهدیهم اللّه بإعطائهم الرساله،و الحکم(الرساله).

خلاصه الوحی:

[۱۴] إِنَّنِی أَنَا اللّٰهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ أَنَا فَاعْبُدْنِی إن خلاصه الوحی هی هذه الکلمات:الایمان باللّه إلها واحدا و عبادته.

وَ أَقِمِ الصَّلاٰهَ لِذِکْرِی و إقامه الصلاه لیست فقط بهذه الحرکات الشکلیه التی یؤدیها المصلی،و انما هی رمز لخضوع الإنسان لأمر اللّه عزّ و جل،و استعداده لتطبیق کلّ أوامره و شرائعه علی نفسه و علی أسرته و علی مجتمعه و أمته.و لذلک فهی عمود الدین ان قبلت قبل ما سواها،و إن ردّت ردّ ما سواها،و من هنا وجب إقامه الصلاه متی ما ذکرها الفرد فی وقتها أو بعده،کما

روی عن أنس عن النبی صلی اللّه علیه و آله :

«من نسی صلاه،فلیصلها إذا ذکرها،لا کفاره لها غیر ذلک،و قرأ: وَ أَقِمِ الصَّلاٰهَ لِذِکْرِی » (۱)لما ذا قال اللّه لـذکری؟ ان العباده الشعائریه وحدها لا تکفی،لأن تلک العباده بمرور الزمن تتعرض للانحراف و التشویه،لـذلک فان الإنسان بحاجه الی ذکر دائم للّه کی تبقی عبودیته للّه سبحانه و تعالی فی مأمن من التحول-بسبب ضغوط الحیاه و وسوسه الشیطان- الی عبودیه غیر اللّه فی شتی صورها.

لـذلک-أتصور-إن کلمه«ذکری»تعنی:ان ذکر اللّه سبحانه إنما هو فی الواقع الهدف الأسمی من الصلاه،حیث جاء فی آیه أخری« وَ لَذِکْرُ اللّهِ أَکْبَرُ »، فالصلاه تهدف الی ذکر اللّه و الارتباط المباشر به سبحانه.

و هذه الآیه تدل علی أن فی الصلاه وجوبین:

الوجوب الأول:هو الصلاه فی وقتها.

و الوجوب الثانی:هو أن الصلاه واجبه بعد وقتها،فاذا نسیت الصلاه وفات وقتها،فعلیک أن تقضیها فی غیر وقتها،لما ذا؟لأن وجوب الصلاه إنما هو لذکر اللّه، و ذکر اللّه هو سر السعاده و الفلاح فی الدنیا و الآخره،لأنه سبحانه مصدر الخیر الحقیقی فی هذا الوجود،و لا یمکن للعبد المخلوق أن یحصل من اللّه علی الخیر،فی حین أنه منصرف عن ذکره و التوجه إلیه.

کما تدل الآیه أیضا علی أن الصلاه یجب أن تکون بخشوع و من أجل ذکر اللّه،

۱- ۱) المصدر/ص ۳۷۵.

فأساس الصلاه هو تحيتك مع اللّه،فحينما تركع و تقول:«سبحان ربى العظيم و بحمده»أو تسجد و تقول:«سبحان ربى الأعلى و بحمده»فان هذا هو نوع من التحيه لربک تحييه بتنزيهه و تعظيمه.

الحتميه التى لا بدّ منها:

[۱۵] إِنَّ السّٰاعَةَ آتِيَةٌ أَكٰادُ أُخْفِيهٰا لِتُجْزىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمٰا تَسْعىٰ فى بعض المدن التى تفتقد الأمن،ترى أن السلطه تقوم ببعض الدوريات المفاجئه،بالاضافه الى الدوريات الاعتياديه الثابته،فجأه تأتى دوريه تقف على رأس شارع معين،و تأخذ بتفتيش المّارين،لماذا؟لان الناس إذا كانوا يعرفون متى و أين تأتى الدوريه فان بامكانهم أن يفلتوا منها بطريقه أو بأخرى.

و كذلک نلاحظ فى بعض المدارس،أنّ الأساتذه لا يحددون موعد الامتحان الى الطلبه،و فلسفتهم فى ذلک أن كثيرا من الطلبه لو علموا بهذا الأمر،سيتقاعسون عن الدرس بانتظار أقرب موعد للامتحان،حيث يجدّون و يجتهدون لفتره قصيره فقط.

إنّ اللّه سبحانه و تعالى قد جعل الدنيا دار عمل و سعى يمر فيها الإنسان بمواقف كثيره و امتحانات عديده،فيتحتّم عليه أن يبذل كلّ ما فى وسعه ليجتازها بنجاح، و لا يتقاعس أو يؤخر واجباته على أمل أن يقوم بها فيما بعد،لأن الموت قد يفاجئه فى أىّ لحظه،و يفقد تلک الفرصه الذهبيه الثمينه التى منحها اللّه إياه فى الدنيا،ثمّ لا يجد فى الآخره إلاّ الحسره و الندامه،و الإنسان بطبعه يغفل أو يتغافل عن يوم الحساب،و حينما يغفل فانه يقوم بجرائم و أخطاء،فالغفله طبيعيه عند الإنسان، و ربما كان هذا من سنه اللّه،فلو لم تكن الغفله موجوده لم يكن الامتحان موجودا.

و لكن ما الذى يميز الطيبين عن الأشرار؟

إن الطيبين هم الذين يجدّون لكى لا يغفلوا،و يعملون أبدا من أجل إيقاظ أنفسهم دائما.

إن القرآن يضع مسئوليه الهدايه و التربيه على الإنسان نفسه،فلا تنتظر أيها الإنسان مساعده من الغير فى تنبيهک من غفلتک، بل يتوجب عليک أن توقظ نفسک باستمرار من تلک الغفله،و إلاّ تعرضت للاخطار الجسيمه،و صار مصيرک فى الآخره الى عواقب وخيمه.

و هذا التنبيه المستمر،يتم عبر إقامه الصلاه بشرائطها و حدودها الصحيحه و المحافظه على جوهرها،و الحيلوله دون تحولها-مع مرور الزمن-الى شكليات و طقوس فارغه من كلّ محتوى،و طريقه ذلک كما يرشدنا إليها

الحديث الشريف :

«اعبد اللّه كأنک تراه،فان لم تكن تراه فانه يراک » و كلمه« أَكٰادُ أُخْفِيهٰا »تشير الى أن اللّه عزّ و جل لم يخف الساعه إخفاء كاملا.فقد أعلنها،و بيّن كلّ ما يتعلق بها،و فصل كلّ ما يجرى فيها،و لكنه فقط أخفى موعدها،و هذا لكى يتحمل الإنسان المسؤوليه كامله فى الحياه الدنيا،ذلک انه لو عرف موعدها لأمضى قسما كبيرا من عمره دون تحمل أى مسئوليه،إذا فإخفاء موعدها لا بدّ منه لكى يكون الجزاء عادلا،فالجزاء يأتى بعد تحمل المسؤوليه،و إلاّ فانه سوف لن يكون له أىّ معنى ان كان ثوابا أو عقابا.و هناک تفسير أعمق من هذا التفسير نجده فى أحاديث آل البيت،حيث

جاء فى تفسير على بن إبراهيم فى قوله:

« إِنَّ السّٰاعَهَ آتِيَهٌ أَكٰادُ أُخْفِيهٰا »قال:من نفسى،هكذا نزلت،قلت:كيف يخفيها عن نفسه؟قال:جعلها من غير وقت. و روى مثل ذلک عن ابن عباس،و هى كذلک فى قراء أبى. (١)

ص:١۴٠

١- ١) نور الثقلين ج ٣ ص ٣٧۵

[۱۶] فَلاٰ يَصُدَّنَّكَ عَنْهٰا مَنْ لاٰ يُؤْمِنُ بِهٰا وَ اتَّبَعَ هَوٰاهُ فَتَرْدىٰ و الذى يؤمن بالساعه و يتذكرها دائما يتبع برامج اللّه و يمتثل أوامره،و بالتالى يجد الفلاح،و إلاّ فان مصيره التردّى و السقوط،و لو اتبع موسى هواه،و نسى ذكر اللّه،لهبط الى الحضيض،كما حدث ذلك بالنسبه الى بلعم بن باعوراء الذى أكرمه اللّه و أتاه علم الاسم الأعظم،و لكن حين اتبع هواه أخلد الى الأرض، فجرّده اللّه من كلّ ما أنعم عليه،ثمّ شبهه بالكلب و قال:« فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ... ».

و بكلمه موجزه،فان ذكر اللّه يعنى السعاده،و الانصراف عن ذكره يعنى الشقاء.

[سوره طه (۲۰): الآیات ۱۷ الی ۳۶]

اشاره

وَ مٰا تِلْکَ بِیَمِینِکَ یٰا مُوسیٰ (۱۷) قٰالَ هِیَ عَصٰایَ أَتَوَکَّؤُا عَلَیْهٰا وَ أَهُشُّ بِهٰا عَلیٰ غَنَمِی وَ لِیَ فِیهٰا مَآرِبُ أُخْریٰ (۱۸) قٰالَ أَلْقِهٰا یٰا مُوسیٰ (۱۹) فَأَلْقٰاهٰا فَإِذٰا هِیَ حَیَّهٌ تَسْعیٰ (۲۰) قٰالَ خُذْهٰا وَ لاٰ تَخَفْ سَنُعِیدُهٰا سِیرَتَهَا اَلْأُولیٰ (۲۱) وَ اُضْمُمْ یَدَکَ إِلیٰ جَنٰاحِکَ تَخْرُجْ بَیْضٰاءَ مِنْ غَیْرِ سُوءٍ آیَهً أُخْریٰ (۲۲) لِنُرِیَکَ مِنْ آیٰاتِنَا اَلْکُبْریٰ (۲۳) اِذْهَبْ إِلیٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغیٰ (۲۴) قٰالَ رَبِّ اِشْرَحْ لِی صَدْرِی (۲۵) وَ یَسِّرْ لِی أَمْرِی (۲۶) وَ اُحْلُلْ عُقْدَهً مِنْ لِسٰانِی (۲۷) یَفْقَهُوا قَوْلِی (۲۸) وَ اِجْعَلْ لِی وَزِیراً مِنْ أَهْلِی (۲۹) هٰارُونَ أَخِی (۳۰) اُشْدُدْ بِهِ أَزْرِی (۳۱) وَ أَشْرِکْهُ فِی أَمْرِی (۳۲) کَیْ نُسَبِّحَکَ کَثِیراً (۳۳) وَ نَذْکُرَکَ کَثِیراً (۳۴) إِنَّکَ کُنْتَ بِنٰا بَصِیراً (۳۵) قٰالَ قَدْ أُوتِیتَ سُؤْلَکَ یٰا مُوسیٰ (۳۶)

اللغه

۱۸[و أهشّ]:الهش ضرب ورق الشجر لیتساقط،أی أسقط بها ورق الشجر.

۲۲[جناحک]:الجناح هو الید-سمّیت به تشبیها بجناح الطائر-و المقصود بجناحک:«الإبط».

ص:۱۴۲

۲۸[و احلل]:أی و فکّ.

۳۱[أزری]:ظهری،و منه المئزر لما یشدّ علی الظهر.

ص:۱۴۳

موسی یحمل رسالات اللّه

هدی من الآیات:

وجد موسی علیه الصلاه و السلام عند ربه فی تلک اللیله المظلمه الشاتیه دفئا و أنسا و هدی،و حینما سأله اللّه عن عصاه فاذا به یسترسل فی حدیثه،بلی ان الفائده الاولی التی یحصل علیها المؤمن من إیمانه،هی السکینه القلبیه و الاطمئنان النفسی.

لکن سرعان ما امتحنه اللّه و ابتلاه بأمره الصعب،إذ لا یکفی للإنسان أن یدعی الإیمان من دون أن یحمل-بقدر إیمانه-مسئولیّه و بلاء،و کلما کان الإیمان أعمق،کلما کان البلاء أشدّ«البلاء للأنبیاء ثمّ الأولیاء الأمثل فالأمثل».

و قد مرّ موسی علیه السلام بامتحان عسیر،ففی البدء أمره اللّه أن یخلع نعلیه،لأنه فی الوادی المقدس طوی،و ربما خشی موسی أن یؤمر من قبل اللّه سبحانه بترک عصاه کما فعل بنعلیه،فلذلک حینما سأله اللّه عنها إذا به یبین فوائدها العدیده:إنه یتوکأ

علیها،و یهش بها علی غنمه،و له فیها حاجات أخری غیر تلک،فأمره اللّه أن یلقی عصاه فألقاها،و سرعان ما رأی أن تلک العصا قد تحولت الی ثعبان ضخم،حیث جاء فی النصوص إنه کان من القوه،بحیث یحطم الحجر،و یقتلع الشجر،و تتوقد عیناه فی اللیل المظلم.کان هذا امتحانا:حیث أمره اللّه بأن یلقی عصاه فامتثل موسی،و الامتحان الآخر کان حیث أمره بأن یأخذ الثعبان فیمسکه من حلقه،و هو أخطر عضو فیه.تری کم ینبغی أن یکون إیمان الإنسان باللّه و بالرساله،و تغلّبه علی طبیعته البشریه کبیرا حتی یتمکن من أن یقدم علی هذه العملیه الصعبه؟! إنّ الإنسان بطبیعته یشکک نفسه-ألف مره-فی مثل هذه الحالات،فاذا تعرض لامتحانات صعبه کما تعرض لها موسی علیه السلام ،یقول لنفسه:من یقول بان هذا هو اللّه؟و من یقول بأن الأمر واجب،و من یقول بأن الأمر فوری؟و هکذا..و لکنّ موسی بالرغم من خوفه الشدید النابع من طبیعته البشریه تحدی و أخذ الثعبان فتحول-بمجرد أن أمسک به-الی عصا کما کانت.

لقد اجتاز موسی فی لحظات معدوده تلک المراحل التی اجتازها إبراهیم الخلیل علیه الصلاه و السلام فی سنین،فامر بحمل الرساله الی البشر.لقد تعرض إبراهیم الخلیل علیه السلام لخطر شخصی حینما القی به فی النار،و کذلک موسی تعرض لهذا الخطر حینما أمر بأن یأخذ الثعبان،و إبراهیم ترک زوجته و طفله الرضیع وحیدین فی الصحراء،و انفلت عنها و توجه الی اللّه،و کذلک موسی ترک أهله و هم فی ظروف صعبه،و توجه الی اللّه.

إبراهیم الخلیل تعرّض-مره أخری-للغربه و الابتعاد عن بلده،و کذلک موسی تعرض لذلک حیث بقی ضالا فی الصحراء مده الی أن اهتدی بفضل اللّه، هذا غیر فراره الی مدین و بقائه هناک لمده عشر سنین.

ص:۱۴۵

هكذا اجتاز موسى مراحل الاختبار،و تخطى امتحانات الرساله بسهوله و يسر، فلما اجتازها جميعا بنجاح،حمّله اللّه الرساله،و بعد أن حمل الرساله،طلب موسى من ربه أشياء لم تكن مجرد طلبات،بل كانت أيضا قرارات أقرّها موسى على نفسه.

إنک لا تدعو ربک بدعاء إلاّ بعد أن تقرر الوصول الى ما تدعو اللّه له بکل وسيله ماديه مقدوره لک،و تدع بقيه الوسائل التى لا- تستطيعها الى اللّه سبحانه.إذا دعوت اللّه أن يطعمک فلا- يعنى ذلک بأن تجلس فى بيتک إنّما عليک أن تبحث عن أرض صالحه و عن طريقه لتوصيل الماء إليها،و عن حب تزرعه فيها،و عن عمليه مبتکره للزراعه و السقايه و الحرث و الحصاد،ثمّ تطحنه و تخبزه و تحضره،و آنئذ تأكله.

و أنت فى هذه المسيره الطويله تتعرض لصعوبات و عوامل مضاده لعمليه الزراعه، تلک العوامل المضاده التى ليس فى وسعک التغلب عليها،فتدعو اللّه أن ينصرک عليها،أما العوامل التى تستطيع أن تقوم بتوفيرها عمليا فينبغى أن تسعى من أجلها،هذا هو جوهر الدعاء.

لقد طلب موسى من اللّه سبحانه مجموعه طلبات كانت فى نفس الوقت مجموعه قرارات أقرّها لنفسه كى يقوم بما طلب:أن يشرح له صدره،و يحل عقده من لسانه، و ييسر أمره،و يجعل له وزيرا من أهله و هكذا،هذه الطلبات كلها كانت تعنى حيث علم موسى:ان حمل الرساله بحاجه الى هذه الشروط الخمسه.

الشرط الأول:سعه الصدر،فسعه الصدر آله الرئاسه و لا يستطيع الفرد أن يصل الى الرئاسه الحقيقيه بحمل الرساله و تبليغها الى الناس،من دون أن يكون صدره واسعا،وسعه الصدر تعنى الصبر،و عدم الحزن أو التأثر من كلام المخالفين

و الجاهلين،و بالتالى فان صاحب هذه الصفه يستطيع أن يصدع بالحق دون أن تأخذه فى اللّه لومه لائم،أو يتأثر باعلام الناس.

الشرط الثانى:هو القدره على الحديث،فلقد كان موسى تمتاما لا يحسن الإعراب و الإفصاح فى حديثه عما يريده.

الشرط الثالث:بذل الجهود المكثفه لإفهام الناس رساله اللّه و أحكام شريعته، فليس وظيفه حامل الرساله أن يكره الناس على تطبيقها تحكما و استبدادا، وعوها أم لم يعوها.

الشرط الرابع:هو أن يبحث حامل الرساله عمن يؤازره،و يشترك معه فى أمره، و ينبغى أن يكون أقرب الناس إليه.

الشرط الخامس و الأخير هو:أن يكون هو مع هذا الوزير يهدفان الى تسبيح اللّه و ذكره،و الدعوه اليه،لا الاستعلاء فى الأرض،و الطغيان على الناس.

و هذه الشروط تنبّه إليها موسى عليه الصلاه و السلام حينما حمّل الرساله، و كان فى ذلك دليل على أن اختيار اللّه موسى لرسالته انما تمّ بحكمته البالغه،إذ انّ اللّه أعلم حيث يجعل رسالته،فلننظر كيف يحاور موسى ربه.

بينات من الآيات:

معجزتان:

[۱۸-۱۷] وَ مٰا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يٰا مُوسىٰ* قٰالَ هِيَ عَصٰايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهٰا وَ أَهُشُّ بِهٰا عَلىٰ غَنَمِي وَ لِيَ فِيهٰا مَآرِبُ أُخْرىٰ يعلم اللّه سبحانه ما فى يد موسى،و يعلم لماذا هو يحمل عصاه، و مع ذلك فهو

یسأله ربما لیمتحنه،إذ ان هذا السؤال یجعل موسی ینتبه الی أهمیه عصاه و فوائدها المادیه له التی ربما یکون قد غفل عنها.

فعند ما یأتیه أمر اللّه بطرحها و القائها بعیدا یمتثل لهذا الأمر بوعی.

کما اننا نستفید من جواب موسی علیه السلام عده أمور جانبیه اخری و هی:انه یتعب نفسه فی العباده و الشغل بدلاله قوله(أتوکأ)،و انه کان یعمل فی مهنه الرعی،کما کان یستعمل عصاه فی أغراض اخری،کالدفاع عن نفسه إذا تعرض للاعتداء مثلا.

[۱۹]قَالَ أَلْقِهَا یَا مُوسیٰ أن أمر اللّه لموسی بإلقاء العصا بعد أمره بخلع النعلین بالاضافه إلی ما قلناه من اختبار للطاعه،و التوجه الخالص له سبحانه،فهو أیضا لاعطاء درس لموسی علیه السلام و لنا من بعده،و ذلک الدرس هو ان اعتماد الإنسان یجب أن یکون فقط علی اللّه الذی بیده ملکوت کلّ شیء،و هو یجیر و لا یجار علیه،و ان اعتماد الإنسان علی الوسائل المادیه الموجوده فی الحیاه ما لم تکن بإذن اللّه و امتثالا لأمره فانه لا یغنی عنه شیئا فان القوه للّه جمیعا.

[۲۰]فَأَلْقٰاهٰا فَإِذٰا هِیَ حَیَّهٌ تَسْعیٰ کانت هذه مفاجأه مذهله و منظرا رهیبا بالنسبه الی موسی،و قبل أن یستبد به الخوف و یؤدی به الی الانهیار جاءه النداء الرحمانی.

[۲۱]قٰالَ خُذْهٰا وَ لاٰ تَخَفْ سَنُعِیدُهٰا سِیرَتَهَا الْأُولیٰ أی کما کانت من قبل عصا.

[۲۲] وَ اضْمُمْ يَدَكَ إِلىٰ جَنٰاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضٰاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ أى اجعلها تحت إبطك،فادخل موسى يده الكريمه تحت إبطه ثمّ أخرجها فاذا هى تشرق نورا.و معنى من غير سوء:ان البياض لم يكن من البرص كما توحى الى مثل ذلك التوراه المنحرفه.

آيَةً أُخْرىٰ و ذلك تعزيزا للآيه الأولى(العصا).

[۲۳] لِنُرِيَكَ مِنْ آيٰاتِنَا الْكُبْرىٰ وعد اللّه موسى بأن يريه آيات أخرى أكبر من هذه،و فعلا-كان فلق البحر و إغراق فرعون و أصحابه آيه كبرى،و لا ننسى الآيات المفصّلات الاخرى(الجراد، و القمل،و الضفادع،و الدم و..و..).

هذه الآيات يجب أن تزيدنا إيمانا بامكانيه الانتصار،و بامكانيه الحصول على آيات أكبر منها،ان اللّه سبحانه يعطينا بعض الآيات الصغيره ليشير بذلك الى قدرته،و يجعلنا نؤمن بأن الآيه الكبرى أمامنا هى الانتصار الكبير،و انما علينا أن نسعى و نبذل جهدنا،و لا نتقاعس أو نجبن و نخاف.

[۲۴] اِذْهَبْ إِلىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغىٰ القرآن حدد كلمه واحده حول فرعون و هى الطغيان،و لكن هذه الكلمه تكفينا عن ألف كلمه،فالإنسان الطاغى يفعل كلّ الجرائم و يرتكب كلّ الشرور..

الضروريات الرساليه:

هذه هى طلبات موسى و فى نفس الوقت هى خطط موسى:

ص:۱۴۹

[۲۵] قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِی صَدْرِی اجعل صدری واسعا شرحا لا أتهیب الصعاب التی قد تواجهنی فی الطریق، انی أعلم بأن حمل الرساله عملیه صعبه لذلک فأنا أحتاج الی صدر یسع کلّ مشاکل التبلیغ و یزید.

[۲۶] وَ یَسِّرْ لِی أَمْرِی لعل موسی علیه السلام کان یری إنّ فرعون یصعّد الموقف مما یدفع بموسی علیه السلام الی التصعید أیضا-خصوصا-و ان موسی علیه السلام کان مشهورا بالغضب فی اللّه، فکان یرید أن تمشی المسائل بهدوء بدون حاجه الی العنف.

هذا من ناحیه و من ناحیه ثانیه فان موسی علیه السلام کان یدرک خطوره و صعوبه المسؤولیه علی عاتقه،فکان یرید التیسیر فی أموره،و رفع الثقل جرّاء حمله الرساله.

هذا إذا علمنا أنّ الإنسان الذی یحمل هموما کثیره بسبب عمله لن یفلح أثناء عمله،لأن الهم و الاحساس بثقل العمل یثبّط الإنسان عن العمل،فلذلک أراد موسی أن یزیل هموم عمله بدعائه لربه لتیسیر عمله..الذی یعنی الاستعداد للقیام بدور أکبر..

[۲۷-۲۸] وَ احْلُلْ عُقْدَهً مِنْ لِسانِی یَفْقَهُوا قَوْلِی کلمه اللسان هنا ربما تعبّر عن الاعلام،فموسی علیه السلام کان یطمح الی أعلام قوی یدخل فی الأعماق،و ربما هذه الفکره مأخوذه من قوله یَفْقَهُوا قَوْلِی و بمعنی آخر إن موسی یطمح الی شیئین:

الشیء الأول:قوه الاعلام الذاتیه،و هذا لا یتم إلّا بمعرفه منطق الناس،کما

قال رسول اللّه صلى الله علیه و آله :«نحن معاشر الأنبیاء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم »و هذه الفكره یدل علیها قوله: وَ احْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسٰانِی و هی التی تدل علیها الروایه التالیه.

الشیء الثانی:خلق التأثیر أو بمعنى آخر انه طلب من اللّه أن یلهم عقولهم التفهم لرسالته،و كأن موسى یدعو لهم بالعقل:و هذا ما تدل علیه الجمله الثانیه یَفْقَهُوا قَوْلِی .

جاء فی تفسیر القمی عن الامام الباقر علیه السلام :«و كان فرعون یقتل أولاد بنی إسرائیل كلما یلدون،و یربی موسى و یكرمه،و لا یعلم أن هلاكه على یدیه،و لما درج موسى كان یوما عند فرعون،فعطس فقال:الحمد للّه رب العالمین،فأنكر فرعون ذلك و لطمه و قال:ما هذا الذی تقول..؟فوثب موسى علیه السلام على لحیته و كان طویل اللحیه فهبلها-أی قطعها-فألمه ألما شدیدا،فهمّ فرعون بقتله،فقالت له امرأته:هذا غلام لا یدری ما تقول،فقال فرعون بلى یدری،فقالت: ضع بین یدیك تمرا و جمرا،فان میّز بین التمر و الجمر فهو الذی تقول،فوضع بین یدیه تمرا و جمرا،و قال له:كل،فمد یده الى التمر فجاء جبرئیل فصرفها الى الجمر فأخذ الجمر فی فیه فاحترق لسانه،و صاح و بكى،فقالت آسیه لفرعون:ألم أقل لك انه لم یعقل..فعفا عنه»..

هكذا أضحى موسى علیه السلام منذ ذلك الیوم ألثغا.

[۲۹-۳۰] وَ اجْعَلْ لِی وَزِیراً مِنْ أَهْلِی* هٰارُونَ أَخِی لقد كان هارون أكبر سنا من موسى،و كان جلال النبوه ظاهرا على محیاه، و كانت مهمات موسى عظیمه،إذ لم تقتصر على تبلیغ رسالات اللّه فحسب،بل و أیضا مقاومه طاغوت متجبر كفرعون،و إنقاذ شعب مستضعف ثمّ قیادته

و توجیهه،فدعا ربه أن یجعل هارون وزیره.

و

قد جاء فی حدیث مأثور عن أبی جعفر الباقر علیه السلام :

قال الراوی فقلت لابی جعفر:و کان هارون أخا موسی للأم و أبیه؟ قال:نعم أما تسمع قول اللّه تعالی: یَا بْنَ أُمَّ لاٰ تَأْخُذْ بِلِحْیَتِی وَ لاٰ بِرَأْسِی ؟ فقلت:فأیهما کان أکبر سنا؟قال:هارون،قلت:و کان الوحی ینزل علیهما جمیعا؟قال:کان الوحی ینزل علی موسی،و موسی یوحیه الی هارون،فقلت:

أخبرنی عن الأحکام و القضایا و الأمر و النهی کان ذلک إلیهما؟قال:کان الذی یناجی ربه و یکتب العلم،و یقضی بین بنی إسرائیل موسی،و هارون یخلفه إذا غاب من قومه للمناجاه. (۱)

[۳۱] أُشْدُدْ بِهِ أَزْرِی أی قوّ به ظهری،و لعل ذلک یعنی انه کان یستخلفه عند ما یغیب عن قومه.

[۳۲] وَ أَشْرِکْهُ فِی أَمْرِی أی یتحمل جزء من مسئولیاته حتی عند وجوده.

[۳۳] کَیْ نُسَبِّحَکَ کَثِیراً التسبیح هو تنزیه اللّه کما

جاء فی الحدیث: انه سئل الامام أبا عبد اللّه عن معنی سبحان اللّه؟فقال:تنزیهه. (۲)

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۳/ص ۳۷۷-۳۷۸.

۲- ۲) بحار الأنوار/ج ۹۳/ص ۱۷۷.

[۳۴] وَ نَذْكُرَكَ كَثِيراً و لا يعنى ذكر اللّه مجرد تحريك اللسان،بل جعل اللّه مراقبا فى السر و العلن، و يدل على ذلك الحديث الشريف:

قال أبو عبد اللّه عليه السلام :«ما ابتلى المؤمن بشىء أشدّ عليه من خصال ثلاث حرمها،قيل:و ما هنّ؟قال:المواساه فى ذات اللّه، و الإنصاف من نفسه،و ذكر اللّه كثيرا.

أما و انى لا أقول لكم:سبحان اللّه و الحمد للّه و لا إله إلاّ اللّه و اللّه أكبر، و لكن ذكر اللّه عند ما أحل له،و ذكر اللّه عند ما حرم عليه. » (۱)[۳۵] إِنَّكَ كُنْتَ بِنا بَصِيراً بأعمالنا و تصرفاتنا،و لعلّ هذه الآيات توحى بأن هدف موسى و هارون لم يكن السيطره بل تطبيق واجبات الرساله.

و نتساءل:ما الذى دعا موسى عليه السلام الى أن يطلب من الرب وزيرا كهارون عليه السلام ؟الجواب:إنّ موسى عليه السلام عرف منذ البدء أبعاد الرساله التى سوف يحملها،و الصعاب التى تعترضه فى سبيل تبليغها،و الضعف الذى اعترى قومه من بنى إسرائيل نتيجه الاستعباد مده طويله،و القوه التى طغى بها أعداؤهم من الأقباط بقياده فرعون.

و كان يشعر-لذلك-بالحاجه الى من يسند ظهره،و يطبق واجبات الرساله بلا تردد،فيكون إماما فى الطاعه،و قدوه فى تنفيذ أوامر القياده،فلم يجد أفضل من أخيه هارون.

۱- ۱) المصدر/ص ۱۸۳.

و هکـذا کـلّ صاحب دعوه بحاجه الی شخصـیه تتجلی فیه رسالته و یکون مثلا أعلی لها،کما کان هارون لموسـی،و واصف بن برخیا الذی أوتی علما من الکتاب لسلیمان،و یحیی لعیسی بن مریم،و کما کان علی بن أبی طالب علیه السلام للنبی محمد صلی اللّه علیه و آله،و هکذا نجد

الرسول یکرر: أنت منی بمنزله هارون من موسی إلاّ إنّه لا نبی بعدی.

و لقد حدثت واقعه تاریخیه:أظهرت الحاجه الی ذلک.

حیث

إنّ النبی لمـا أراد الخروج الی غزوه تبوک استخلف أمیر المؤمنین علیه السـلام فی أهله و ولـده و أزواجه و مهـاجره فقـال له:یا علی ان المـدینه لاـ تصـلح إلاّـ بی أو بک،فحسـده أهل النفاق و عظم علیهم مقامه فیها بعـد خروج النبی صـلی اللّه علیه و آله و علموا انها تتحرس به و لا یکون للعدو فیها مطمع،فساءهم ذلک لما یرجونه من وقوع الفساد و الاختلاف عند خروج النبی-صلی اللّه علیه و آله-عنها،فارجفوا به علیه السـلام و قالوا:لم یسـتخلفه رسول اللّه إکراما له و لا إجلالا و موده و إنما اسـتخلفه اسـتثقالا له،فلما بلغ أمیر المؤمنین(علیه السـلام)إرجاف المنافقین به أراد تکـذیبهم و فضـیحتهم،فلحق بالنبی صـلی اللّه علیه و آله فقال:یا رسـول اللّه ان المنـافقین یزعمـون:أنـک انمـا خلفتنی اسـتثقالا و مقتـا،فقـال رسـول اللّه صـلی الله علیه و آله :«إرجع یـا أخی الی مکانـک فـان المـدینه لاـ تصـلح إلاّـ بی أو بـک،فـأنت خلیفتی فی أهلی و دار هجرتی و قومی،أما ترضـی أن تکون منی بمنزله هارون من موسـی إلاّ انه لا نبی بعدی؟ » (1) [۳۶] قالَ قَدْ أُوتِیتَ سُؤْلَکَ یا مُوسی و هکذا منّ اللّه علی عبده و رسوله موسی بن عمران،فأتاه کلّ ما سأله مره واحده،لأنه کان من وسائل تبلیغ الرساله و لم تکن طلبات شخصیه.

۱- ۱) المصدر/ص ۳۷۸.

[سوره طه (۲۰): الآیات ۳۷ الی ۴۲]

اشاره

وَ لَقَدْ مَنَنّا عَلَیْکَ مَرَّهً أُخْریٰ (۳۷) إِذْ أَوْحَیْنا إِلیٰ أُمِّکَ ما یُوحیٰ (۳۸) أَنِ اقْذِفِیهِ فِی اَلتّابُوتِ فَاقْذِفِیهِ فِی اَلْیَمِّ فَلْیُلْقِهِ اَلْیَمُّ بِالسّاحِلِ یَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِی وَ عَدُوٌّ لَهُ وَ أَلْقَیْتُ عَلَیْکَ مَحَبَّهً مِنِّی وَ لِتُصْنَعَ عَلیٰ عَیْنِی (۳۹) إِذْ تَمْشِی أُخْتُکَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّکُمْ عَلیٰ مَنْ یَکْفُلُهُ فَرَجَعْناکَ إِلیٰ أُمِّکَ کَیْ تَقَرَّ عَیْنُها وَ لاٰ تَحْزَنَ وَ قَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّیْناکَ مِنَ اَلْغَمِّ وَ فَتَنّاکَ فُتُوناً فَلَبِثْتَ سِنِینَ فِی أَهْلِ مَدْیَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلیٰ قَدَرٍ یا مُوسیٰ (۴۰) وَ اصْطَنَعْتُکَ لِنَفْسِی (۴۱) اِذْهَبْ أَنْتَ وَ أَخُوکَ بِآیاتِی وَ لاٰ تَنِیا فِی ذِکْرِی (۴۲)

اللغه

۳۹[التّابوت]:صندوق من خشب.

[الیمّ]:البحر،و هو بحر الأحمر الموجود فی مصر.

[و لتصنع]:أی و لتربّی.

۴۲[و لا تنیا]:لا تضعفا،من ونی ینی-بمعنی الضعف و الفتور.

ص:۱۵۵

موسی بین یدی العنایه الالهیه

هدی من الآیات:

سلسلتان من النعم تتوافر عند الإنسان لتکوّن شرطا مسبقا لتلقّیه النعمه الکبری،و هی نعمه الهدایه الالهیه.

السلسله الأولی:النعم المادیه.

مثل النمو الجسدی،و التکامل العقلی،و وجود أدنی ضرورات الحیاه المعیشیه.

السلسله الثانیه:النعم المعنویه.

مثل سلامه القلب،و عدم وجود نقص فی أیّ حاجه من الحاجات النفسیه،أو فی احساس الإنسان تجاه الآخرین،و سلامته من العقد النفسیه التی تمنع الهدایه.

تشیر هذه الآیات الکریمه الی أن موسی علیه السلام قبل أن یتلقی الرساله،تلقی هاتین السلسلتین من النعم،فمن جهه نری أن اللّه سبحانه و تعالی أنقذ النبی موسی علیه السلام من

ص:۱۵۶

قتل محتّم،فقد كان فرعون يقتل أبناء بنی إسرائیل و یستحیی نساءهم،فلمّا رأی أنّ نسل بنی إسرائیل سوف ینقطع بهذه الطریقه،أخذ یقتل فیهم عاما و یترکهم عاما،و قد ولد موسی علیه السلام فی تلک السنه التی یقتل فیها فرعون أبناء بنی إسرائیل و أنجاه اللّه مع ذلک من القتل،و بعد ذلک نجی من موت محتم آخر،عند ما قتل قبطیا،فهرب الی المدائن،حیث تشکّل هذه الهجره الانطلاقه الرسالیه الکبری.

کما تعرض موسی علیه السلام لسلسله طویله من الإخطار،کذلک کلّ إنسان یتعرض لإخطار محدقه تکاد تودی بحیاته،و لکنه ینقذ منها برحمه من اللّه و فضل،و القلیل من الناس من یلتفت إلیها أو یذکرها عند ما یکبر،و هنا یذکّر اللّه موسی علیه السلام بطفولته حینما کاد جلادوا فرعون أن یقتلوه فأنقذه اللّه،و لا بدّ أن نذکّر أنفسنا بتلک الأیام الخوالی التی کادت الإخطار فیها أن تهلکنا فأنقذنا اللّه منها.

کما یذکّر اللّه موسی بالسلسله الثانیه من النعم،فقد ألقی اللّه علیه محبه ممن کانوا یحیطون به،لکی تنمو نفسه نموا متکاملا دون عقد أو أدنی نقص،و یکون بذلک مستعدا لتلقی نعمه الهدایه،و لکن السؤال هل هذه نعمه خاصه؟ کلّا!کلّ واحد منا قد تلقی أمواجا من الرحمه و الحنان من قبل والدیه،و من قبل المحیطین به،فالکثیر نمت نفوسهم سلیمه و مستقیمه مستعده لتلقی نعمه الهدایه، و لکن عند موسی یصبح هذا الأمر أکثر وضوحا،حیث ان اللّه سبحانه حمل التابوت الذی یحمل موسی الی بیت عدوه فرعون،و عند ما رآه فرعون وقع فی قلبه موقعا حسنا و أحبه فلم یقتله،و حینما فتّش فرعون عن المراضع لم یجد إلّا امه و هو لا یعرفها انها أمه،فعاد موسی الی أمه کی ینمو فی حضن الأمومه الدافئ،الذی یربی نفس الطفل علی الاستقامه و السلامه المعنویه،لأن من یفقد حنان الأمومه طفلا یظل محتاجا لها کبیرا.

ص:۱۵۷

الطفل لا یرضع من ثدی أمه لبنا فقط،و انما یرتضع من أمه حنانا و دفئا،و فی قصه موسی رمز الی هذه الرضاعه.

بعد أن تتوفر هاتان السلسلتان من النعم التمهیدیه تأتی النعمه الکبری و هی نعمه الهدایه..و بعد ما ذکّر اللّه رسوله موسی علیه السلام طلب منه أن یبلغ هذه النعمه (الرساله).

إنّ نعمه الهدایه بالنسبه لموسی،هی نعمه الرساله،و لیس للرسول الذی یبلغ الرساله فقط،بل هی للمرسل الیه الذی یتلقی الرساله و یستقبلها محاولا تطبیقها أیضا.

بینات من الآیات:

منّه النجاه:

[۳۷] وَ لَقَدْ مَنَنّٰا عَلَیْکَ مَرَّهً أُخْریٰ کما مننا علیک الیوم بالرساله،کذلک مننّا علیک بنجاتک و رضاعتک و تربیتک.

[۳۸] إِذْ أَوْحَیْنٰا إِلیٰ أُمِّکَ مٰا یُوحیٰ وضعنا خطه لخلاصک من ید فرعون و جلادیه،حیث اننا أوحینا الی أمک صنع تابوت و وضعک فیه،ثمّ تترکه فی الیم.

إن الإنسان مزوّد فی حیاته بتعالیم حول السلامه و الاسترزاق دون أن یعرف ان هذه تعالیم،و بطریقه ما ینقذ نفسه و ینقذ من کلف به من الإخطار بسببها،

جاء فی تعقیب صلاه العشاء :«اللهم أنه لیس لی علم بموضع رزقی و إنّما أطلبه

بخطرات تخطر على قلبی... » (۱)كلّ ذلك بوحی من اللّه سبحانه و تعالى،و لكن ذلك يتجلّى عند موسى عليه السلام بشكل أكبر،ليرمز به اللّه سبحانه فی وحيه الى الناس..

كلّ الناس..فی سائر الظروف.

[۳۹] أَنِ اقْذِفِيهِ فِی التّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِی الْيَمِّ قالوا:بأن أم موسى عليه السلام حينما جاءها الوحی أن تصنع تابوتا لم تعرف كيف تصنع التابوت،فجاءها جبرئيل و علّمها كيف تصنع التابوت،ثم بطنت داخل التابوت بالقطن،لتمنع تسرّب الماء الى داخله،ثمّ أغلقت التابوت على موسى، فقذفته فی اليم،و اليم هنا هو نهر النيل.

فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسّاحِلِ أی يقذفه النيل الى الشاطئ،و لكن أیّ شاطئ؟!انه بيت فرعون،و هنا نلاحظ بوضوح كيف تسخر الطبيعه فی خدمه الإنسان.

من مأمنه يؤتى الحذر:

يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِی وَ عَدُوٌّ لَهُ لما ذا يربی اللّه موسى عليه السلام فی بيت عدوه؟ لأنّ اللّه سبحانه و تعالى يريد أن يقول للبشريه جميعا:أيها البشر!أنا خالقكم و أموركم بيدی،فها أنا ذا أربی موسى فی بيت فرعون عدوی و عدوه،تحت عينی فرعون،ثمّ أسلطه عليه،و هذا دليل على أن قوه اللّه و قدرته قد تأتی من داخل قصور

۱- ۱) كليات مفاتيح الجنان/ص ۴۳.

الطغاه،و كما يقول المثل:(من مأمنه يؤتى الحذر).

وَ أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ألبس اللّه سبحانه موسى عليه السلام ثوب المحبه كما يلبس الإنسان ثوبا، بحيث ينجذب إليه و يحبه كلّ من يراه.

/افى تنميه المواهب:

وَ لِتُصْنَعَ عَلىٰ عَيْنِي أراد اللّه أن ينمى مواهب موسى عليه السلام بصوره استثنائيه تمهيدا لتحميله الرساله، و كذلك بالنسبه الى جميع الأنبياء عليه السلام حيث أن اللّه سبحانه يختار أنبياءه منذ طفولتهم فيعرضهم للامتحانات،و ينمى مواهبهم بطرق معينه،و هذا لا يخالف الفكره الإسلاميه حول:ان الأنبياء يتعرضون لامتحانات كما يتعرض غيرهم،قال تعالى: وَ إِذِ ابْتَلىٰ إِبْرٰاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمٰاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ (۱).

إنّ اللّه سبحانه و تعالى يعرّض أنبياءه لامتحانات صعبه الى درجه لا يتحملها الإنسان العادى،و إذا لم يتحملها النبى فلا يختاره،و لكن مع ذلك هناك نعمه تسبق نعمه الامتحان،و هى بناء النبى بناء استثنائيا استعدادا لتحميله مسئوليات ضخمه فى المستقبل،و يمكن أن نضرب مثلا لهذه الحاله بالتدريب فى الوحدات الخاصه فى الجيش.

هؤلاء المنتمون الى هذه الوحدات يتعرضون لتدريب صعب و شاق لتنمو مواهبهم،و تتدرب أجسادهم على الصعاب،و لكن هل يكتفى المدرب بهذه

۱- ۱) سوره البقره۱۲۴/.

التدریبات الصعبه الشاقه؟کلاّ..إنّما یمتحنهم بعد ذلک امتحانا،فاذا سقط أحدهم فی الامتحان یسرّح.

النبی کذلک یتعرض منذ نعومه أظفاره لصعوبات،فعیسی علیه السلام تعرض لصعوبه مّا،حیث انه ولد من غیر أب،فاتهموا أمه الطاهره مریم علیه السلام ،فانقذهما اللّه من هذه التهمه،و إبراهیم علیه السلام ولد فی وضع مشابه لوضع موسی علیه السلام ،حیث کان نمرود یقتل الأنباء و یستحیی النساء،فولدته أمه فی هذا الوضع و نجاه اللّه سبحانه،و نبینا محمد صلی الله علیه و آله تعرض منذ طفولته للیتم.

۲/

فی بیت فرعون:

[۴۰] إِذْ تَمْشِی أُخْتُکَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّکُمْ عَلیٰ مَنْ یَکْفُلُهُ حینما أنقذ اللّه موسی من فرعون،أنقذه من خطر مادّی،و لکن ینقذه هنا من خطر معنوی و نفسی،ذلک هو تربیته بدون أم و أب،فیفتقد الی الحنان،و افتقاده الی حنان الوالدین قد یسبب له عقده نفسیه،فیفقد السلامه النفسیه الضروریه لاستقبال الوحی،و لکنّ اللّه قدر أن یحل هذه المشکله.

أخذ فرعون هذا الطفل الصغیر من بنی إسرائیل فالقی اللّه محبته فی قلبه،و لکنه مع ذلک تجلّد،و قال:أیها الجلاد اضرب عنقه،لأنه عرف أن ملامحه هی ملامح بنی إسرائیل،فتدخلت زوجته آسیه بنت مزاحم: وَ قٰالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَیْنٍ لِی وَ لَکَ لاٰ تَقْتُلُوهُ عَسیٰ أَنْ یَنْفَعَنٰا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَ هُمْ لاٰ یَشْعُرُونَ (۱)و قبل فرعون ترجی زوجته،و بعث الی من حوله من المراضع فجئن،و لکن موسی علیه السلام هذا الطفل الصغیر أبی،أن یرتضع من أی ثدی،و هنا جاءت أخته التی أمرت من قبل أمه

۱- ۱) سوره القصص۹/.

بأن تقصّ أثر التابوت،و تمشى وراءه،و كانت واقفه بباب فرعون حين بعث الى من حوله من المراضع،فأدخلت و قالت:إنى أعرف من يرضعه و يكفله لكم.

/۳العوده الى الأم:

فَرَجَعْنٰاكَ إِلىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهٰا وَ لاٰ تَحْزَنَ تقر عين الأم بوجود طفلها و تطمئن،و يستفيد الطفل من هذا الاطمئنان.

و القرآن يشير هنا الى حنان الأمومه الضرورى لتنميه مواهب الطفل،لان الطفل لا يفهم شيئا آنئذ،و لكن الأم وحدها هى التى تفهم مدى حنانها الى طفلها،و ان الطفل قره عينها و ان افتقاده يسبب حزنا لها.

/۴فى محنه القتل:

مره أخرى ينجى موسى من الخطر المعنوى فيقول:

وَ قَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنٰاكَ مِنَ الْغَمِّ وَ فَتَنّٰاكَ فُتُوناً أنقذه اللّه سبحانه و تعالى مره أخرى من الموت،و لكن اللّه لم ينقذه من الموت فقط،بل أنقذه أيضا من الغمّ،حيث ان موسى عليه السلام بعد أن قضى فى صراعه على القبطى،اغتمّ بسبب هذه الفعله،و القلب المصاب بالغم لن يكون مستعدا لتلقى الرساله،فأنجاه اللّه من هذا الغم،لكى يكون مستعدا لتلقى زخّات الرساله،و كم نجانا اللّه و أنقذنا من أمثال هذا الغم،الذى يسبب تراكمات فى النفس،و بالتالى عقدا نفسيه تحجب الإنسان عن فهم الرساله.

فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلىٰ قَدَرٍ يٰا مُوسىٰ أى بقى عشر سنين فى مدين عند عمه شعيب،ثمّ بعد انتهاء هذه السنوات

العشر جاء على قدر..يعنى جاء و قد قدر اللّه مجيئه تقديرا.

و نحن كثير من أعمالنا نحسبها صدفه،بينما هى أقدار من اللّه سبحانه، و هكذا قدر لموسى أن يأتى بعد عشر سنوات،و أن يتيه فى الصحراء،و تلد زوجته، و يحتاج الى قبس من النار..قدّر له كلّ ذلك،ثمّ جىء به لاستقبال الرساله.

الأحداث هى التى تدفعك لان تختار طريقا،قد يكون فيه خيرك،فمثلا:

بعض الناس قد لا توجد لديه رغبه أساسا فى السياسه،و لا يتدخل فيها،لكن قد ينتمى ابنه الى حركه إسلاميه،فيطارده الأمن،و يفتش عنه فى بيته،فيسبه الأمن هو و أهله،فينتبه الأب و تنتبه الأم و الأخوه،ثمّ قد ينتمون الى هذه الحركه و قد يصبحون قاده لها أو شهداء فيها.

إذا جاءك قدر من هذه الأقدار،فاعرف بأن نعمه من اللّه سبحانه قد هبطت عليك،و ان اللّه يريد لك الجنه،و يريد لك أن تكون ذا شأن،فلا تغلقنّ الأبواب أمام الأقدار الخيرّه،و لا تمنع نفسك من بركات السماء.

ثمّ تأتى مرحله التربيه،و يجب على الإنسان أن يشكر مربيه الذى رباه على الخير و التقوى و الاستقامه و..و..منذ طفولته المبكره،و يجب على الإنسان أن يشكر ربه الذى و فّر له مثل هؤلاء المربين الذين يربونه على الصفات الحسنه،و شكر اللّه على التربيه الفاضله التى تلقيتها هو أن تستجيب للرساله التى تهبط عليك.

التربيه المثلى:

[۴۱] وَ اصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي خلق اللّه الإنسان لنفسه،و خلق الأشياء للإنسان،كما

قال اللّه تعالى فى الحديث القدسى: [عبدى!خلقت الأشياء لأجلك،و خلقتك لأجلى،وهبتك الدنيا

بالإحسان و الآخره بالإيمان] (۱)خلق اللّه الإنسان ليكون منه خلفاؤه فی الأرض،و سخر له كلّ شیء من الطبيعه، و كلّ شیء منه،العلم و الاراده و العقل،و لكن كثير من الناس لا يشكرون ربهم،و لا يعرفون منزلتهم فيهبطون الی حضيض الأنعام،بل أضل سبيلا: إِنْ هُمْ إِلاّ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً (۲)و الاصطناع الربانیّ أكثر بروزا عند الأنبياء،لان اللّه يوفر للأنبياء التربيه المثلی،و يولدون من آباء و أمهات مؤمنين،فهم فی قمه الكمال و الصلاح،و لو لا صلاح الأبوين لما اختار اللّه سبحانه و تعالی من أولادهم أنبياء.

جاء فی الآيه الكريمه حول نبينا محمد صلی الله عليه و آله : وَ تَقَلُّبَكَ فِی السّاجِدِينَ (۳)فسرت هذه الآيه إنّ النبی كان يتقلب فی صلب الآباء و الأمهات الساجدين للّه سبحانه،و أن جميع آباء النبی مؤمنين و صالحين.

[۴۲] اِذْهَبْ أَنْتَ وَ أَخُوكَ بِآياتِی وَ لا تَنِيا فِی ذِكْرِی بعد أن وفرنا لك وسائل و ظروف الاستجابه للرساله،من وسائل ماديه و معنويه،و هديناك الی الرساله،احمل أنت و أخوك الرساله بقوه و لا تضعفا و لا تهنا فی تبليغها.

ما هو الذكر؟

قد يكون الذكر هو الرساله،و قد يكون الذكر هو ذكر اللّه الذی يربی نفس

۱- ۱) مشارق أنوار اليقين.

۲- ۲) سوره الفرقان/۴۴.

۳- ۳) سوره الشعراء/۲۱۹.

الإنسان لتحمل صعوبات تبليغ الرساله..فأنت حين تبلغ الرساله تتعرض لمجموعه من الصعاب و المشاكل،و تجاوز تلك الصعاب و المشاكل لا يكون إلاّ بذكر اللّه سبحانه،فبذكر اللّه يطمئن قلبک،و تشتد إرادتک،لذلک على الإنسان الذى يحمل الرساله ألاّ ينى و لا يفتر عن ذكر اللّه أبدا،كى ينصره اللّه على المشاكل.

ص:۱۶۵

[سوره طه (۲۰): الآيات ۴۳ الى ۵۵]

اشاره

اِذْهَبٰا إِلىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغىٰ (۴۳) فَقُولاٰ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشىٰ (۴۴) قٰالاٰ رَبَّنٰا إِنَّنٰا نَخٰافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنٰا أَوْ أَنْ يَطْغىٰ (۴۵) قٰالَ لاٰ تَخٰافٰا إِنَّنِي مَعَكُمٰا أَسْمَعُ وَ أَرىٰ (۴۶) فَأْتِيٰاهُ فَقُولاٰ إِنّٰا رَسُولاٰ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنٰا بَنِي إِسْرٰائِيلَ وَ لاٰ تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنٰاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَ اَلسَّلاٰمُ عَلىٰ مَنِ اِتَّبَعَ اَلْهُدىٰ (۴۷) إِنّٰا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنٰا أَنَّ اَلْعَذٰابَ عَلىٰ مَنْ كَذَّبَ وَ تَوَلّٰى (۴۸) قٰالَ فَمَنْ رَبُّكُمٰا يٰا مُوسىٰ (۴۹) قٰالَ رَبُّنَا اَلَّذِي أَعْطىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدىٰ (۵۰) قٰالَ فَمٰا بٰالُ اَلْقُرُونِ اَلْأُولىٰ (۵۱) قٰالَ عِلْمُهٰا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتٰابٍ لاٰ يَضِلُّ رَبِّي وَ لاٰ يَنْسَى (۵۲) اَلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اَلْأَرْضَ مَهْداً وَ سَلَكَ لَكُمْ فِيهٰا سُبُلاً وَ أَنْزَلَ مِنَ اَلسَّمٰاءِ مٰاءً فَأَخْرَجْنٰا بِهِ أَزْوٰاجاً مِنْ نَبٰاتٍ شَتّٰى (۵۳) كُلُوا وَ اِرْعَوْا أَنْعٰامَكُمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ لِأُولِي اَلنُّهىٰ (۵۴) مِنْهٰا خَلَقْنٰاكُمْ وَ فِيهٰا نُعِيدُكُمْ وَ مِنْهٰا نُخْرِجُكُمْ تٰارَةً أُخْرىٰ (۵۵)

اللغه

۴۵[يفرط علينا]:أى يتقدّم فينا بعذاب.

۵۳[مهدا]:كالمهد للطفل الّذى يستقرّ فيه و يكون سببا لراحته و صحته.

ص:۱۶۶

[شتّى]:جمع شتيت،أى مختلف.

۵۴[النّهى]:جمع نهيه و هى العقل،و إنّما قيل له نهيه لأنّه ينهى الإنسان عن الفساد.

هدی من الآیات:

فی طریق الإنسان الی ربه عقبات و لا بدّ من تصفیتها:

أولا:الاستهزاء(أو انعدام الاحساس بالمسؤولیه).

ثانیا:الرجعیه(و الحنین الی سیره القرون الأولی).

و تعالج آیات هذا الدرس هذه العقبات:

أول کلمه قالها اللّه لموسی و هارون(علیهما السلام)حینما أمرهما بدعوه فرعون الی الهدی هی:« إِنَّهُ طَغیٰ »،و طغیان فرعون جاء من إحساسه بالاستغناء،فکلما أحسّ الإنسان بعدم الحاجه،و زعم إن حاجاته تتحقق یطغی،فأمر اللّه سبحانه و تعالی موسی و هارون علیه السلام بمعالجه الطغیان عن طریق التذکره و التوجیه،و بیان حاجه فرعون الحقیقیه،بالرغم من زعمه بعدم الحاجه،ثمّ عالج السیاق العقبه الثانیه،الاستهزاء ببیان ان الجزاء لواقع،و ان الإنسان لمسؤول عن مواقفه،لان

الإنسان لا يبالی ما دام لا یعلم إن علیه جزاء،أما إذا عرف انه سوف یجزی بمواقفه،فسوف یعود الی رشده.

أما العقبه الثالثه و هی الحنین الی الماضی،و الخوف من تطویره،فقد عالجها القرآن الحکیم ببیان إن کلّ الحیاه ماضیها و حاضرها و مستقبلها محکومه بإراده اللّه، و إن تدبیر اللّه و تقدیره و قضاءه یحیط بالحیاه احاطه کامله،و ان القرون الماضیه لا یجب أن تقدس تقدیسا مطلقا،بل إن علمها عند اللّه،فاذا کانت تلک القرون فی طریق الحق فهی لأجل الحق مقدسه،أما إذا کانت فی طریق الباطل فعلیها لعنه اللّه لأنها لم تتبع الحق.

هذا و لقد جاءت رسالات اللّه لتعالج أیضا کلّ عقبه أو شذوذ فی حیاه البشر، إن فرعون کان قد استعبد بنی إسرائیل کعنصر مخالف لعنصره،فعالج القرآن هنا هذه العقبه أیضا ببیان إن بنی إسرائیل یجب أن یتحرروا،و بالرغم من ان هذه العقبات ذات أبعاد مختلفه،بعد اجتماعی،و بعد سیاسی،و بعد ثقافی و..و..إلخ،لکن الآیات الکریمه فی سوره طه-کما یبدو-ترکّز الضوء علی البعدین النفسی و الثقافی أکثر من أیّ بعد آخر.

بینات من الآیات:

کیف یعالج القرآن الطغیان؟

[۴۳] اِذْهَبٰا إِلیٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغیٰ الإنسان الذی یطغی إنّما یطغی لاحساسه بعدم الحاجه،و ان الآخرین محتاجون إلیه،فإذا أحسّ الإنسان بحاجته انحسر عنه الطغیان.

و الطغیان یأتی بسبب إحساس الإنسان بأن أهدافه فی الحیاه قد تحققت،و ان

طموحه قد بلغ غايته،أما الفرد الذى يشعر بأنه لم يحقق أهدافه،فانه يخشع للسبل و الوسائل التى تحقق ذلك الهدف.

[۴۴] فَقُولاٰ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشىٰ كيف يعالج الطغيان القول الليّن؟لأن الطغيان حاله استكبار و غرور،و معالجه الغرور قد لا يمكن بالعنف،بل بما ينفذ فى الأعماق،و لا يثير دفائن الكبر،و من هنا كان على الداعيه أن يعرف:ان هدفه ليس تحطيم المتكبّر،بل إرشاده، و بالتالى فعليه ألاّ يقابل طغيانه بطغيان مثله،بل بسعه الصدر و دماثه الخلق.

القول اللّين هو الدرس العملى للطاغيه،ليعرف أن طغيانه فى غير محله،القول اللّين يأتى ليهدم أساس الطغيان و ليعرف صاحب الطغيان بأن هناك طريقا آخر لتحقيق الأهداف.

هناك فكره أخرى نستلهمها من هذه الآيه و هى:ان الطاغيه حتى لو بلغ بطغيانه الى مستوى طغيان فرعون الذى يضرب به المثل،فهو لا يزال بشرا،و لا تزال هناك فرصه لهدايته،لذلك يجب أن لا نيأس من هدايه أىّ بشر.

[۴۵] قٰالاٰ رَبَّنٰا إِنَّنٰا نَخٰافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنٰا أَوْ أَنْ يَطْغىٰ كان موسى و هارون عليه السلام يخافان على الرساله قبل أن يخافا على أنفسهما،حيث كانا يخشيان مبادره فرعون بقتلهما،أو تعذيبهما بحيث يقطع عليهما الكلام،أو يمنع وصول الرساله الى الناس،و لعل هذا هو معنى« أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنٰا »بمعنى يبادر بالعمل ضدنا.

و على هذا المعنى فلم يكن خوفهما هنا على أنفسهما،كما لم يكن خشيه

موسی فی مقام آخر علی نفسه،حیث

یقول الامام علی علیه السلام :«الیوم أنطق لکم العجماء ذات البیان!عزب رأی امرئ تخلف عنی!ما شککت فی الحقّ منذ رأیته!لم یوجس موسی علیه السلام خیفه علی نفسه،بل أشفق من غلبه الجهّال و دول الضلال! » (۱)هذا خوف.و الخوف الآخر هو أن یسبب الحدیث معه المزید من الطغیان.

هذان درسان لکلّ داعیه،فعلیه أن یحاول إیصال الهدایه الی من یرید،قبل أن یبادر هو بقطع کلامه،و یفعل ذلک بحیث لا یزیده طغیانا.

ما هو القول اللّین؟

بعض الناس یتصورون بأن القول اللین هو مجرد الخضوع فی القول،و لکن یبدو أن القول اللیّن أوسع من هذا المعنی،فانه یشبه الماء الذی ینفذ فی کلّ مکان ممکن،فهو یبحث عن الثغرات فی قلب الطرف المقابل للنفوذ من خلالها،فهو لیس أسلوبا واحدا،إنّما هو الحکمه فی اختیار الأسلوب المناسب فی الوقت المناسب.

[۴۶] قَالَ لاٰ تَخٰافٰا بعد أن بیّن القرآن هاتین المشکلتین و حلّهما،أعطی حلا للمشکله النفسیه عند الداعیه،و هی مشکله الخوف.

إِنَّنِی مَعَکُمٰا أَسْمَعُ وَ أَریٰ عند ما یطلب اللّه منهما عدم الخوف،فإنه یوفر لهما سبل نجاح دعوتهما، و الحفاظ علیهما،و هذا ما قضاه اللّه حین قال: إِنَّنِی مَعَکُمٰا أَسْمَعُ وَ أَریٰ ،

۱- ۱) نهج البلاغه/ج /۴ص ۵۱.

و الذی یسمع هو القریب،و الذی یری هو الشاهد،و لعل معنی الآیه:إنی أسمع القول،و أری الفعل.

الجانب الاجتماعی للرساله:

[۴۷] فَأْتِیٰاهُ فَقُولاٰ إِنّٰا رَسُولاٰ رَبِّکَ فَأَرْسِلْ مَعَنٰا بَنِی إِسْرٰائِیلَ وَ لاٰ تُعَذِّبْهُمْ لقد حملت الرساله الالهیه الی الانسانیه المعذبه بشری العداله،أو لیست الرساله الالهیه تنزل من أجل إصلاح ما فسد من حیاه الناس،أو لیس فساد المجتمع الفرعونی الخطر هو العنصریه،و استضعاف طائفه من الناس..هم بنو إسرائیل، هکذا جاءت الرساله تأمر فرعون الطاغیه بهدم أساس حکمه،و اطلاق حریه الفئه المستضعفه.

قَدْ جِئْنٰاکَ بِآیَهٍ مِنْ رَبِّکَ وَ السَّلاٰمُ عَلیٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدیٰ الهدی هو الإسلام،و الإسلام یعنی السلام،و لا یمکن أن یتحقق السلام من دون الهدی،فمن الخطأ أن یتصور البعض بأن السلام یتحقق عن طریق الظلم.

الإسلام یرفض هذه الفکره و یقول:إن السلام یجب أن یقام علی أساس (الهدی)و انه من دون الهدی لا سلام،و الحرب و الصراع سیبقیان حتی یتحقق الهدی.

[۴۸] إِنّٰا قَدْ أُوحِیَ إِلَیْنٰا أَنَّ الْعَذٰابَ عَلیٰ مَنْ کَذَّبَ وَ تَوَلّٰی یبدو من السیاق:ان الفکره الثانیه التی طرحتها رساله اللّه هی فکره المسؤولیه،و ان البشر مجزی بعمله،فله السلام إن اتبع الهدی،و علیه العذاب إن

كذّب و تولّى،و هذه الفكره التى تؤكدها فطره البشر،هى حجر الأساس فى بناء صرح الثقافه السليمه.

[۴۹] قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ كان البشر عبر التاريخ يعتقدون باللّه رب السماوات و الأرض،و لكن اعتقادهم كان أبدا مشوبا بالشرك،لذلک يطرح هذا السؤال:ما ذا أراد فرعون باستفهامه عن رب موسى و هارون؟الجواب:لعل فرعون كان يريد أن ينسب حركه موسى و هارون التغييريه الى قوه سياسيه أرضيه،و كان يعنى بالربّ هنا ما يقال عن(رب العائله):أى مسئولها-أى كان يريد أن يقول:إنكم تريدون أن تفسدوا السلطان الذى أملكه،عن طريق الدعوه الى دوله أخرى،و بالتالى كان فرعون-كأىّ طاغوت آخر-يتهم الحركات التحرريه بأنها حركات عميله،فأجابه موسى عليه السلام :باننا لا ندعو إلى إسقاط هذه الحكومه و قيام حكومه نحكمها نحن،و انما ندعو الى تحرر الإنسان و خاصه بنى إسرائيل،ليس من عبوديتک فقط،بل من عبوديه أيه سلطه،حتى و لو كانت من داخل تجمعهم،و الدعوه إلى عبوديه اللّه التى هى الحريه المطلقه.

[۵۰] قَالَ رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ إننا لا ندعو الى أحد و إنّما ندعو الى اللّه الذى خلق الأشياء،ثمّ هداها فى طريقه تنفسها،و أكلها،و شربها،و الحمايه عن نفسها و..و..فاللّه حينما خلق الأشياء علم أنها تحتاج الى وسائل تغذيه و حمايه و تمتع و غيرها،فهداها الى كلّ ذلک بفضله!فهو إذن الربّ الحقيق بالعباده،و التسليم و الولايه.

و من خلال هدايه اللّه للأشياء ينبغى أن يهتدى الإنسان بهدى العقل و رساله الربّ،الى منافعه و مصالحه الحقيقيه.

ص:۱۷۳

الفكر الرجعی:

[۵۱-۵۲] قٰالَ فَمٰا بٰالُ الْقُرُونِ الْأُولىٰ* قٰالَ عِلْمُهٰا عِنْدَ رَبِّی فِی کِتٰابٍ لاٰ یَضِلُّ رَبِّی وَ لاٰ یَنْسیٰ الأفکار التی تتشبث بها یا فرعون!هی أفکار القرون الأولی،و یبدو أن الطغاه ینصبون من أنفسهم مدافعین عن التقالید و العادات،و ذلک لهدفین:

أولا:إیهام الناس بأنهم یدافعون عن مقدساتهم،و بالتالی فهم أجدر بالسلطه من غیرهم.

ثانیا:الخوف من التغییر،لأنه قد یحمل معه ما یهدم سلطانهم،ذلک إن أبرز خصائص النظام السیاسی هو الثبات.

هکذا تساءل فرعون عن مصیر السابقین،هل هم فی الجنه أم فی النار،و إذا کانوا کفارا فلما ذا لم یعذبهم اللّه فی الدنیا،فأعرض موسی علیه السلام عن الاجابه المباشره،ببیان السنه الالهیه العامه،و ان عند اللّه علم هؤلاء فی کتاب،و بالتالی فان حسابهم محفوظ،و تأخیر العذاب لا یدل علی نفیه،کما ان اللّه یحکم علیهم بالقسط،و لا یظلم أحدا شیئا،و ان هذا الکتاب لا یسجل باطلا و لا یمحی عنه شیء،فلا یضل و لا ینسی.

ثمّ أشار موسی الی صفات الربّ،لعل فرعون یخشع قلبه لذکر اللّه،و من لم یلن قلبه لذکر اللّه،فانه أقسی من الصخور الصماء.

[۵۳] اَلَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَ سَلَکَ لَکُمْ فِیهٰا سُبُلاً أی جعل الأرض بحیث تستطیعون البقاء علیها،إذ لو کانت الأرض من حدید أو رمال متحرکه أو أسمک قلیلا،أو أرق قلیلا،لتغیرت معادله الحیاه

علیها.

وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً فَأَخْرَجْنٰا بِهِ أَزْوٰاجاً مِنْ نَبٰاتٍ شَتّٰی نظره الی الکون فیما حول الإنسان،کافیه بأن تعطیه فکره هامه هی:إن هذا الکون مخلوق،لأن کلّ شیء فیه مرتب ترتیبا دقیقا لهدف معین،فالأرض أعدت للسکن و الزراع و تخزین المعادن و المیاه و غیرها،و الجبال لترسی الأرض و تصد الریاح و هکذا..

و حسب حاجات الإنسان و الحیوان و الأرض و البیئه ینبت نبات الأرض، و هذا دلیل علی وجود حکمه بالغه تدبّر هذا الکون.

[۵۴] کُلُوا وَ ارْعَوْا أَنْعٰامَکُمْ إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیٰاتٍ لِأُولِی النُّهیٰ أولی النهی:أولو الفکر،و قد قال اللّه عنهم: یَتَفَکَّرُونَ فِی خَلْقِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ رَبَّنٰا مٰا خَلَقْتَ هٰذٰا بٰاطِلاً سُبْحٰانَکَ فَقِنٰا عَذٰابَ النّٰارِ ،و أولی النهی-أی الذین ینهون الناس عن الانحراف.

[۵۵] مِنْهٰا خَلَقْنٰاکُمْ وَ فِیهٰا نُعِیدُکُمْ وَ مِنْهٰا نُخْرِجُکُمْ تٰارَهً أُخْریٰ هذه الأرض هی أمنا الحنون التی خلقنا منها و تحرکنا علیها،ثمّ نعود الی بطنها ثمّ نخرج من بطنها مره أخری لکی نحاسب،هکذا قال موسی لفرعون.

و لعلّ مراد اللّه فی هذه الآیه تذکیر الطغاه الذین یستعلون فی الأرض بغیر الحقّ، و یستعبدون الناس،تذکیرهم بانّ الناس جمیعا من تراب،فلا تفاضل بینهم فی المنشأ،و یعودون الی التراب،فلا تفاضل بینهم فی المصیر،و یقومون من التراب للجزاء،و هو الذی یجسّد التفاضل الحقیقی بینهم و ذلک بالعمل الصالح.

ص:۱۷۵

[سوره طه (۲۰): الآیات ۵۶ الی ۶۴]

اشاره

وَ لَقَدْ أَرَیْنٰاهُ آیٰاتِنٰا کُلَّهٰا فَکَذَّبَ وَ أَبیٰ (۵۶) قٰالَ أَ جِئْتَنٰا لِتُخْرِجَنٰا مِنْ أَرْضِنٰا بِسِحْرِکَ یٰا مُوسیٰ (۵۷) فَلَنَأْتِیَنَّکَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَیْنَنٰا وَ بَیْنَکَ مَوْعِداً لاٰ نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَ لاٰ أَنْتَ مَکٰاناً سُویً (۵۸) قٰالَ مَوْعِدُکُمْ یَوْمُ اَلزِّینَهِ وَ أَنْ یُحْشَرَ اَلنّٰاسُ ضُحًی (۵۹) فَتَوَلّٰی فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ کَیْدَهُ ثُمَّ أَتیٰ (۶۰) قٰالَ لَهُمْ مُوسیٰ وَیْلَکُمْ لاٰ تَفْتَرُوا عَلَی اَللّٰهِ کَذِباً فَیُسْحِتَکُمْ بِعَذٰابٍ وَ قَدْ خٰابَ مَنِ اِفْتَریٰ (۶۱) فَتَنٰازَعُوا أَمْرَهُمْ بَیْنَهُمْ وَ أَسَرُّوا اَلنَّجْویٰ (۶۲) قٰالُوا إِنْ هٰذٰانِ لَسٰاحِرٰانِ یُرِیدٰانِ أَنْ یُخْرِجٰاکُمْ مِنْ أَرْضِکُمْ بِسِحْرِهِمٰا وَ یَذْهَبٰا بِطَرِیقَتِکُمُ اَلْمُثْلیٰ (۶۳) فَأَجْمِعُوا کَیْدَکُمْ ثُمَّ اِئْتُوا صَفًّا وَ قَدْ أَفْلَحَ اَلْیَوْمَ مَنِ اِسْتَعْلیٰ (۶۴)

اللغه

۵۸[مکانا سوی]:منتصفا بیننا و بینک فلا یکون أقرب إلیک و لا إلینا.

۶۱[فیسحتکم]:یستأصلکم،أو یهلککم فإنّ سحت أو أسحت بمعنی أهلک.

۶۲[و أسرّوا النجوی]:أخذ بعضهم یناجی الآخر سرا.

ص:۱۷۶

۶۳[المثلی]:مؤنّث الأمثل،أی الأفضل و الأحسن.

أساليب الطغاه فی مواجهه الرساله

هدی من الآیات:

علی صاحب الرساله أن لا یتصور الطاغوت حدیدا لا یلین،إنّما هو بشر من لحم و دم،یملک فؤادا یتقلب بین الخوف و الرجاء،و الأمل و الیأس،و علی الداعیه أن یسعی من أجل تذکره بشتی السبل الممکنه،و لکن لا یعنی ذلک أن الطاغوت یستجیب له أبدا،فقد یؤمن و یهتز ضمیره،و قد یبقی علی ضلالته علوا و استکبارا.

و تؤکّد هذه الفکره مقارنه بین هذه الآیات و آیات الدرس السابقه،ففیه نجد فرعون یتحدث و کأن الأمور جمیعا بیده،أما فی هذا الدرس فقد تغیر منطقه،فصار یتحدث باعتباره ندا لموسی علیه السلام حین قال فلنأتینک بسحر مثله،و قد جعل رأی الناس مقیاسا.

و إنّما تغیر أسلوب الحدیث عند فرعون،بسبب الکلمات الصاعقه التی وجهها إلیه موسی علیه السلام .

ص:۱۷۸

و هكـذا قال فرعون لموسـى عليه السـلام :هل لك أن تأتينى بآيه؟فأراه الآيتين:العصا و اليـد البيضاء،و لكنه كـذّب مبررا تكذيبه بالمعاذير التافهه-شأن كلّ إنسان يكذب بالحقيقيه-،و الواقع إن هناك ثلاثه أساليب يتذرع بها الطغاه ضد أىّ تحرك يعارضهم:

أولاـ:تلفيق الاشاعات ضـد المصـلحين،و الـتى تتكرر بصـور شـتى،فمره يقولـون:إنّ هؤلاـء مجـانين كمـا قـالوا للرسـول،و مره يقولون:إنّهم إرهابيون،و مره يقولون:إنهم سحره،و مره يتهمونهم بالتطرف الدينى.

ثانيـا:محـاوله احتواء الثوره،و طرح شـعارات كـاذبه و متشابهه لمواجهه مبادئ الرساله،كالشاه المقبور حين رأى مـدّا ثوريا حاول احتواءه بما سماه بالثوره البيضاء و التى لم تكن سوى شعارات فارغه،و بديلا زائفا للثوره الحقيقيه.

و هكـذا المسـتكبرون يغيّرون أنظمه الحكم فى بلادنـا كلمـا اهتزت عروشـهم، و اهترأت أسـاليبهم،و يـأتون بـديلا عنهـا بـأنظمه متناسـبه و الظروف المتجدده، و يسرقون شعارات الثوار،و يفرغونها عن محتوياتها ليخدعوا بها السذج،حيث قال فرعون:فلنأتينك بسحر مثل سحرك،أى إذا كنت قد أتيت بعصا فسنأتيك بعصى و حبال مثلها.

ثالثا:طرح فكره الصراع على الناس،حيث طلب فرعون إجراء استفتاء شعبى.

بينات من الآيات:

[۵۶] وَ لَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَ أَبَى العصا و اليد آيتان،و هناك آيات سبع أخريات ذكرها اللّه فى سوره الأعراف

ص:۱۷۹

هی:السنین،و النقص فی الثمرات،و الطوفان،و الجراد،و القمل،و الضفادع، و الدم.

و أبلغ من هذه،تذکره موسی علیه السلام فرعون باللّه و المعاد،و بأن أصله من تراب، و أن لا فضل له علی الآخرین، فکذّب و أبی إلاّ الکفر.

[۵۷] قٰالَ أَ جِئْتَنٰا لِتُخْرِجَنٰا مِنْ أَرْضِنٰا بِسِحْرِکَ یٰا مُوسیٰ تهمتان وجههما فرعون لموسی:اتهام موسی بأنه مخل بالأمن،و اتهامه بالسحر.

[۵۸] فَلَنَأْتِیَنَّکَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ و لعل هذا القول یشبه مزایدات الانظمه فی طرح الشعارات الوطنیه و الثوریه، و قد حاول فرعون إثاره حفیظه الجماهیر ضد موسی،شأنه شأن کلّ الطغاه الذین یحاولون خداع الجماهیر،فطلب من موسی تحدید موعد نهائی فی مکان معین یجتمع فیه الناس فیتحدی السحره آیات موسی.

فَاجْعَلْ بَیْنَنٰا وَ بَیْنَکَ مَوْعِداً لاٰ نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَ لاٰ أَنْتَ مَکٰاناً سُویً فبادر موسی علیه السلام و حدد میعاد المواجهه حین قال:

[۵۹] قٰالَ مَوْعِدُکُمْ یَوْمُ الزِّینَهِ یوم الزینه:یوم العید،و لکن لما ذا یوم العید بالذات؟ لأنه فی یوم العید یتفرغ الناس من أعمالهم.

وَ أَنْ یُحْشَرَ النّٰاسُ ضُحًی

ص:۱۸۰

و حدد موسی علیه السلام وقت التحدی بالضحی،لان هذا الوقت یناسب الجمیع فالنائم یکون قد استیقظ،و البعید وصل،و الإنسان یکون فی أفضل حالاته الفکریه.

[۶۰] فَتَوَلّٰی فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ کَیْدَهُ ثُمَّ أَتیٰ و أخذ فرعون یعد عدّته،و یجمع کیده،و یلملم قواه.

[۶۱] قٰالَ لَهُمْ مُوسیٰ وَیْلَکُمْ لاٰ تَفْتَرُوا عَلَی اللّٰهِ کَذِباً فَیُسْحِتَکُمْ بِعَذٰابٍ وَ قَدْ خٰابَ مَنِ افْتَریٰ لقد بادر موسی علیه السلام بإلقاء الحجه علی السحره قبل أن یتحداهم.

أولا:لأنه رسول إلیهم أیضا،و أول واجبات الرسول هو إنقاذ الناس بالموعظه.

و ثانیا:هزّ ضمائرهم لیلحق بهم هزیمه نفسیه،فکأنه قال لهم أیها السحره! یا من تخدمون النظام بعلمکم،و تصبحون مرتزقه للظالمین من أجل لقمه خبز..لا تفتروا علی اللّه کذبا بادعائکم إنی ساحر،أو بتألیهکم فرعون و تکذیبکم رسالتی فانکم إذا کنتم کذلک،سیسحتکم اللّه بعذاب بئیس،لان العلم نعمه من عند اللّه للإنسان یجب أن تشکر،فاذا لم تشکر أصبح نقمه،و السحت اقتلاع الشیء من جذوره،و إذا قلعت الشجره من جذورها،یقال سحتّها.

[۶۲] فَتَنٰازَعُوا أَمْرَهُمْ بَیْنَهُمْ بین مصدّق و مکذّب.

وَ أَسَرُّوا النَّجْویٰ

يبدو أنهم اتفقوا على أمر معين و اخفوه،و لم يكن اتفاقهم على باطل،لأنهم كانوا متفقين عليه منذ السابق.

يقول بعض المفسرين:إن السحره اتفقوا على أنه لو غلبهم موسى خضعوا له، و قد كان هذا المنظر مثيرا،لأن السحره يعتبرون كيدا لفرعون،و أداه ينفذ بها مآربه،و ها هم يناجى الواحد منهم الآخر،خشيه بطش فرعون،و تتضح هنا تبعيه العلم للقوه.

[۶۳] قالُوا إِنْ هٰذانِ لَساحِرانِ يُرِيدانِ أَنْ يُخْرِجاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِما وَ يَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلىٰ يبدو إنّ المعارضه كانت موجوده،و ان الطاغوت كان خائفا من أن يميل الشعب تجاه موسى،و لذلك كان يريد أن يخلق البعد النفسى بين الشعب و منقذيه، فادعى أن موسى و هارون يستخدمان السحر للوصول الى أهداف سياسيه،بل أهداف إجراميه تتمثل فى إخراجكم من أرضكم،و هذا ما يعمله الطغاه عند ما يريدون أن يواجهوا تجمعا أو حركه حيث يربطون تحركهم بما يكره الناس،ثمّ بعد أن اتهموا موسى عليه السلام بأنه ساحر أضافوا كلمه أخرى و هذه الكلمه لا يقولها عاده إلاّ مرتزقه الأنظمه من علماء السوء حيث قالوا:بأن موسى و هارون يريدان أن يذهبا بطريقتكم المثلى-أى إن هؤلاء يريدان أن يخرجاكم من دينكم و قيمكم،و هذا ما يقوم به علماء السوء فى كلّ عصر و مصر،إنهم يدّعون بأن الثوار يريدون هدم مقدسات الأمه.

[۶۴] فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا و لا يعنى ذلك إن الطغاه يدعمون الوحده،بل يريدون صنع وحده مزيفه تقف حجر عثره أمام الرساليين،و علماء السوء يؤكدون على ضروره الوحده حتى تلك

الوحده القائمه علی أساس باطل،و من ثمّ أثار هؤلاء العلماء رغبه نفسیه وسخه حین قالوا:

وَ قَدْ أَفْلَحَ الْیَوْمَ مَنِ اسْتَعْلیٰ إننا الآن فی صراع،و هذا الصراع حادّ،و هذه اللحظات مصیریه فی حیاتنا، و نحن نرید أن تجمعوا کیدکم،و توحدوا صفوفکم،حتی نتغلب علی هؤلاء المتمردین..هذه الکلمات لا یشیعها إلاّ وعاظ البلاط و مرتزقه الفکر.

ص:۱۸۳

[سوره طه (۲۰): الآیات ۶۵ الی ۷۳]

اشاره

قٰالُوا یٰا مُوسیٰ إِمّٰا أَنْ تُلْقِیَ وَ إِمّٰا أَنْ نَکُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقیٰ (۶۵) قٰالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذٰا حِبٰالُهُمْ وَ عِصِیُّهُمْ یُخَیَّلُ إِلَیْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهٰا تَسْعیٰ (۶۶) فَأَوْجَسَ فِی نَفْسِهِ خِیفَهً مُوسیٰ (۶۷) قُلْنٰا لاٰ تَخَفْ إِنَّکَ أَنْتَ اَلْأَعْلیٰ (۶۸) وَ أَلْقِ مٰا فِی یَمِینِکَ تَلْقَفْ مٰا صَنَعُوا إِنَّمٰا صَنَعُوا کَیْدُ سٰاحِرٍ وَ لاٰ یُفْلِحُ اَلسّٰاحِرُ حَیْثُ أَتیٰ (۶۹) فَأُلْقِیَ اَلسَّحَرَهُ سُجَّداً قٰالُوا آمَنّٰا بِرَبِّ هٰارُونَ وَ مُوسیٰ (۷۰) قٰالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَکُمْ إِنَّهُ لَکَبِیرُکُمُ اَلَّذِی عَلَّمَکُمُ اَلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَیْدِیَکُمْ وَ أَرْجُلَکُمْ مِنْ خِلاٰفٍ وَ لَأُصَلِّبَنَّکُمْ فِی جُذُوعِ اَلنَّخْلِ وَ لَتَعْلَمُنَّ أَیُّنٰا أَشَدُّ عَذٰاباً وَ أَبْقیٰ (۷۱) قٰالُوا لَنْ نُؤْثِرَکَ عَلیٰ مٰا جٰاءَنٰا مِنَ اَلْبَیِّنٰاتِ وَ اَلَّذِی فَطَرَنٰا فَاقْضِ مٰا أَنْتَ قٰاضٍ إِنَّمٰا تَقْضِی هٰذِهِ اَلْحَیٰاهَ اَلدُّنْیٰا (۷۲) إِنّٰا آمَنّٰا بِرَبِّنٰا لِیَغْفِرَ لَنٰا خَطٰایٰانٰا وَ مٰا أَکْرَهْتَنٰا عَلَیْهِ مِنَ اَلسِّحْرِ وَ اَللّٰهُ خَیْرٌ وَ أَبْقیٰ (۷۳)

اللغه

۶۷[فأوجس]:فأحسّ،و وجد فی نفسه.

۷۱[من خلاف]:أی تقطع الید الیمنی و الرجل الیسری أو بالعکس،لیختلّ توازن البدن،و یکون عذابه أکثر ما دام الإنسان حیا.

[جذوع]:أصول.

۷۲[لن نؤثرك]:لن نفضّلك و نختارك.

و ألقى السحره سجدا

اشاره

بعد أن هزّ موسى عليه السلام ضمائر السحره،استجاب لتحديهم،و قال:ابدأوا،و هذا التحدى نجده عند الأنبياء دائما،و هو أبرز دليل على نبوتهم،و انهم رجال متصلون بالغيب.

و ما كان من السحره إلاّ أن جاؤوا بمجموعه حبال و عصى،و خلقوا أجواء صاخبه توحى بأنها تسعى،فسحروا أعين الناس،و لم يكن ذلك إلاّ ضربا من السحر،أما الحقيقه التى كانت تتمثل فى عصا موسى فقد ابتلعت ذلك السحر مره واحده،و آمن السحره بموسى و خروا لربه و ربّهم ساجدين.

و ان لنا فى ذلك لعبره،فحينما تكون لدنيا الحقيقه،و لا يكون عندهم إلاّ الخيال الباطل سترى كيف،تبتلع الحقيقه سحرهم.

و حينما سجد السحره و آمنوا،حاول فرعون إلصاق التهم بهم،ليكون ذلك مبررا لتعذيبهم أو قتلهم،و لكنهم أصرّوا و صمدوا أمام التهديد،بصلابه الإيمان

ص:١٨۶

و بالاستعانه باللّه.

بينات من الآيات:

[۶۵]قٰالُوا يٰا مُوسىٰ إِمّٰا أَنْ تُلْقِيَ وَ إِمّٰا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقىٰ هل أنت تبدأ أم نحن؟ [۶۶]فطلب موسى منهم أن يكونوا هم البادئين و كان ذلك تحديا عظيما.

قٰالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذٰا حِبٰالُهُمْ وَ عِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهٰا تَسْعىٰ أى أنهم عملوا عملا أثاروا به خيال موسى عليه السلام ،و بالأولى أثاروا خيال المحتشدين! و لعلّ هذا يعنى:إنّ السحر تأثير نفسى فى الإنسان من خلال إثاره خياله و الإيحاء له،أمّا هدفه فهو التضليل،و عاقبته الخسران،و أول ما يفكر به السحره، هو السيطره على الجالسين نفسيا،بالقيام ببعض الحركات المثيره،و بعد أن يستحوذوا على أنفس الحاضرين-بسرد القصص الخياليه،و صنع أجواء صاخبه- يضحى كلّ عمل يقومون به عظيما،يثير العجب و الدهشه فى أنفس الناس.

كما إنّ بعضهم يستفيد من الجنّ،بالاضافه الى بعض العلوم الغريبه،و السحره مجموعه مرتزقه،وضعوا علمهم فى خدمه شهواتهم،أو لدعم سلطه ظالمه،شأنهم شأن الأقلام المأجوره التى توظف نفسها عند الظلمه.

هذا هو واقع السحر،انه تخيلات لا تصمد أمام الحقّ،و من كلمتى«حبالهم» و«عصيهم»نستنتج إن السحر ليس إلاّ تأثيرات نفسيه لا يغيّر من الواقع شيئا،

ص:۱۸۷

و التعبير القرآنی غـایه فی الوضوح حیث یقول: یُخَیَّلُ إِلَیْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهٰا تَسْعیٰ فهی فی الحقیقه لاـ حراک لهـا،و ما الحرکه الظاهره إلاّ بتأثیر الخیال السحری.

[۶۷]لقد تحدّاهم موسـی علیه السـلام و هو یعرف بأنهم علی باطل و انه علی حقّ،و مع ذلک تسـرب الخوف الی نفسه حیث قال اللّه:

فَأَوْجَسَ فِی نَفْسِهِ خِیفَهً مُوسیٰ] فلما ذا خاف موسی؟ لهذه الآیه تفسیران:

الأول:هو أن موسی علیه السلام بشر کسائر الناس،من حیث الذات و البنیه الجسدیه و النفسیه،و لذلک ساوره الخوف،و الملاحظ أنه کلما تحدث القرآن الحکیم عن معجزات الأنبیاء،تحدث فی ذات الوقت عن جانب من ضعفهم البشری،کالخوف و العجله و الجزع و المیل فی اتجاه الضغوط،إلاّ أنّ هذا الجانب سرعان ما یتلاشی بتأیید اللّه.

و ذلک حتی لا یظن البشر أنّ الاعجاز نابع من ذاتهم،فیقدسونهم و یؤلهونهم، و لکی یکونوا حجه علی الناس و یقطع عنهم سبل الأعذار.

الثـانی:إنّ موسـی علیه السـلام لم یکن خائفـا علی نفسه،بـل خشـی أن یسـتأثر السـحره بقلوب الحاضـرین فلا ینفعهم بعـد ذلک إعجازه شیئا.

[۶۸] قُلْنٰا لاٰ تَخَفْ إِنَّکَ أَنْتَ الْأَعْلیٰ و تـدلّ هـذه الآیه علی التفسـیر الثانی بما تحمل من تطمین لموسـی بأنه هو الغالب، و هـذا النوع من التخوف موجود لدی کلّ الرسالیین،فهم یخشون من وسائل الاعلام

و الثقافه المضلله أن تفسد الناس،و لكن عليهم أن يتغلبوا على خشيتهم بذكر اللّه سبحانه و تعالى،و أن يثقوا بأن أقلامهم النظيفه التى تبين الحقيقه تعادل ملايين الأقلام التى تكتب الزيف و الباطل،لأن الحقيقه قوه تبتلع سحر المبطلين.

[۶۹] وَ أَلْقِ مٰا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مٰا صَنَعُوا و تقوم عصاك بابتلاع حبالهم،و عصيّهم التى صنعوها بما لها من وجود مادىّ، و آثار نفسيّه.

إِنَّمٰا صَنَعُوا كَيْدُ سٰاحِرٍ وَ لاٰ يُفْلِحُ السّٰاحِرُ حَيْثُ أَتىٰ فكلّ الذى قاموا به لا يعدو أن يكون مجموعه من الخطط الماكره الباطله،التى لا تلبث أن تنتهى بوهج الحقيقه،كما الظلام ينهزم أمام النور،و باستطاعه الإنسان المتصل باللّه أن يتجاوز تأثيرات السحر الوهميه،و هكذا فالسحر لا يؤثر فيمن يؤمن باللّه حقا،و قد قال عنه تعالى: وَ مٰا هُمْ بِضٰارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاّٰ بِإِذْنِ اللّٰهِ (۱)، كما إنّ ذات الساحر لا يفلح،لأن عمله هذا يكرس فيه الانحراف عن خط الفطره و الحياه فى الدنيا،و يسبّب له العذاب فى الآخره.

[۷۰]صحيح ان عاقبه الساحر هى الخسار و لكن متى ما دام متمسكا بسحره و انحرافه،أما إذا تاب و تمسك بالحقّ و الرساله،فان عاقبته ستكون الى خير،و هذا يدلنا على إن عاقبه الإنسان،رهينه عمله،لا لونه و لا جنسه.

و قد طلب موسى عليه السلام الى السحره أن يكونوا أول الملقين،حتى يكون أثر انتصاره على فرعون عميقا فى أنفس الجميع حتى السحره،حيث يصبح ذلك السحر الذى

۱- ۱) البقره/۱۰۲.

أكبروه قبل لحظات هباء منثورا.

و بالفعل فقد جاءت النتيجه عظيمه إذ تجاوز الأثر الناس الى أعماق السحره.

فَأُلْقِيَ السَّحَرَهُ سُجَّداً قالُوا آمَنّا بِرَبِّ هارُونَ وَ مُوسى لقد كان التأثير بالغا،بحيث وقع السحره سجدا منهارين أمام نور الحقيقه، فكأنهم ألقوا بغير إرادتهم،و فى الآيه إشاره الى هدايه اللّه بأنها العامل الحاسم فى سجودهم.

و السجود هو قمه العبوديه و الخضوع أمام اللّه،و لم يكن هذا السجود هيكليا إذ احتوى أسمى معانيه،و هو الاعتراف بالعبوديه للّه.

و السؤال:لما ذا يذكر اللّه هارون فى هذه الحادثه،مع أن موسى هو الذى واجه السحره مباشره،و كان الحديث حتى الآن عنه وحده؟ هناك سببان رئيسيان؟ الأول:إنّ هارون كان الناطق باسم موسى،و هو معروف فى أوساط المجتمع.

الثانى:هناك دائما قيادات ثانيه تتمثل فى الأوصياء و الصالحين،و يقتضى الموقف السليم،أن تبرزها القيادات العليا فى اللحظات الحاسمه،كلحظه الانتصار،حتى يتأكد دورها فى المجتمع،و هكذا نجد فى تاريخ الرساله الإسلاميه

أنّ النبى صلى الله عليه و آله أعطى الرايه لعلى عليه السلام حتى حين دخلوا مكه فقال عليه السلام :«اليوم يوم المرحمه اليوم تصان الحرمه »،كما إنّه صلى الله عليه و آله رفض دخول المدينه حتى يأتى على عليه السلام ،و ذلك ليعرف دوره فى أداء الرساله.

[٧١]و لكن هل كان فرعون يقبل بالحقّ أو يعترف بالهزيمه،أو حتى يسمح للآخرين بذلك؟ كلا..

قٰالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ لقد كان نظام فرعون قائما على الديكتاتوريه المطلقه،و نرى كيف أنّ الطغيان بلغ بفرعون حدا سلب الناس حريتهم فى معتقداتهم.

و لكن الإيمان باللّه يقاوم الدكتاتوريه،و يعطى الاستقلال،فالتبعيه التى وقع فيها السحره انتهت بمجرد إيمانهم باللّه تعالى،و الإنسان إنّما يكون تابعا بسبب إحساسه بالضّعه،فيعتقد أنّه يقوى نفسه و يصبح عظيما حينما يربط مصيره بالطغاه و أصحاب القدره،و لكنه يثق بنفسه حينما يتصل بنبع الإيمان،إذ يعطيه الإيمان العزه و روح الاستقلال.

و حينما أحسّ فرعون بانفصال السحره عنه،حاول أن ينتقم منهم،فأخذ يبحث عن مبرر للانتقام فقال:

إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ و هذا ديدن الطغاه مع المؤمنين،و سائر أطراف المعارضه الحقيقيه،إنّهم يلصقون بهم التهم الرخيصه،لتبرر تعسفهم و ممارساتهم الجائره بحقهم.

فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلاٰفٍ وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ وَ لَتَعْلَمُنَّ أَيُّنٰا أَشَدُّ عَذٰاباً وَ أَبْقىٰ و كان الصلب قديما يتم-فيما يبدو-بمدّ يدى الإنسان على خشبه،ثم يدقون

فیها المسامیر،و هکذا أرجله و مواضع أخری من بدنه،و یظل علی هذا الحال حتی یموت.

إلاّ ـ إن فرعون هـدد بقطع أرجلهم و أیـدیهم من خلاف،زیاده فی التعـذیب،و ربما أراد التنکیل بعوائلهم،و تشویه سـمعتهم بعد موتهم،إذ قال: وَ لَتَعْلَمُنَّ أَیُّنا أَشَدُّ عَذاباً وَ أَبْقی .

[۷۲]و لکنهم صمدوا أمامه بصلابه الإیمان،و هکذا ینبغی أن یکون المؤمن أمام الطغاه صلبا شدیدا.

قالُوا لَنْ نُؤْثِرَکَ عَلی ما جاءَنا مِنَ الْبَیِّناتِ أی اکتشفنا الحقیقه،و من یکتشفها یعشقها،و أقسموا:

وَ الَّذِی فَطَرَنا تأکید لقرارهم و دعما لموقفهم،و إنّه الموقف الحاسم،و أضافوا ردّا علی تهدیداته:

فَاقْضِ ما أَنْتَ قاضٍ إِنَّما تَقْضِی هذِهِ الْحَیاهَ الدُّنْیا و هکذا یجب أن یکون المؤمن مستعدا لتحمل تبعات إیمانه و استقلاله.

و لکن السؤال:کیف بلغ هؤلاء السـحره و بهـذه السـرعه الی هذه القمه السامقه من الإیمان و الجهاد،حیث ألقوا بکلمه الحقّ أمام السلطان الجائر،و حیث آمنوا ذلک الإیمان العمیق بالآخره؟! و الإجابه کالتالی:

أولا-:إنّ الحقائق تبقى غامضه إلى أن يتصل القلب بالحقيقه الكبرى فى هذه الحياه،و التى تتجلى فى معرفه الربّ،فاذا عرف الإنسان ربه،ذابت عن قلبه جبال الجليد المتراكمه فوق قلبه،فرأى الحقائق بوضوح كاف.

أو ليس اللّه سبحانه خالق السماوات و الأرض،و مبدئ الخلائق جميعا؟ كذلك معرفته أول كلّ علم و ينبوع كلّ معرفه.

و هؤلاء السحره حينما آمنوا باللّه صار بديهيا أن يتيقنوا بالبعث و الجزاء و...و...

ثانيا:عند ما يكون طريقه للإيمان بحقيقه معينه مليئا بالعقبات و الضغوط، و لكن يصرّ الإنسان على تجاوزها فيختصر المسافه إلى الايمان الخالص،الذى يصعب الحصول عليه فى الظروف الطبيعيه.

و السحره،حينما آمنوا باللّه،كانوا قد أسقطوا حواجز الإغراء و الإرهاب الفرعونى،و تنازلوا عن المكانه الاجتماعيه،و اقتلعوا أنفسهم من حضيض الدنيا، و...و...

و بالتالى وصلوا الى هذه المرتبه العليا،بلى إن مجرد إيمانهم فى تلك الظروف كان يعنى تحديا لسلطات الشهوه و القوه،بكلّ أبعادهما،فطووا كلّ المراحل فى لحظه عظيمه تجلى الرب فيها لقلوبهم،بعد أن استعدوا للتضحيه بكلّ شىء للّه، و للحقّ الذى شاهدوه بأعينهم.

ثالثا:لأنهم عبدوا الطاغوت لبعض الوقت،و لعلّهم كانوا قد عرفوا،بوحى ضميرهم،و دلاله عقولهم:إنهم مجرمون،لأنهم يؤيدون مجرما قذرا جبارا فى الأرض،فكانت عقده الذنب تلاحقهم،فلما آمنوا كانوا يبحثون عما يطهرهم

و يغسل ذنوبهم الكبيره،و يشهد على هذا التفسير الثالث،السياق،و هكذا حينما تجلت الحقيقه فى عصا موسى عليه السلام لم يتمالك السحره أنفسهم فألقوا ساجدين،نعم..

لقد آمنوا بالآخره و تيقنوا من البعث و الحساب فاستهانوا بالدنيا،حتى صار تنازلهم فى سبيل القيم أمرا هينا،ثمّ استدركوا:

[۷۳] إِنّٰا آمَنّٰا بِرَبِّنٰا لِيَغْفِرَ لَنٰا خَطٰايٰانٰا و لو كان هذا الإيمان،و هذه الأمنيه بالغفران،يكلفنا العذاب و الصلب،و هذا هو الإيمان الحقيقى،الإيمان الذى يستعد صاحبه لكلّ شىء إلّا التنازل عنه.

و مع إنهم يطلبون الغفران بشكل عام،إلاّ أنهم يخصصون خطيئه السحر،لأنهم أدركوا أبعادها السيئه أن يخدم الإنسان نظاما فاسدا،و يكون وسيله له لمواجهه الرساله و المؤمنين،قالوا:

وَ مٰا أَكْرَهْتَنٰا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ بسبب إغراءاتك،و تهديداتك،و خططك الماكره.

وَ اللّٰهُ خَيْرٌ وَ أَبْقىٰ ردّا على مقوله فرعون تحديا: أَيُّنٰا أَشَدُّ عَذٰاباً وَ أَبْقىٰ .

قالوا:كلاّ..اللّه-و لست أنت-خير و أبقى.

[سوره طه (۲۰): الآیات ۷۴ الی ۸۲]

اشاره

إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لاٰ يَمُوتُ فِيهٰا وَ لاٰ يَحْيىٰ (۷۴) وَ مَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ اَلصّٰالِحٰاتِ فَأُولٰئِكَ لَهُمُ اَلدَّرَجٰاتُ اَلْعُلىٰ (۷۵) جَنّٰاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا وَ ذٰلِكَ جَزٰاءُ مَنْ تَزَكّٰى (۷۶) وَ لَقَدْ أَوْحَيْنٰا إِلىٰ مُوسىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبٰادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي اَلْبَحْرِ يَبَساً لاٰ تَخٰافُ دَرَكاً وَ لاٰ تَخْشىٰ (۷۷) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ اَلْيَمِّ مٰا غَشِيَهُمْ (۷۸) وَ أَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَ مٰا هَدىٰ (۷۹) يٰا بَنِي إِسْرٰائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنٰاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَ وٰاعَدْنٰاكُمْ جٰانِبَ اَلطُّورِ اَلْأَيْمَنَ وَ نَزَّلْنٰا عَلَيْكُمُ اَلْمَنَّ وَ اَلسَّلْوىٰ (۸۰) كُلُوا مِنْ طَيِّبٰاتِ مٰا رَزَقْنٰاكُمْ وَ لاٰ تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَ مَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوىٰ (۸۱) وَ إِنِّي لَغَفّٰارٌ لِمَنْ تٰابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صٰالِحاً ثُمَّ اِهْتَدىٰ (۸۲)

اللغه

۷۷[درکا]:أی إدراک فرعون لک.

۷۸[فغشیهم]:أی جاءهم الماء حتی أحاط بهم و غطّهم.

و اضلّ فرعون قومه و ما هدى

هدى من الآيات:

خلاصه رسالات الأنبياء التى تتكرر فى القرآن،هى أن الإنسان رهين عمله، فعاقبه المجرمين النار لا موت لهم فيها و لا حياه،بينما عـاقبه المؤمنين جنات تجرى من تحتها الأنهار،و ليست نتيجه العمل محـدوده بالآخره،بل قـد يحصل الإنسان على عاقبه عمله فى الدنيا أيضا كما انحرف فرعون بطغيانه.معاقبه اللّه بالغرق.

لهـذا حذر اللّه بنى إسـرائيل من الطغيان و كفران النعمه حتى لا يحل عليهم غضـبه،أما لو انحرف الإنسان قليلا فان باب الرجعه و التوبه الصادقه يبقى مفتوحا له.

بينات من الآيات:

[۷۴] إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لاٰ يَمُوتُ فِيهٰا وَ لاٰ يَحْيىٰ الذى يسـتمر فى جريمته الى حين لقاء ربه فان مصيره جهنم.و التعبير« فَإِنَّ لَهُ

ص:۱۹۷

جَهَنَّمَ »یوحی بأن المجرم یشتری جهنم بعمله الطالح،حتی تصبح ملکا له فعلا.

و کم هو المکوث فی النار،حیث یبقی المجرمون بین الموت و الحیاه،یتجرعون العذاب،و یذوقون الألم!؟

جاء فی الأحادیث: یأتی أهل النار الی مالک یتوسلون إلیه-بذله-سبعین سنه،حتی یخفف عنهم العذاب فیرفض،فیقولون له:إذا لا نرید الحیاه،و لکنه لا یجیبهم الی حین،ثم یأتیهم النداء انکم ها هنا ماکثون،فییأسون و یطلبون من مالک أن یأذن لهم بالبکاء علی ما فرطوا فی جنب اللّه،فیأتیهم الإذن فیبکون علی أنفسهم ألف سنه.

[۷۵]و علی العکس من ذلک تماما هو حال المؤمنین:

وَ مَنْ یَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصّالِحاتِ فالإیمان المستمر حتی لقاء اللّه،و المقرون بعمل الصالحات ثمن الجنه.

فَأُولٰئِکَ لَهُمُ الدَّرَجاتُ الْعُلیٰ فکل صالحه من العمل بدرجه من الجنه،و کلمه الدرجات جاءت هنا بإزاء کلمه الصالحات،و فی الخبر أن ما بین الدرجه و الأخری کما بین السماء و الأرض.

[۷۶] جَنّاتُ عَدْنٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها و الخلود من أسمی طموحات الإنسان.

وَ ذٰلِکَ جَزاءُ مَنْ تَزَکّی

ان أعظم و أصعب مسئوليه على البشر فى هذه الدنيا،هى أن يزكّى نفسه من آثار الشرك،من البخل،و الكسل،و الضجر،و الخوف من غير اللّه،و..و..و الذى لا يزكى نفسه فى الدنيا يمكث بنسبه رذائله و انحرافاته فى جهنم،لأن الجنّه لا يدخلها الا المطهّرون، و السبيل الى الطهاره أما هو التزكى فى الدنيا،أو النار فى الآخره.

[۷۷]بعد التحدى بانتصار موسى على فرعون،و الحقيقه على السحر،أوحى اللّه الى موسى بالخروج.

وَ لَقَدْ أَوْحَيْنٰا إِلىٰ مُوسىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبٰادِي السارى هو المسافر بالليل،أما السارب فهو المسافر فى وضح النهار،و أمر اللّه موسى أن يسير ببنى إسرائيل ليلا،حتى لا يشعر به فرعون و لا جنده الا و قد فات الأوان،و هذه من رعايته لعباده.

و بالرغم من أن بنى إسرائيل يصل عددهم الى(۷۰۰)ألف،الا أن واحدا منهم لم يفش السر،و لذلك سماهم اللّه(عبادى)،فقد كانوا مخلصين يستحقون أن يجعل اللّه لهم فى البحر طريقا يبسا،و يخلصهم من فرعون و جنده.

فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لما ضرب موسى البحر بعصاه انفلق و صار كل جانب منه كأنه الجبل،و بينهما طريق يابس يصلح للسير عليه.

لاٰ تَخٰافُ دَرَكاً أى لن يدركوك.

وَ لاٰ تَخْشىٰ لا تخاف من الغرق.

[۷۸] فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ لما طلع الصباح و اتضح الأمر ركب فرعون و جنوده دوابهم ليلحقوا بموسى و بنى إسرائيل،و لما وصلوا البحر و جدوا موسى عليه السلام و بنى إسرائيل قد عبروا خلال البحر، فدخلوا خلفهم، و قد أعماهم الحقد و التكبر ان يلتفتوا الى هذه المعجزه الالهيه، فغشيت الأمواج فرعون و جيشه و غرقوا.

فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مٰا غَشِيَهُمْ يوحى هذا التعبير القرآنى بأن الموقف الذى مرّ به فرعون و جنوده بلغ من الهول و الرعب ما يفوق كل وصف،بلى إنّ منظر جبال الأمواج البحريه الهائله و هى تبتلع مئات الألوف من الرجال و الدواب إن هذا المنظر يفوق الوصف فعلا.

[۷۹]و العبره التى نستخلصها من ذلك الموقف،تتلخص فى الآيه الكريمه:

وَ أَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَ مٰا هَدىٰ ان النهايه المأساويه كانت بسبب ضلال الحاكم،و اتباع الناس له فى ضلالته.

[۸۰]و حتى لا يطغى بنو إسرائيل،أو ينسوا نعمه اللّه عليهم،يذكرهم اللّه قائلا:

يٰا بَنِي إِسْرٰائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنٰاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَ وٰاعَدْنٰاكُمْ جٰانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ

الأمن أساس أولی لأی حضاره،بینما الوحی هو القیم و التشریعات الحضاریه التی تحقق العز و الفلاح و..و..للأمه.

و قد من اللّه بهما علی بنی إسرائیل إذ أنجاهم و واعدهم جانب الطور.

وَ نَزَّلْنا عَلَیْکُمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوی المن هو الحلوی،و السلوی طیر مشوی،کانا ینزلان علیهما من السماء.

[۸۱]نعمه اللّه هدفها سعاده البشر،و لکن قد تکون عاملا لانحرافه و انفلاته، لذلک حذر اللّه بنی إسرائیل قائلا:

کُلُوا مِنْ طَیِّباتِ ما رَزَقْناکُمْ وَ لا تَطْغَوْا فِیهِ فَیَحِلَّ عَلَیْکُمْ غَضَبِی و غضب اللّه هو عذابه الشدید فی الدنیا و الآخره.

وَ مَنْ یَحْلِلْ عَلَیْهِ غَضَبِی فَقَدْ هَوی و تعالی اللّه أن یغضب و یطرأ علیه التغییر مثلنا نحن البشر،انما هو العذاب، و من یصیبه فکأنما یهوی من علی قمه الجبل الی وادیه،و لیس هذا التمثیل الا للتقریب،و الا فالواقع أدهی و أمر.

[۸۲] وَ إِنِّی لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدی من طبیعه الإنسان أن یطغی حین یجس بنعم اللّه علیه إِنَّ الْإِنْسانَ لَیَطْغی أَنْ رَآهُ اسْتَغْنی ،و لکن سبیل التوبه و العوده الی الصواب مفتوح امامه،حینما یتورط فی ذلک بسبب غفلته،و نسیانه،و..و..و آنئذ سیجد ربه غفارا لو کانت توبته کما تذکر الآیه..(تاب)عن ذنبه(و آمن)باللّه صادقا وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدی و کان

عمله بحيث ینتهی به الی الهدایه.

و فی بعض الروایات ان الهدایه هنا بمعنی الولایه،فینبغی للإنسان أن یؤمن باللّه، و یعمل صالحا بعد التوبه،و ان یبحث عن القیاده الرسالیه،ذلک انه لا یکمل الایمان و العمل الصالح الا بالولایه،و معرفه القائد،لأن الامام الذی یهدی الی سبیل الرشاد یکون عکس فرعون الذی أضل قومه و ما هدی،و هذا هو سبیل التوبه النصوح،و هو المعنی الحقیقی لکلمه الشفاعه.

ص:۲۰۲

[سوره طه (۲۰): الآيات ۸۳ الى ۹۱]

اشاره

وَ مٰا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يٰا مُوسىٰ (۸۳) قٰالَ هُمْ أُولاٰءِ عَلىٰ أَثَرِي وَ عَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضىٰ (۸۴) قٰالَ فَإِنّٰا قَدْ فَتَنّٰا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَ أَضَلَّهُمُ اَلسّٰامِرِيُّ (۸۵) فَرَجَعَ مُوسىٰ إِلىٰ قَوْمِهِ غَضْبٰانَ أَسِفاً قٰالَ يٰا قَوْمِ أَ لَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَ فَطٰالَ عَلَيْكُمُ اَلْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (۸۶) قٰالُوا مٰا أَخْلَفْنٰا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنٰا وَ لٰكِنّٰا حُمِّلْنٰا أَوْزٰاراً مِنْ زِينَةِ اَلْقَوْمِ فَقَذَفْنٰاهٰا فَكَذٰلِكَ أَلْقَى اَلسّٰامِرِيُّ (۸۷) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوٰارٌ فَقٰالُوا هٰذٰا إِلٰهُكُمْ وَ إِلٰهُ مُوسىٰ فَنَسِيَ (۸۸) أَ فَلاٰ يَرَوْنَ أَلاّٰ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَ لاٰ يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَ لاٰ نَفْعاً (۸۹) وَ لَقَدْ قٰالَ لَهُمْ هٰارُونُ مِنْ قَبْلُ يٰا قَوْمِ إِنَّمٰا فُتِنْتُمْ بِهِ وَ إِنَّ رَبَّكُمُ اَلرَّحْمٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَ أَطِيعُوا أَمْرِي (۹۰) قٰالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عٰاكِفِينَ حَتّٰى يَرْجِعَ إِلَيْنٰا مُوسىٰ (۹۱)

اللغه

۸۴[هم أولاء]:أولاء جمع الذى-أى هم الذين.

۸۷[بملكنا]:أى و نحن نملك من أمرنا شيئا.

[أوزارا]:أثقالا.

ص:۲۰۳

۸۸[فنسى]:أى فقد نسى موسى أنّ إلهه هنا،فذهب إلى الطّور يطلبه،و قيل معناه:فنسى السامرى أى ترک ما عليه من الايمان.

۹۰[فتنتّم به]:أى امتحنتم بهذا العجل.

ص:۲۰۴

وَ مٰا أَعْجَلَکَ عَنْ قَوْمِکَ یٰا مُوسیٰ

هدی من الآیات:

ذهب نبی اللّه موسی علیه السلام یناجی ربه،فما عاد الا و قد حصلت الرده فی قومه، و فی الوقت الذی یدلل الأمر علی أهمیه حضور القیاده فی المجتمع لتقاوم محاولات التحریف من قبل الانتهازیین،تشیر الآیات الی أن علاقه بنی إسرائیل بموسی علیه السلام کانت علاقه بشخصه لا برسالته،مما أدی لانحرافهم بعد غیابه عنهم و تمردهم علی خلیفته هارون،و کان من الضروری تغییر هذه العلاقه،فأمر اللّه بمدّ غیبه موسی لهذا الهدف.

و قد انتقد النبی موسی علیه السلام هذا الوضع،و حذرهم من غضب اللّه أن یحل علیهم،و تساءل عن سبب هذه الرده..و حینما حاول بنو إسرائیل التبریر احتج علیهم اللّه بأنه أعطاهم عقولا یمیزون بها و کان ذلک أبرز حجه علیهم،أما الحجه الثانیه فکان شخص هارون وصی موسی الذی نصحهم و لکنهم لم یسمعوا له.

بينات من الآيات:

[۸۳] وَ مٰا أَعْجَلَکَ عَنْ قَوْمِکَ یٰا مُوسىٰ لماذا أسرعت إلىّ و تركتهم وراءك؟ [۸۴] قٰالَ هُمْ أُولاٰءِ عَلىٰ أَثَرِی ان قومی لا یزالون يقتفون أثرى،و يسيرون على نهجی.

وَ عَجِلْتُ إِلَيْکَ رَبِّ لِتَرْضىٰ دفعنی الی العجله حبی لک و شوقی للقائک،و هذه الآیه توحی بمدی حب موسی لربه،حیث بادر الی لقاء ربه،و کان علی عجل لنیل رضاه سبحانه.و هکذا حال من ذاق حلاوه مناجاه ربه،و أنس بقربه،و تجلی الرب لقلبه،فمشی فی أرجاءه الوجل،و اهتزت جنبات فؤاده بنور الشوق،فوجد من نور خالقه ما جذبه الی ما یقربه الیه،و لاح له من جمال بارئه ما أنساه کل جمال..

لذلک کان رسول اللّه صلی الله علیه و آله یجلس فی محراب الصلاه علی أشد من الجمر شوقا الی میعاد اللقاء،فاذا حان وقت الصلاه هتف ببلال المؤذن:أرحنا یا بلال بالصلاه.

و هکذا المؤمنون الصادقون یدعون الرب لیتجلی لقلوبهم بنور معرفته،فیکونون:

«ممن دأبهم الارتیاح إلیک و الحنین،و دهرهم الزفره و الأنین،جباههم ساجده لعظمتک،و عیونهم ساهره فی خدمتک،و دموعهم سائله من خشیتک،و قلوبهم متعلقه بمحبتک،و أفئدتهم منخلعه من مهابتک.. » (۱)

ص:۲۰۶

۱- ۱) الصحیفه السجادیه ص ۲۴۹.

و يكررون أبدا:

«يـا من أنوار قـدسه لابصـار مجيه رائقه،و سـبحات وجهه لقلوب عارفيه شائقه،يا منى قلوب المشـتاقين،و يا غايه آمال المحبين! »(۱)[۸۵]و كان غياب موسى قد ترك فرصه مناسبه للانتهازيين أن يسعوا الى مصالحهم.

قٰالَ فَإِنّٰا قَدْ فَتَنّٰا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَ أَضَـلَّهُمُ السّٰامِرِيُّ يبدو أن السامرى كان منافقا،و كان يتحين الفرص للقفز الى أريكه الحكم، و كانت مجموعه من الانتهازيين و ضعفاء النفوس ملتفين حوله،و لعلهم كانوا يتآمرون مع بعضهم ضد القياده الرساليه.

و الآن حيث تأخر موسى(عليه السلام)و ظنوا أنه قد أدركته الوفاه،بادروا الى الفتنه،لكى يبعدوا خليفه موسى الشرعى هارون(عليه السـلام)عن السـلطه، فأشاع السامرى فيهم أن موسـى قد مات،و صـنع لهم العجل كرمز لسـلطته،و أمرهـم بعبادته،مستغلا حب بنى إسـرائيل للـذهب و رواسب الشـرك عنـدهم،أو ليسوا قـد طالبوا نبيّهم بأن يجعل لهم إلها حين مروا بقوم يعبدون الصـنم؟ و لعل ذلک كان ضـروره حضاريه،حيث أن موسـى(عليه السـلام)قضى على جيوب الفساد عند بنى إسرائيل بعد هذه الفتنه،و لو لم تقع الفتنه فربما كان السامرى و قومه ينجحون فى مؤامرتهم بعد وفاه موسى(عليه السلام).

أما الآن فقد افتضح السامرى،و عاد موسى بكل ما تميّز به من الحزم و الشده فى اللّه.

۱- ۱) المصدر

[٨٦] فَرَجَعَ مُوسىٰ إِلىٰ قَوْمِهِ غَضْبٰانَ أَسِفاً غضبان عليهم،أسفا مما حدث.

قٰالَ يٰا قَوْمِ أَ لَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً كالرجوع الى الأرض المقدسه،و الجانب الأيمن من الطور،و البركه،و أن يقيم حضارتكم إن أنتم استقمتم؟! أَ فَطٰالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي بالطبع لم يكن بنو إسرائيل يتحدون اللّه حتى ينزّل عليهم غضبه،و لكن إتباعهم السامرى هو الاسترسال مع الظروف و الشهوات،و هذا يدل على أن البشر بأنفسهم و بمحض إرادتهم يختارون نوع واقعهم و مصيرهم،و الذى يتجسد هنا بغضب اللّه.

[٨٧] قٰالُوا مٰا أَخْلَفْنٰا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنٰا أى لم ننحرف بكامل و عينا،و بما نملكه من عقل و اراده.

وَ لٰكِنّٰا حُمِّلْنٰا أَوْزٰاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنٰاهٰا هذا الانحراف جاء من غيرنا،فالسامرى هو الذى جمع لنا الذهب و الفضه التى جمعناها من القوم و حملناها و صنع لنا بها عجلا،و الواقع انهم حاولوا بذلك تبرير واقعهم الفاسد و رفع المسؤوليه عن أنفسهم.

فَكَذٰلِكَ أَلْقَى السّٰامِرِيُّ

رأس الفئه الانتهازيه التى عاده ما تكون موجوده فى المجتمعات،و الآيه الآتيه تشير الى أن المتورط فى عمليه الإضلال ليس السامرى وحده،بل كانوا فئه متآمره، و لعل معنى القى السامرى:انه القى فى روعهم و خدعهم،و قالوا معناه:القى زينه القوم فى النار،أو هو أيضا القى زينته فيها.

[٨٨] فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوٰارٌ جسدا أى ميتا لا حياه فيه،و الخور هو صوت الثور.

و هناك أقوال فى العجل،فبعض المفسرين قالوا:ان العجل كان يتحرك لأن السامرى أخذ قبضه من أثر جبرائيل عليه السلام الذى جاء راكبا على فرس ليغرى فرعون و قومه حين رفضت خيولهم دخول البحر،و كان التراب الذى يدوس عليه فرس جبرائيل يتحرك،و الذى قام به السامرى أن جعل هذا التراب فى جسد العجل، فأخذ يتحرك و يخور بسببه.

و قال بعض المفسرين:ان العجل كان فى مكان بحيث يظهر رأسه فقط للحاضرين،ثم يأتى شخص من وراء العجل و ينفخ فى دبره فيخرج خوار من فمه، أو أنه صنع بحيث يصوّت إذا جرت فيه الرياح.

فَقٰالُوا هٰذٰا إِلٰهُكُمْ وَ إِلٰهُ مُوسىٰ فَنَسِيَ [٨٩]و لكن هل كانت أعذار بنى إسرائيل و تبريراتهم مقبوله عند اللّه؟كلا..

لقد أجابهم بأن هناك حجتان عليكم تبطل ادعاءكم:

أولا:العقل..فأنتم عقلاء تستطيعون أن تهتدوا الى الحق لو تفكرتم..

أَ فَلاٰ يَرَوْنَ أَلاّٰ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَ لاٰ يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَ لاٰ نَفْعاً

فليس من صفات الإله:أنّه لا حراك به،و لا اراده يضربها أو ينفع.

[۹۰]ثانيا:حجه القياده الربانيه.

وَ لَقَدْ قٰالَ لَهُمْ هٰارُونُ مِنْ قَبْلُ يٰا قَوْمِ إِنَّمٰا فُتِنْتُمْ بِهِ وَ إِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَ أَطِيعُوا أَمْرِي لقد دعاهم هارون الى طاعته،بصفته القياده الشرعيه،و أوضح لهم أن ما يدعيه السامری و جماعته باطل.

و من الآيه نستوحی بأن الصراع كان قائما على قياده المجتمع،بين الخط الرسالی الذی يمثله موسى و هارون عليه السلام ،و بين الخط الجاهلی أصحاب الرده الى الجاهليه،و لعل هذا الفريق كانوا هم قيادات بنی إسرائيل قبل بعثه موسى فيهم، كما كانت قبيله بنی أميه قبل الإسلام،فتآمرت للوصول الى السلطه بعد غياب الرسول حتى تسنى لها ذلک على عهد معاويه بن أبی سفيان.

[۹۱]قٰالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عٰاكِفِينَ حَتّٰى يَرْجِعَ إِلَيْنٰا مُوسىٰ يبدو من الآيه ان تعلق بنی إسرائيل لم يكن بالرساله بقدر ما كان بشخص موسى عليه السلام ،فقد كان هارون أخاه من أبيه و أمه،و كان امتدادا له فی المجتمع، و الوصی عليهم من بعده،و لكنهم لم يستجيبوا له،عند ما دعاهم لطاعته،و قرروا البقاء على الانحراف حتى يعود إليهم موسى عليه السلام .

و كانت هذه الفتنه مفيده لبنی إسرائيل،فقد أفرزت الفئات التی لا تزال تمثل رواسب الجاهليه و الفئات المصلحيه عن الأخرى المؤمنه الصادقه فی ايمانها.أما الفائده الثانيه فهی التحصن ضد الانحرافات الفكريه و الاجتماعيه التی قد يتعرضون لها فی المستقبل و ذلک بعد غياب موسى عنهم.

ان طبيعه البشر هى التمحور حول الأشياء دون القيم،و ارتفاع الإنسان الى مستوى الايمان بالغيب و عباده اللّه تعالى متجردا عن الأهواء و عن الضغوط المختلفه، يعتبر قمه الحضاره،ذلك لأنه يعنى ان الإنسان قد أنهى صراعه الداخلى لصالح عقله،حتى يخلص عبادته للّه،و لا يهبط الى مستوى الشيئيه فى الحياه،و هذا الأمر يحتاج الى مزيد من التوجيه و التربيه.

و لو ترك الإنسان و طبعه،لهبط الى مستوى عباده الأصنام،لأنها جزء من التفاف الإنسان حول الأشياء،و الخضوع لسلبيات الحياه و ضغوطها،بينما الايمان باللّه يعنى الارتفاع عن كل ذلك و النظر الى الأشياء بأنها مخلوقات للّه.

و قد هبط بنو إسرائيل الى مستوى عباده الأشياء حينما غاب عنهم نبيهم موسى عليه السلام ،ثم هداهم اللّه اليه بعد الضلاله،و فى ذلك عبر عظيمه.

ص:٢١١

[سوره طه (۲۰): الآیات ۹۲ الی ۹۸]

اشاره

قٰالَ یٰا هٰارُونُ مٰا مَنَعَکَ إِذْ رَأَیْتَهُمْ ضَلُّوا (۹۲) أَلاّٰ تَتَّبِعَنِ أَ فَعَصَیْتَ أَمْرِی (۹۳) قٰالَ یَا بْنَ أُمَّ لاٰ تَأْخُذْ بِلِحْیَتِی وَ لاٰ بِرَأْسِی إِنِّی خَشِیتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَیْنَ بَنِی إِسْرٰائِیلَ وَ لَمْ تَرْقُبْ قَوْلِی (۹۴) قٰالَ فَمٰا خَطْبُکَ یٰا سٰامِرِیُّ (۹۵) قٰالَ بَصُرْتُ بِمٰا لَمْ یَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَهً مِنْ أَثَرِ اَلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهٰا وَ کَذٰلِکَ سَوَّلَتْ لِی نَفْسِی (۹۶) قٰالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَکَ فِی اَلْحَیٰاهِ أَنْ تَقُولَ لاٰ مِسٰاسَ وَ إِنَّ لَکَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ وَ اُنْظُرْ إِلیٰ إِلٰهِکَ اَلَّذِی ظَلْتَ عَلَیْهِ عٰاکِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِی اَلْیَمِّ نَسْفاً (۹۷) إِنَّمٰا إِلٰهُکُمُ اَللّٰهُ اَلَّذِی لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ وَسِعَ کُلَّ شَیْءٍ عِلْماً (۹۸)

ص:۲۱۲

موسی علیه السلام یعالج الرده الجاهلیه

هدی من الآیات:

بعد أن غاب عن قومه أربعین لیله،جاء موسی علیه السلام لیجد أکثرهم و قد تحول من عباده اللّه الی عباده العجل،فبدأ مسیره الإصلاح بالبحث عن مصدر الفساد حتی یتسنی له علاج الرده.و بدأ ذلک بسؤال أخیه لأنه خلیفته فی غیابه،و انتهی بتوجیه خطابه الی بنی إسرائیل و لکنه قبل ذلک التفت الی السامری رأس الرده،و عالج معه الموقف بحزم.

و حتی یقضی علی الانحراف قام موسی علیه السلام بشیئین:

الأول:عزل القیاده المنحرفه،التی تعمق الواقع السلبی،و تمده بأسباب البقاء فی المجتمع.و فی القرآن یذکر اللّه النفی کوسیله لمواجهه الفساد و المفسدین و ذلک لکی لا یتأثّر أفراد المجتمع بها.

الثانی:تحطیم رموز الرده و ذلک حین حرّق العجل و نفسه فی البحر نسفا.

ص:۲۱۳

و یلاحظ أن موسی علیه السلام کان صدامیا،فلم یراهن الواقع السلبی الفاسد،و لا رموزه بل اصطدم معهما بشده،کما اصطدم من قبل مع فرعون و سحرته.و هذه کلها شواهد علی أن حرکات الأنبیاء علیه السلام ،و الحرکات الرسالیه التی تنبع منها و تمثل امتدادا لها حرکات صدامیه.

بینات من الآیات:

اشاره

إن من طبیعه البشر هی التمحور حول الأشیاء دون القیم،و إن ارتفاع الإنسان الی مستوی الایمان بالغیب،و عباده اللّه تعالی متجردا عن الأهواء و تحدی المصالح و الضغوط المختلفه،یعتبر قمه الحضاره الانسانیه.حیث ینهی الإنسان صراعه الداخلی لمصلحه عقله،و یتحدی کل الشهوات المحیطه بقلبه،و کل الضغوطات المحیطه به فی مجتمعه،حتی یخلص عبادته للّه سبحانه،و لا یهبط الی مستوی الشیئیّه فی الحیاه،و هذا الأمر یحتاج الی مزید من التوجیه و التربیه،کما هو بحاجه الی عزیمه شدیده،و اراده حدیدیه! و لو ترک الإنسان و طبعه لهبط الی مستوی عباده الأصنام،لأنها تعنی الالتفاف حول الأشیاء،و الخضوع لسلبیات الحیاه و ضغوطها،بینما الایمان باللّه یعنی الارتفاع عن هذه الضغوط،و النظر الی الأشیاء نظره متسامیه،باعتبارها لیست سوی مخلوقات یدبرها اللّه سبحانه.

و هکذا هبط بنو إسرائیل مره أخری الی حالتهم البشریه(عباده الأشیاء)حینما ترکهم موسی علیه السلام و لم یصمدوا کثیرا أمام اغراءات العجل.و انما تؤکد آیات القرآن دائما علی ربوبیه اللّه و حاکمیته لکی یعرج الإنسان الی قمه العبودیه له تعالی،و یقوم بعمل جاد من أجل الوصول الی ذلک المستوی،و الاکتفاء به عن الأشیاء حوله.

و من العجب أن بعض المؤرخين يفلسف عباده الطوطم،و الكواكب،و الأصنام، ببعض التحليلات المعقده،علما بأنها لا تحتاج الى كل ذلك إذ أنها من طبيعه الإنسان،ففى يوم كانوا يعبدون الحيوان الذى يخافونه لأنه كان يرمز الى القوه.

فبعضهم كان يعبد الفيل و يعتبره رمزا للقوه،و بعضهم كان يعتبر الأسد رمزا للقوه فيعبده.أما هذا اليوم فيعتبرون الأباطره و الملوك رمزا للقوه فيعبدونهم.فاذا أردنا أن نصل الى عبوديه اللّه علينا أن نتجاوز الأشياء لخالقها،و الشيئيه الى القيم،و الشهود الى الغيب.

و هكذا هبط بنو إسرائيل الى درك الشرك،فور ما تعرضوا لفتنه السامرى.فلما عاد إليهم موسى(عليه السلام)،وجه خطابه الى هارون أولا:

[٩٣-٩٢] قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا* أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَ فَعَصَيْتَ أَمْرِى و لعل السبب كان:

أ-أن هارون كان خليفه عليهم و القياده الشرعيه المسؤوله عنهم فكان أول من يسأل عنهم.

ب-أن موسى عليه السلام لن يهادن أحدا فى قضايا التوحيد حتى و لو كان وصيه و خليفته هارون.

ج-أن موسى عليه السلام أراد أن يوضح لجماهير بنى إسرائيل،أن قضيه التوحيد ليست هينه،و أنه حتى هارون عليه السلام ،يتعرض للسؤال بل للمحاكمه،حتى يثبت أنه قد أدى وظيفته بالنسبه إليها،كيف و أن اللّه سبحانه يسأل المرسلين فى يوم القيامه عن أممهم،و كان موسى عليه السلام قد أوصى أخاه قبل مغادرته الى الطور قائلا:

ص:٢١٥

« اُخْلُفْنِی فِی قَوْمِی وَ أَصْلِحْ وَ لاٰ تَتَّبِعْ سَبِیلَ الْمُفْسِدِینَ »و جاء الآن یسأل عمّا قام به.

أما هارون فقد أجاب موسی علیه السلام بأن بنی إسرائیل لا یخضعون إلا لک و لا یزالون معتقدین بک،لذلک إذا أمرتهم بترک عباده العجل قالوا سنعکف علی عبادته حتی یرجع إلینا موسی،فأشاع السامری بأنک مت و اعرف أنک ستعود و یکون ذلک دلیلا علی کذبه،و لعل موسی علیه السلام کان یعرف بأن هارون علیه السلام شدید الغضب فی اللّه،لذلک وصاه بإصلاحهم دون القیام ضدهم،و نستوحی من هذا السؤال و جوابه ان الثوره ضروره فی المجتمعات المنحرفه،و لکن علی الثوار أن ینتظروا الأوقات المناسبه لتفجیر ثورتهم،ذلک لأنه عند ما تشیع فکره باطله فی مجتمع ما،فان الجماهیر تلتف حولها فلکل جدید لذه،مما یسقط خیار المقاومه لو تعجلوا فی محاربتها، فاذا انتظروا قلیلا حتی یذهب بریقها و تظهر عیوبها،فان مقاومتها آنئذ ستکون ناجحه،و لذلک جاء فی الأحادیث ما مضمونه(لا تقاوم الدول فی بدایه أمرها)، لأنها شابه و تمتلک الجماهیر و هی مستعده لحمایه مکتسباتها،اما إذا ظهرت سلبیاتها فان الناس سیتحرکون ضدها و یساعدون علی إسقاطها،اضافه الی تنامی عوامل الانهیار فیها بسبب انحراف مسیرتها.

[۹۴]عند ما عتب موسی علی هارون(علیهما السلام)،و أخذ بلحیته و برأسه یجرهما الیه،طلب هارون من أخیه الا یغضب معللا بأن قومه لم یستجیبوا له،و لو أنه أخذهم بالقوه لتفرقوا اجتماعیا و لنفروا من الدین نفسیا،و أن الحرکه المضاده قد تکرس فیهم الواقع السلبی،فانتظر حتی یعود موسی علیه السلام إلیهم.

و یبدو أن الخلاف بین هارون و موسی(علیهما السلام)بادئ الأمر کان فی فهم الموقف و لیس فی الحکم الشرعی،فبینما کان هارون یری أن الموقف یستدعی التریث،لکی لا تنهار وحده الأمه،و لذلک طبق موقف وصیه موسی(علیه السلام) حیث قال له:« وَ أَصْلِحْ وَ لاٰ تَتَّبِعْ سَبِیلَ الْمُفْسِدِینَ »،تساءل موسی(علیه السلام):

کیف سکت هارون عن انحراف کبیر،کتغییر القیاده،و الشرک باللّه،و عباده العجل،و أن علی هارون أن یتبع نهج موسی علیه السلام فی مقاومه الانحراف،و أراد أن یتأکد بأن الضعف البشری لم یدفع بهارون الی التهاون فی مسأله التوحید،فلما عرف موسی علیه السلام أن مصلحه الرساله و لیس الخوف من الطغاه هو الذی أسکت هارون عن حقه سکن غضبه.

قٰالَ یَا بْنَ أُمَّ لاٰ تَأْخُذْ بِلِحْیَتِی وَ لاٰ بِرَأْسِی إِنِّی خَشِیتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَیْنَ بَنِی إِسْرٰائِیلَ وَ لَمْ تَرْقُبْ قَوْلِی حینما قال له:«أصلح».

و هکذا کانت حکمه غضب موسی علیه السلام الظاهری توضیح الموقف للناس و لذلک سکت.

[۹۵]بعد أن أنهی موسی علیه السلام الحدیث مع أخیه التفت الی السامری.

قٰالَ فَمٰا خَطْبُکَ یٰا سٰامِرِیُّ لما ذا فعلت الذی فعلت؟ [۹۶]قٰالَ بَصُرْتُ بِمٰا لَمْ یَبْصُرُوا بِهِ أی رأیت شیئا لم یروه.

فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ أی من التراب الذی داست علیه خیل جبرائیل.

فَنَبَذْتُهٰا

ص:۲۱۷

قذفتها فی داخل العجل.

وَ کَذٰلِکَ سَوَّلَتْ لِی نَفْسِی زینت لی أهوائی الانحراف.

لقد کان السامری-الذی ینتمی الی سمرون،و هو ابن یشاکر من أولاد یعقوب-و کما یبدو من الآیه ممن بلغ به الإیمان درجه عالیه إذ أبصر ما لم یبصره الآخرون حیث رأی أثر الرسول،و لعل السامری کان ممن ساءت عاقبته،و هو مثال للخط المنافق فی الأمه،و الذی یسعی منتهزا الفرص،کغیاب القیاده لیصل الی مطامعه و مصالحه المادیه،و لکن السؤال هو لماذا ینحرف کثیر من المؤمنین بعد ایمانهم،أمثال بلعم ابن باعوراء و السامری و الزبیر ابن العوام؟! و الجواب کالتالی:

أولا:الانحراف فی مسیره البشر شیء ممکن لأن عوامله کثیره،فربما یواجه فتنه معینه فیتحداها،و لکنه حینما تتری علیه الفتن المختلفه ینهار امام بعضها،و أصعب فتن الحیاه،هی فتنه الرئاسه.

بلعم کان مؤمنا،و لکن حینما رأی أن موسی علیه السلام أصبح نبیا دونه، دفعه نحو الانحراف،حتی قال عنه اللّه:« فَمَثَلُهُ کَمَثَلِ الْکَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَیْهِ یَلْهَثْ أَوْ تَتْرُکْهُ یَلْهَثْ » (1)،و هکذا کان السامری من أصحاب موسی علیه السلام و لکنه لم یرضی أن یکون هارون رئیسا علیه فاصطنع حادثه العجل،و خدعته شهوه الرئاسه،و کذلک الزبیر،فلقد کان مع رسول اللّه صلی الله علیه و آله یقاتل معه و یذود عنه،و لکن حینما أراد السلطه انحرف.

ص:۲۱۸

۱- ۱) سوره الأعراف آیه«۱۷۶».

و جرت عليهم الامتحانات لكى يتحدوه و يصبح ايمانهم خالصا،و لكنهم انهزموا بتكرس الانحراف فى أنفسهم.

و الصديقون هم الذين يقاومون عوامل الانحراف-من الحسد و حب الدنيا، و إذا تحدّوا و استقاموا دخلوا الجنه و الا سقطوا فى النار.

ثانيا:أن ينحرف فى آخر لحظه من حياته،و يدخل النار،فالذين يحسنون الظن بأنفسهم عاده ما ينحرفون،و على عكسهم المتّهمون لها.

ثالثا:من الأسباب الرئيسيه للانحراف طول الأمل،و الحرص على الدنيا، لأنهما من بواعث التسويف بالتوبه.

[۹۷]أما كيف عالج موسى الموقف مع السامرى؟فلقد قام بخطوتين رئيسيتين هما:

۱-عزل السامرى عن المجتمع لأنه جذر الانحراف:

قٰالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَکَ فِی الْحَیٰاهِ أَنْ تَقُولَ لاٰ مِسٰاسَ وَ إِنَّ لَکَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ و هكذا يجب أن تكون الحلول التى تضعها الحركه الثوريه،حلولا جذريه تتعدى تتبع الآثار السلبيه و إزالتها،الى اجتثاث جذر الفساد،فبدل أن تحارب الخمر، و الفساد الخلقى،و البرامج المضلله فى وسائل الاعلام،حارب الطاغوت الذى يقف خلفها،لأن القضاء عليه يعنى نهايتها جميعا.

و لم يقتل موسى عليه السلام السامرى ليبقى عبره حيه الى كل الانتهازيين من بنى إسرائيل،و لكى تتضح عداله الرسالات الالهيه و كيف أن مواقفها عقلانيه،ففى

إن انحراف هؤلاء يدل على وجود انحراف نفسی عمیق فی قلوبهم لمّا یقاوموه، الخبر أن موسی علیه السلام هم بقتل السامری، فأوحی اللّه له أن لا تفعل فانه کان سخیا، و ثالثا حتی یکون عذابه شدیدا یوم القیامه بحیث یستوفی کل ماله فی الدنیا و لا یلقی فی الآخره إلا العذاب.و لعلّ السامری ابتلی بمرض جسدی أو روحی یؤدی إلی عذابه باقتراب الناس الیه،فکان یهرب من الناس و یصیح إذا اقترب منه أحد لا مساس:أی لا تمسونی أو لا تقتربوا منّی!

۲-تحطیم رمز الواقع السلبی..

وَ انْظُرْ إِلیٰ إِلٰهِکَ الَّذِی ظَلْتَ عَلَیْهِ عٰاکِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِی الْیَمِّ نَسْفاً أخذ موسی العجل الذی عبد من دون اللّه و حرّقه ثم ذرّه فی الیم لکی یقتلع جذر الفتنه،خشیه أن یقدس العجل أو قطعاته أو حتی رماده فی المستقبل،کما یقدس المرتبطه مصالحهم بنظام الطاغوت آثاره بعد الثوره.

و نستوحی من هذه العملیه أن علی السلطات الرسالیه أن لا تکتفی بتصفیه شخص الطاغوت فقط،بل تحاول اقتلاع جذوره و تصفیه آثاره و رموزه،کقصوره، و تماثیله،و لو کان فی ذلک بعض الخساره المادیه للثوار،لأن الخساره الحقیقیه أن تبقی هذه الأشیاء تقدس من قبل المنحرفین الذین لا یزالون یتعلقون بالطاغوت بسبب عدم استجابتهم للتطور الثوری الذی حدث.

[۹۸]کان الخطاب الأول موجها الی هارون القیاده الرسالیه،و الخطاب الثانی الی السامری القیاده المنحرفه،أما الخطاب الثالث فلبنی إسرائیل أنفسهم، لأن هذه الجهات هی المسؤول الحقیقی عن أی تغیر سلبی فی الأمه.

فلا بد أن تحاسب الحرکه الثوریه هل أنها تحملت مسئولیتها أم لا،و کذلک القیاده المنحرفه لما ذا أقدمت علی الانحراف،و الجماهیر لماذا استجابت الی ذلک؟! قال تعالی:

إِنَّمَا إِلَهُکُمُ اللَّهُ الَّذِی لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فلا تعبدوا العجل،و لا المال،و لا من یملک المال،و العباده تبدأ من حب الشیء حبا ذاتیا فی القلب،فلتذکر أن اللّه محیط علما بکل شیء،حتی بخفایا القلوب التی قد تمیل الی الباطل.

وَسِعَ کُلَّ شَیْءٍ عِلْماً أی وسعه من کل صوب و جانب.

خاتمه الایه متناسبه مع أجواء الحدث،حیث کان الذنب و تبریر الذنب مما لا یخفی علی اللّه الذی أحاط علمه بکل شیء.

ص:۲۲۱

[سوره طه (٢٠): الآيات ٩٩ الی ١١٠]

اشاره

كَذٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبٰاءِ مٰا قَدْ سَبَقَ وَ قَدْ آتَيْنٰاكَ مِنْ لَدُنّٰا ذِكْراً (٩٩) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ اَلْقِيٰامَهِ وِزْراً (١٠٠) خٰالِدِينَ فِيهِ وَ سٰاءَ لَهُمْ يَوْمَ اَلْقِيٰامَهِ حِمْلاً (١٠١) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي اَلصُّورِ وَ نَحْشُرُ اَلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً (١٠٢) يَتَخٰافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاّٰ عَشْراً (١٠٣) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمٰا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَهً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاّٰ يَوْماً (١٠٤) وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ اَلْجِبٰالِ فَقُلْ يَنْسِفُهٰا رَبِّي نَسْفاً (١٠٥) فَيَذَرُهٰا قٰاعاً صَفْصَفاً (١٠٦) لاٰ تَرىٰ فِيهٰا عِوَجاً وَ لاٰ أَمْتاً (١٠٧) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ اَلدّٰاعِيَ لاٰ عِوَجَ لَهُ وَ خَشَعَتِ اَلْأَصْوٰاتُ لِلرَّحْمٰنِ فَلاٰ تَسْمَعُ إِلاّٰ هَمْساً (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لاٰ تَنْفَعُ اَلشَّفٰاعَهُ إِلاّٰ مَنْ أَذِنَ لَهُ اَلرَّحْمٰنُ وَ رَضِيَ لَهُ قَوْلاً (١٠٩) يَعْلَمُ مٰا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مٰا خَلْفَهُمْ وَ لاٰ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً (١١٠)

اللغه

١٠٢[زرقا]:جمع أزرق،فإنّ الإنسان المكدّر المهموم تعلو وجهه زرقه.

١٠۶[فيذرها]:فيجعلها.

[قاعا]:أی أرضا ملساء منكشفه.

[صفصفا]:أی مستويه،لا علوّ فيها و لا نتوء،و الصفصف:

هو المستوی من الأرض الذی لا نبات له كأنه علی صف واحد فی استوائه.

ص:٢٢٢

۱۰۷[و لا امتا]:الأمت الأكمه يقال مدّ حبله حتى ما ترك فيه أمتا أى انثناء.

۱۰۸[لا عوج له]:أى لا اعوجاج للدّاعى بحيث يدعو بعضا و يذر بعضا،و إنما دعوه عامه شامله للجميع.

[همسا]:صوتا خفيفا.

ص:۲۲۳

وَ خَشَعَتِ الْأَصْواٰتُ لِلرَّحْمٰنِ

هدى من الآيات:

من العبر الأساسيه التی يستفيدها الإنسان من قصص التاريخ هی معرفته بأن الحياه الدنيا ليست دائمه،كما أن معرفته تعطيه معرفه أعمق بالحياه ذاتها،إذ يری انّها قصيره،انها جسر الی الحيوان الحقيقی فی الدار الآخره.

و نفس هذه الحقيقه نجد تذكيرا بها فی كتاب اللّه،الذی يخسر من أعرض عنه إذ يفقد البصيره فی الدنيا و البصر فی الآخره،كما تتحول ذنوبه و أخطاؤه الی أثقال يحملها يوم القيامه ذلك اليوم الرهيب،الذی تخشع فيه أصوات الخلائق لربها،و نری الناس يبحثون عمّن ينقذهم من عذاب النار،و ليس ثمه شفاعه بدون اذن اللّه.

فمن أجل أن لا نتورط بحمل هذه الأثقال علينا:أن نعود الی التاريخ فنعتبر، و الی القرآن فنتذكر.

ص:۲۲۴

بينات من الآيات:

اشاره

[۹۹] كَذٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبٰاءِ مٰا قَدْ سَبَقَ وَ قَدْ آتَيْنٰاكَ مِنْ لَدُنّٰا ذِكْراً البشر انما يضل عن سواء السبيل حين يغفل و يخرج عن تمام وعيه،و انما ابتليت الأمم بمختلف النكسات بسبب الغفله،و النسيان،و لكى يعى الإنسان واقعه و مستقبله لديه وسيلتان:

الأولى:النظر فى التاريخ برويه و تفكر،فالتاريخ هو ذلك المصباح الذى يضىء للعقلاء درب المستقبل،و التاريخ هو ذلك المعهد التجريبى الذى يتخرج من أروقته أفضل العلماء،و التاريخ هو ذلك الناصح الأمين الذى يوقظ فطره الخير فى ضمير النابهين.

انه الذكر الذى يتجلى فى آيات القرآن حين تبين لنا سنن اللّه فيما مضى، و كيف سعد من سعد من الأمم،و كيف شقى من شقى منهم،

يقول الإمام أمير المؤمنين ،و هو يبين لولده الحسن المجتبى عليه السلام أهميه التجارب التاريخيه:

«أى بنى إنى و إن لم أكن عمرت عمر من كان قبلى،فقد نظرت فى أعمالهم، و فكرت فى أخبارهم،و سرت فى آثارهم،حتى عدت كأحدهم،بل كأنى بما انتهى الىّ من أمورهم،قد عمّرت مع أولهم الى آخرهم،فعرفت صفو ذلك من كدره، و نفعه من ضرره،فاستخلصت لک من كل أمر نخيله » (۱)و حين ننظر الى التاريخ،علينا أن نعتبر بالجوهر،و من الخطأ أن نعلق بكل

۱- ۱) نهج البلاغه-رساله« ۳۱».

لتفاصيل و الجزئيات.

الثانيه:القرآن،و سمى بالذكر،لأنه ينبّه المؤمنين من نومه الغافلين،فيوقظ الضمير،و يستثير العقل، مذكّرا الإنسان بعهده مع اللّه،و ما أودع فيه اللّه من الفطره.

و كما تتجلى الحقائق و سنه اللّه عبر أحداث التاريخ،و مسيره الحياه،فانها موجوده فى كتابه أيضا،و الذى هو بمثابه الخارطه التى تقود الإنسان الى الهدف.

و لتوضيح مفهوم الذكر بصوره واضحه يمكننا ان نشبهه بالخريطه التى يحملها الشخص و هو يريد اجتياز حقل من الالغام،فهو ينظر إليها باستمرار ليحدد المواقع التى زرعت فيها العبوات الناسفه فيتجنبها،و بكل حذر وارده،ان لا يغفل عنها لحظه واحده،لأن ذلك يعنى:أن يطير أشلاء فى الهواء.

و الحياه التى نعيشها أشبه ما تكون بذلك الحقل الملغوم،و إذا أردنا أن نجتازها بسلام يجب أن يكون الذكر نصب أعيننا باستمرار،و الإنسان العاجز بذاته،الذى يعيش على أرض محفوفه بالإخطار،و مليئه بالصعوبات،لهو بأمس الحاجه الى اللّه القوى،مطلق العلم،و الاراده و..و..ليمد له يد العون،فيدفع عنه الخطر،و الذكر هو الوسيله التى يرتبط بها البشر الضعيف بربه العزيز القادر.

[۱۰۱-۱۰۰] مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَهِ وِزْراً* خَالِدِينَ فِيهِ وَ سَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَهِ حِمْلاً يتنور قلب الإنسان بالمعرفه التى يكتسبها عبر التجربه و التفكير،و عبر النظر للتاريخ و الحياه،و أهم من كل ذلك،عبر رسالات اللّه(الذكر)،بينما تصنع الغفله حجبا كثيفه عليه تمنع عنه نور الحقيقه،و سحبا متراكمه من الحسد و الحقد و العقد

و حب الدنيا و التعلق بزينتها،و هذه الحجب التى تتراكم فوق القلب،و تدعو الى ارتكاب المعاصى،تصبح هى أوزارا باهضه تثقل كاهل صاحبها فى الدنيا و فى الآخره.

و الوزر هو الحمل الثقيل،الذى يضغط على صاحبه بقوه،فمن حمل كيسا كبيرا من التراب فوق كاهله ينهار من شده الضغط،كذلك الحاسد و الحاقد و عبد الشهوات،و السائر فى ظلمات الغفله،يتعرض قلبه لضغط معنوى هائل لا يكاد يتحمله.

و التعبير القرآنى عن الغفله(بالوزر)أبلغ تعبير،أو ليست الغفله تأتى نتيجه ضغط العوامل الماديه؟كذلك الوزر(الحمل الثقيل)هو من الضغط المادى.

و لا يقتصر ضرر الاعراض عن ذكر اللّه على الدنيا فقط بأن يفقد الإنسان البصيره فيها،بل و يمتد ذلك الى يوم القيامه حيث تتجسد الحقائق،و حيث يحمل من غفل عن ذكر ربه أثقالا باهضه على كتفيه،كما يفقد البصر و هو يحاول أن يجتاز الصراط فيقع فى جهنم،يتذوق ألوان العذاب.

و التعبير القرآنى من الدقه بمكان إذ يقول تعالى(خالدين فيها)و الضمير يعود إلى الوزر،إذ ذنوبه هنا هى اداه تعذيبه هناك،حيث يخلد فيها مهانا،أعوذ باللّه.

[۱۰۲] يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ و لا مناص يومها لأحد الا أن يخرج من قبره شاء أم أبى،فكما يولد الإنسان و يموت من دون إرادته،كذلك يبعث من دون إرادته.

وَ نَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً

أی زرق عیونهم من شده الخوف،و لعلّ أهوال القیامه تسبب فی زرقه أجسادهم أیضا.

[۱۰۳] یَتَخافَتُونَ بَیْنَهُمْ یتحدثون لبعضهم همسا،فیقول بعضهم لبعض:

إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاّ عَشْراً إذ یتضح لهم تفاهه و قصر العیش فی الدنیا،التی طالما اعتبروها آخر المطاف، و توهموا أنفسهم باقین فیها،و ذلک حین یقیسونها بالآخره دار الخلد،إن ملایین السنین لا قیمه لها،أمام الخلد،فکیف و الإنسان لا یعیش فی الدنیا الا بضع عشرات من السنین فقط؟! [۱۰۴] نَحْنُ أَعْلَمُ بِما یَقُولُونَ إِذْ یَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِیقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاّ یَوْماً ان علم اللّه سبحانه و تعالی یحیط بکل شیء و کل زمان، فهو غیر خاضع لقانون الزمن،کما نحن البشر،فالماضی و الحاضر و المستقبل فی علمه سواء،فهو یعلم الآن ما سیقوله المجرمون یوم القیامه الذی ربما یأتی بعد ملایین السنین.

و لفظه أمثلهم طریقه،ترفع شبهه قد تتولد فی الذهن،بأن المتکلم الأول کان فاقدا للعقل عند ما قدر عمره فی الدنیا بعشره أیام،فهذا(أمثلهم)أعقلهم و أفهمهم یقدر الفتره بیوم واحد لا بعشره أیام.

ان علی الإنسان أن یعلم بأن حیاته قصیره جدا،و ان أمامه حیاه أخری لا حصر لأمدها،و ان سعادته أو شقاءه فیها مرهون بعمله فی الدنیا،فیسعی جاهدا من أجل أن یکون سعیدا فیها.

ص:۲۲۸

من مشاهد القيامه:

[۱۰۵] وَ يَسْئَلُونَکَ عَنِ الْجِبٰالِ الضخمه الراسيه.

فَقُلْ يَنْسِفُهٰا رَبِّی نَسْفاً [۱۰۶] فَيَذَرُهٰا قٰاعاً صَفْصَفاً أرض خاليه من كل أثر من آثار زينه الدنيا و زخارفها.

[۱۰۷] لاٰ تَرىٰ فِيهٰا عِوَجاً وَ لاٰ أَمْتاً أی تصير الأرض مستويه،فلا حفره فيها و لا نتوء،و تزول منها كل المعالم الجغرافيه.تصوّر لو كنت واقفا على مقربه من جبال الهملايا فاذا بها تنفجر مره واحده،فكم سيكون المنظر مهيبا و مخيفا؟ و السؤال:لما ذا نجد القرآن يتحدث فی مواضع كثيره من الذكر،عن نسف الجبال،و تسجير البحار،و انتشار الكواكب و..و..؟ و الجواب يبدو:ان كل ما فی الكون خلق لهدف هو عباده اللّه،و خدمه الإنسان،فما دام الإنسان قد انتهى وجوده و دوره فی الدنيا، فانه ينتهی تبعا لذلک دور هذه المخلوقات،

و فی الحديث القدسی يخاطب اللّه سبحانه و تعالى الإنسان قائلا:

خلقتک لأجلی و خلقت الأشياء لأجلک و لعل من أساليب القرآن فی التذكره،هو التعرض لمشاهد القيامه بما فيها من

الإثاره و شد الانتباه،ليوقض الضمير،خصوصا و ان أسلوب العرض القرآنی قمه البلاغه.

[۱۰۸]و یواصل القرآن الحدیث عن یوم القیامه:

یَوْمَئِذٍ یَتَّبِعُونَ الدّاعِیَ لا عِوَجَ لَهُ وَ خَشَعَتِ الْأَصْوٰاتُ لِلرَّحْمٰنِ فَلاٰ تَسْمَعُ إِلاّٰ هَمْساً من المفارقات الموجوده بین الدنیا و الآخره،مفارقتان تذکرهما هذه الآیات:

الأولی:المفارقه الزمنیه،فبینما الدنیا محدوده زمنیا،نجد الآخره أبدیه.

الثانیه:و تذکرها هذه الآیه،و هی ان الدنیا حیاه الاراده البشریه،بینما الآخره(یوم القیامه)یجرد الإنسان من إرادته،و بالذات المجرم،و یخضع للّه جبریا.

فهذا البشر الذی کان یتمرد علی رسل اللّه و رسالاته،نجده-هنالک-خانعا خاضعا لداعی اللّه،و صوته الذی طالما رفعه یحارب به اللّه،و عباده،و رسالاته،هذا الصوت تجده خاشعا للّه تعالی،الذی ینتظر منه الجمیع کلمه العفو و الغفران، و یتبعون داعیه دون أی تلکأ و بلا عوج،ذلک الداعی الذی یدعوهم الی صراط اللّه المستقیم لا عوج له.

[۱۰۹] یَوْمَئِذٍ لاٰ تَنْفَعُ الشَّفٰاعَةُ إِلاّٰ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَ رَضِیَ لَهُ قَوْلاً کل العلاقات لا تنفعه یوم القیامه،و لا تبقی الا علاقه واحده،و هی علاقه المؤمنین و شفاعتهم و شفاعه الرسل و الصدیقین و الشهداء و الصالحین لمن اتبعهم فی الدنیا و أطاعهم،فالعلاقه الرسالیه اذن هی الباقیه یوم القیامه،و لیس هناک انصاف آلهه یفرضون إرادتهم علی اللّه،کما یدعی البعض أو یتصورون،و هذه الوساطات

و الوجاهات التی یتوسل بها الإنسان قد تنفعه عند السلطان،أما عند اللّه فلا،الا لمن یعطیه اللّه صلاحیه الشفاعه،و نتسائل:ما هی إذا فائده الشفاعه و من ذا الذی تعطی له صلاحیتها؟ أولا:ان الشفاعه هناک نتیجه العلاقات الایمانیه هنا،و بالذات العلاقه بین المؤمنین و قیادتهم الشرعیه من رسول و وصی رسول،و من أمر اللّه بطاعته و حبّه، و کلما ازداد حبک فی اللّه للأنبیاء و الأئمه و خلفائهم و طاعتک لهم،کلما ازدادت فرص نجاتک من النار،لأنهم وحدهم الشفعاء عند اللّه.

ثانیا:قد یلقی الشیطان فی قلب المذنبین الیأس من روح اللّه،فیفتح اللّه لهم بابا واسعا الی رحمته عبر الشفاعه و یهدیهم الی صراط التوبه،و هو العوده الی اللّه، و من أمر اللّه بطاعته،من الرسول و أولی الأمر الشرعیین من بعده.

و سؤال آخر:لما ذا التأکید علی أن لا ـ شفاعه الا لمن ارتضی الرب؟ و الجواب:ان فکره المسؤولیه هی أثقل ما فی المیزان من فکر،و ان البشر یسعی جهده للتخلص منها،و الاستراحه الی ظل التبریرات،و الشفاعه أبرزها،إن الإنسان یخدع نفسه کلما ذکّره اللّه بالجزاء،و یتمنی لو ان شخصا یشفع له،فیؤکد اللّه سبحانه:کلا،لا شفاعه عند اللّه الا ممن یرتضیه اللّه سبحانه،هکذا لکی تبقی النفس عاریه أمام حقیقه المسؤولیه،و یتقبلها طوعا أو کرها.

[۱۱۰] یَعْلَمُ مٰا بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ مٰا خَلْفَهُمْ فسلوک الإنسان و خلفیاته هی التی تؤثر فی مصیره غدا،و کل ذلک یعلمه اللّه.

وَ لاٰ یُحِیطُونَ بِهِ عِلْماً

و هكذا يقفون امام سلطان الرب القاهر،عاجزين لا يحيطون به علما،فلا يمكنهم التغلب عليه،أو مقاومه مكره،إذا ليس امامهم الا التسليم له و الهروب من عدله الى عفوه،و من غضبه الى رحمته و رضوانه.

ص:۲۳۲

[سوره طه (۲۰): الآیات ۱۱۱ الی ۱۲۲]

اشاره

وَ عَنَتِ اَلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ اَلْقَيُّومِ وَ قَدْ خٰابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً (۱۱۱) وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ اَلصّٰالِحٰاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلاٰ يَخٰافُ ظُلْماً وَ لاٰ هَضْماً (۱۱۲) وَ كَذٰلِكَ أَنْزَلْنٰاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا وَ صَرَّفْنٰا فِيهِ مِنَ اَلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً (۱۱۳) فَتَعٰالَى اَللّٰهُ اَلْمَلِكُ اَلْحَقُّ وَ لاٰ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً (۱۱۴) وَ لَقَدْ عَهِدْنٰا إِلىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً (۱۱۵) وَ إِذْ قُلْنٰا لِلْمَلاٰئِكَةِ اُسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّٰ إِبْلِيسَ أَبىٰ (۱۱۶) فَقُلْنٰا يٰا آدَمُ إِنَّ هٰذٰا عَدُوٌّ لَكَ وَ لِزَوْجِكَ فَلاٰ يُخْرِجَنَّكُمٰا مِنَ اَلْجَنَّةِ فَتَشْقىٰ (۱۱۷) إِنَّ لَكَ أَلاّٰ تَجُوعَ فِيهٰا وَ لاٰ تَعْرىٰ (۱۱۸) وَ أَنَّكَ لاٰ تَظْمَؤُا فِيهٰا وَ لاٰ تَضْحىٰ (۱۱۹) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ اَلشَّيْطٰانُ قٰالَ يٰا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلىٰ شَجَرَةِ اَلْخُلْدِ وَ مُلْكٍ لاٰ يَبْلىٰ (۱۲۰) فَأَكَلاٰ مِنْهٰا فَبَدَتْ لَهُمٰا سَوْآتُهُمٰا وَ طَفِقٰا يَخْصِفٰانِ عَلَيْهِمٰا مِنْ وَرَقِ اَلْجَنَّةِ وَ عَصىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوىٰ (۱۲۱) ثُمَّ اِجْتَبٰاهُ رَبُّهُ فَتٰابَ عَلَيْهِ وَ هَدىٰ (۱۲۲)

اللغه

۱۱۱ وَ عَنَتِ اَلْوُجُوهُ :العنوه الخضوع و الذّل،و العانی الأسیر و أخذت الشیء عنوه أی غلبه تذل المأخوذ منه،و قد تکون العنوه عن طاعه و تسلیم لأنّه علی طاعه الذلیل للعزیز.

ص:۲۳۳

۱۲۱[و طفقا يخصفان]:أى شرع آدم و حوّاء يلصقان على أنفسهما من الورق حتى لا يتعرّيا.

ص:۲۳۴

المسؤولیّه...بین التذکّر و النسیان

هدی من الآیات:

الإنسان خاضع بکیانه الطبیعی للّه سبحانه،و یتجسد خضوعه الکامل یوم القیامه،أما فی الدنیا فقد أعطاه اللّه فرصه لتجربه إرادته،فهو یستطیع بها أن یسمو لیصیر أفضل من المخلوقات،التی تخضع للّه خضوعا قهریا تکوینیا.

و هذه المسؤولیه بحاجه الی التذکیر بها،و إن کان الإنسان بطبعه و فطرته یشعر بالمسؤولیه،و لکنه ربما أنسته إیّاها ضغوط الحیاه،و وساوس الشیطان فیها، و مشاکلها،فهو بحاجه الی تذکیر مستمر لیقاوم کل ذلک.

و هکذا جاء القرآن الحکیم تذکیرا للإنسان بمسؤولیته، و ثمه عامل آخر یجعل الإنسان ذاکرا لا ینسی،و هو العزم و الاراده،و فی هذه الآیات یذکرنا اللّه تعالی بأن آدم لم یکن من أولی العزم حیث نسی عهد اللّه الیه و أخرج،و لم یخرج آدم من الجنه،التی وفر اللّه له و لزوجه فیها الطعام و اللباس و الشراب و السکن،الا بسبب

إثـاره الشـيطان لغريزتی حب الخلـود و حب السـلطه،فلمـا اتبع إبليس،تجرد من لبـاس الجنه(حيث جرّد نفسه من لبـاس التقوی)و أضحی عاصيا و قد غوی،الا ان اللّه فتح أمامه باب التوبه فاجتباه و هداه.

و فی نهايه الدرس بشاره بأن وراء هبوط الإنسان الی الأرض بالذنب،التوبه التی هی معراجه الی الجنه.

بينات من الآيات:

[۱۱۱] وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ عنت أی خضـعت خضوعـا ذليلاـأمـا الوجوه فهی المظهر البـارز من الإنسـان، و حينمـا تقول توجهت أی جعلت کل أبعاد حياتی فی هذا الطريق،فعنت الوجوه بمعنی خضـعت أبعاد حياه الإنسان للحی القيوم،بلی هذا الوجه الضعيف الفانی، حق له أن يخضع لذلک الوجه الحی القيوم..

هکذا نقرأ فی الدعاء:

(سجد وجهی الذليل لوجهک العزيز الجليل،سجد وجهی البالی الفانی لوجهک الدائم الباقی،سجد وجهی الفقير لوجهک الغنی الکبير،سـجد وجهی و سمعی و لحمی و دمی و جلدی و عظمی و ما أقلت الأرض منی للّه رب العالمين) (۱) و لعلّ اسمی الحی و القيوم يجمعان أسماء اللّه الحسنی.

وَ قَدْ خٰابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً

۱- ۱) مفاتيح الجنان-ص ۲۲۷-من دعاء الجوشن الکبير.

الخیبه هی الفشل،و الـذی یخیب هو الـذی لا یصل الی هدفه،و الظلم حمل ثقیل علی کاهل الإنسان یتجلی فی صور سـلبیه شتی فی الـدنیا،کعـدم التوفیق و الفشل و..و..،أما فی الآخره فیتجلی فی صوره العذاب المهین،و هذا خلاف ما ینتظره الإنسان من وراء ظلمه،أو لیس کان یأمل الظالم أن یحقق لنفسه و أهله السعاده و الفلاح،الآن تراه یفشل و یخیب أمله،و یحمل أوزار الظلم.

[۱۱۲]فی مقابـل الظلم یوجـد العمـل الصالـح،و هو حـاله بنـاء،سواء للنفس أو المجتمع،فبـدل أن تسـجّر لنفسک تنورا فی جهنم بالظلم،شیّد لک قصـرا فی الجنه بالعمل الصالح،و بدل أن تهدم علاقاتک بالمجتمع عبر الظلم،وسـعها و متنها بالإحسان و العمل الصالح،و الذی یعمل الصالحات لا یخاف الهضم و لا الظلم.

ثم أن عمل الصالحات فی الخط الفاسد لیس من الصالحات فی شیء،لذلک یؤکد القرآن:

وَ مَنْ یَعْمَلْ مِنَ الصّالِحاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فحتی تثمر الصالحات یجب أن تکون فی خط الایمان.

فَلاٰ یَخٰافُ ظُلْماً وَ لاٰ هَضْماً لا یمکن فی یوم القیامه أن تری صـحیفه عملک و قد ذهبت بید غیرک، کما لا یمکن أن یضیع اللّه عملا صالحا مهما یکن صـغیرا،فلو أنک قمت فی أحد اللیالی لحظات و سـبحت اللّه ثم نمت فهی سـتبقی مکتوبه فی صحیفتک یوم القیامه،و الفرق بین الظلم و الهضم،أن الظلم ذهاب کل العمل،و الهضم نقصان بعض الأجر.

[۱۱۳] وَ کَذٰلِکَ أَنْزَلْنٰاهُ قُرْآناً عَرَبِیًّا

ص:۲۳۷

عربيا:بليغا يفهمه كل الناس،و يوضح كل الحقائق،و اللغه العربيه تمتاز ببلاغه نافذه-باعتراف علماء اللغه-لا نجدها أبدا فى غيرها.

وَ صَرَّفْنا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ أى ثبتنا فيه الوعيد،بأساليب مختلفه و مع أمثله حقيقيه.

لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ لكى تترسخ فيهم روح التقوى،و الذى تترسخ فيه هذه الروح لا يظلم و لا يغفل و لا يذنب،لأنه مسلح بالتقوى و الحذر نتيجه الوعيد.

أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً هدف القرآن هو زرع التقوى فى نفس الإنسان،و إذا كان قلب الإنسان لا يتقبل التقوى،فلا أقل ليتذكر بالقرآن،و التذكر حسبما جاء فى الأحاديث هو تذكر اللّه عند ممارسه الخطيئه،من هنا يمكن القول بأن التقوى نوع من العصمه أما التذكر فيشبه الكابح.

[۱۱۴] فَتَعالَى اللّهُ الْمَلِکُ الْحَقُّ تعالى عن التشبيه و التصوير و التصور،فهو الملک المالک لكل شىء و المهيمن عليه،و هو الحق و ما دونه الباطل،فنحن ملكه يهدينا الى القرآن.

و لكى نصل الى علم القرآن لا بد من التسليم و الاستزاده من الوحى دون العجله.

وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْکَ وَحْيُهُ

فی تفسیر علی بن إبراهیم،فی سبب نزول هذه الآیه،قال:کان رسول اللّه صلی الله علیه و آله إذا نزل علیه القرآن بادر بقراءته قبل تمام نزوله،فأنزل اللّه:

وَ لاٰ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ و لعل زیاده حب النبی و شوقه الی وحی ربه،کان یدفعه الی ذلک،فنهاه الرب عنه،و مهما کان السبب فان ذات العجله غیر حمیده:

/۱إذ المطلوب من المؤمن التسلیم المطلق امام الرب،لیزید اللّه علمه،و مع الاستعجال بالوحی حتی و لو کان من منطلق الشوق- یفقد کمال التسلیم له، و بالتالی لا یزداد علما.

/۲و المهم قراءه القرآن بتأن و تدبر لاستیعاب معانیه،لأن هذا الطریق فقط هو الذی یجعلنا نفهم القرآن،و خطأ أن نقرأ القرآن بهدف القراءه لأنها لیست مطلوبه بذاتها،إذا عریت عن الفهم و التدبر،الذی یحقق التقوی أو الذکری.

وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِی عِلْماً و ان من آداب تلقی الذکر-بعد التسلیم-الشوق الی زیاده العلم،فمن اغتر بما یملک من العلم لم یؤت الزیاده.

و لذلک نجد کیف یأمر الرب رسوله بطلب الزیاده فی العلم-و جاء فی الحدیث الشریف عن أئمّه أهل البیت:لو لا اننا نزداد لأنفدنا. (۱)

و فی الحدیث المأثور عن عائشه عن الرسول صلی الله علیه و آله انه قال :

ص:۲۳۹

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین ج /۳ص ۳۹۷.

«إذا أتى علیّ یوم لا أزداد فیه علما یقربنی الی اللّه،فلا بارک اللّه لی فی طلوع شمسه » (۱)[۱۱۵] وَ لَقَدْ عَهِدْنٰا إِلیٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِیَ لقد حدد اللّه سبحانه الهدف من القرآن(التقوی و التذکر)،و کمثال علی هذین الهدفین یذکر اللّه قصه آدم علیه السلام عند ما نهاه عن الشجره و حذره من الشیطان أن یخرجه من الجنه،فلا هو اتقی الشیطان و لا هو تذکر نهی اللّه له.

و من کلمه«نسی»نستنتج ان عصیان آدم لم یکن متعمدا،و یدل علی ذلک عجز الآیه وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ای عزما علی ترک المعصیه،کما ان النسیان ضد التذکر،و عهدنا بمعنی أمرنا،فهو لم یتحد ذلک الأمر انما نسیه.

وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً و هناک تفسیران لهذه الآیه:

الأول:ان آدم علیه السلام نسی العهد الالهی و لکن لم نجد له عزما علی الخطیئه أی تعمدا.

الثانی:لم یکن آدم من أولی العزم و أولو العزم خمسه هم:نوح،و إبراهیم، و موسی،و عیسی،و محمد صلی الله علیه و آله ،و هذا التفسیر تأکید للقول بأن الاراده«العزم» تمنع الغفله و النسیان.

[۱۱۶] وَ إِذْ قُلْنٰا لِلْمَلاٰئِکَهِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّٰ إِبْلِیسَ أَبیٰ

۱- ۱) المصدر ص ۲۹۸.

ان سجود الملائكه الموكله بالطبيعه للإنسان يعنى ان اللّه سخرها للبشر،بلى يبقى إبليس موكل بالنفس الأماره التى لن تسجد للّه الا ان يجبرها الإنسان على ذلك.

[۱۱۷] فَقُلْنا يا آدَمُ إِنَّ هذا عَدُوٌّ لَکَ وَ لِزَوْجِکَ فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الْجَنَّهِ فَتَشْقى بيّن اللّه لآدم و زوجه،أن إبليس عدو لهما،يسعى لاخراجهما من الجنه، و نستفيد من هذه الآيه عده أفكار:

۱-ان الإنسان بحاجه الى ان يعرف عدوه إبليس و يتذكر ذلك أبدا.

۲-ان عداوه إبليس للمرأه كعداوته للرجل،و بالتالى على المرأه أن تكون على أشد الحذر كما على الرجل سواء بسواء.

۳-ان هدف الشيطان هو إضلال البشر و جرهم الى الشقاء المادى و المعنوى، و وسيلته فى ذلك التغرير و المكر و الخداع!
[۱۱۸-۱۱۹] إِنَّ لَکَ أَلاّ تَجُوعَ فِيها وَ لا تَعْرى* وَ أَنَّکَ لا تَظْمَؤُا فِيها وَ لا تَضْحى هذه أربع من النعم الماديه التى أودعها اللّه فى الجنه و هى(نعمه الأكل و اللباس و الشراب،و المسكن).

[۱۲۰]و لكن هل يترك الشيطان الإنسان لسبيله؟..كلاّ.

فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطانُ قالَ يا آدَمُ هَلْ أَدُلُّکَ عَلى شَجَرَهِ الْخُلْدِ وَ مُلْکٍ لا يَبْلى

ص:۲۴۱

نستوحی من هذه الآیه الکریمه أفکارا عدیده تعالج قضایا هامه،لا زال بعضها موضع بحث و دراسه عند المفسرین:

۱-ان الشیطان یوسوس للإنسان،فیستثیر طبائعه الدفینه،و یدغدغ تمنیاته المکبوته،و یحرک تلک الغرائز الخامده،و هو یفعل کل ذلک بهدف التشویش علی بصره،و التمویه علیه،و زرع الشبهات فی قلبه،و إلقاء التبریرات و التسولات فی نفسه.

و هکذا لا یکفی الحذر من إغواء الشیطان المباشر،بل علینا أن نعرف أنه یشوش علینا،و یشبه الأمور و یخلط الحق بالباطل،و یمکر و یکید،و یغر و یخدع،إن علینا أن نکون فی قمه الحذر،و الا وقعنا فی شرکه.

۲-و آدم أول من وقع فی مصیده إبلیس،فهو لم یعزم عصیان ربه،بل أنساه الشیطان أمر الرب،و خدعه حیث حلف له باللّه کذبا أن اللّه لم ینهه عن تلک الشجره.

و لم یکن آدم یعلم أن من الممکن أن یحلف أحد بربه کاذبا،ثم شبه علیه بأن المنهی عنه انما هو شجره معینه من الحنطه،و لیس کل أشجار الحنطه،و هنا استفاد إبلیس من نقطه ضعیفه عند البشر حیث یتهرب من المسؤولیه بأدنی تبریر،و کانت أداه وسوسته اثاره مشاعر حب الخلود و الملک عند البشر،

جاء فی حدیث شریف عن جمیل بن درّاج عن أحد الصادقین علیهما السلام :«سألته:کیف أخذ اللّه آدم بالنسیان؟فقال:انه لم ینس،و کیف ینسی و هو یذکره و یقول له إبلیس: مٰا نَهٰاکُمٰا رَبُّکُمٰا عَنْ هٰذِهِ الشَّجَرَهِ إِلاّٰ أَنْ تَکُونٰا مَلَکَیْنِ أَوْ تَکُونٰا مِنَ الْخٰالِدِینَ » (۱).

۱- ۱) المصدر ص ۴۰۲.

۳-غریزتـا الملـک و حب الخلود غریزتـان متأصـلتان فی أعماق الإنسان،فبالرغم من أن اللّه أسـکن آدم و حواء الجنه-و هی دار الخلود-الا انهما لا زالا ینتابهما الشعور بالنهایه،و قد أثار الشیطان فیهما هاتین الغریزتین،و هکذا انخدع آدم بإبلیس الذی زین له الأکل من الشجره المحرمه،و کانت النتیجه أنه طرد من الجنه و أهبط الی الأرض.

و انمـا خـدع آدم حین أثـار إبلیس فیه غریزتی(حب الملـک و حب الخلـود)،و من المعلـوم انه لم یکن الهـدف من خلق هـاتین الغریزتین فی النفس ان یسـتخدمهما الشـیطان فی اغوائه الإنسـان،انمـا أعطاه اللّه حب الملک و السـیطره،لکی یسـتعمر الأرض و یتحمـل الصـعاب و المشـاق فی سبیل ذلک،و أعطاه حب الخلود لکی یحافظ علی نفسه من جهه،و لکی یعرف انه خلق للبقاء و لکن لیس فی هذه الدنیا،بل فی الآخره،و انه لو لم یخلد فی الدنیا،فان هناک دارا أخری سیخلد فیها.

و لکن إبلیس کعـادته یحرف غرائز الإنسـان،الـتی لـو اسـتفاد منهـا اسـتفاده سـلیمه،إذا لکـانت وقوده فی الطریق الصاعـد،أمـا لو استخدمها بصوره غیر سلیمه، فانها ستکون سببا لهبوطه و تردیه.

و الشیطان حینما یوسوس للبشر فهو قد لا یتراءی له،و لکنه یأتیه فی صوره خواطر و أوهام.

فَأَكَلاٰ مِنْهٰا فَبَدَتْ لَهُمٰا سَوْآتُهُمٰا وَ طَفِقٰا يَخْصِفٰانِ عَلَيْهِمٰا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ کانت نتیجه اقترافهما السـیئه أن بدت لهما سوآتهما بعد أن البسهما اللّه الریاش.

وَ عَصی آدَمُ رَبَّهُ فَغَوی عصی باقترافه الخطیئه،أو ترکه الهدی،و غوی عن رحمه ربه الی دار الشقاء إذ من معانی الغوایه الضیاع.

[۱۲۲] ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَیْهِ وَ هَدی و فی هـذه الآیه اشاره الی ان بیـد الإنسان نفسه سعادته أو شـقائه،و انه لو وقع فی فخاخ الشیطان و انحرف عن الجاده،فان امامه فرصه التوبه التی هی معراجه الی الفضیله.

و هناک حدیث مأثور عن الامام الرضا علیه السلام یوضح الکثیر من الشبهات فی الآیه، و الحدیث کالتالی:

یقول علی بن محمـد بن الجهم قال :حضـرت مجلس المأمون و عنده الرضا علیه السـلام فقال له المأمون:یا بن رسول اللّه أ لیس من قولک ان الأنبیاء معصومون؟قال:

بلی،قال فما معنی قول اللّه عز و جل:« وَ عَصی آدَمُ رَبَّهُ فَغَوی »؟قال علیه السـلام :ان اللّه تعالی قال لآدم: اُسْکُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُکَ الْجَنَّهَ وَ کُلا مِنْها رَغَداً حَیْثُ شِئْتُما وَ لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَهَ ،و أشار لهما الی شـجره الحنطه« فَتَکُونا مِنَ الظّالِمِینَ »و لم یقل:و لا تأکلا من هذه الشجره،و لا مما کان من جنسها،فلم یقربا من تلک الشجره،و انما أکلا من غیرها لما أن وسوس الشیطان إلیهما،و قـال:« ما نَهاکُما رَبُّکُما عَنْ هذِهِ الشَّجَرَهِ »و انما نهاکما ان تقربا غیرها و لـم ینهکما عن الأکل منها« إِلاّ أَنْ تَکُونا مَلَکَیْنِ أَوْ تَکُونا مِنَ الْخالِدِینَ »« وَ قاسَمَهُما إِنِّی لَکُما لَمِنَ النّاصِحِینَ »و لم یکن آدم و حوا شاهـدا قبـل ذلک من یحلف باللّه کاذبا« فَدَلاّهُما بِغُرُورٍ فأکلا منها»ثقه بیمینه بـاللّه و کـان ذلـک من آدم قبل النبوه،و لم یکن بـذنب کبیر اسـتحق به دخول النار،و انما کان من الصغائر الموهوبه التی تجوز علی الأنبیاء

قبل نزول الوحی علیهم،فلما اجتباه اللّه تعالی،و جعله نبیا معصوما لا یذنب صغیره،و لا کبیره،قال اللّه تعالی: وَ عَصیٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَویٰ* ثُمَّ اجْتَبٰاهُ رَبُّهُ فَتٰابَ عَلَیْهِ وَ هَدیٰ و قال عز و جل: إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفیٰ آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْرٰاهِیمَ وَ آلَ عِمْرٰانَ عَلَی الْعٰالَمِینَ (۱).

و کلمه أخیره:

ان الشیطان یقدر علی إغواء البشر ما دام الإنسان مغرورا بنفسه،غیر مستعیذ بربه من شر إبلیس و خدعه و احابیله..

و هکذا وقع آدم فی شرک إبلیس حیث اعتمد علی نفسه،فعلینا أن نعرف مدی خطوره الشیطان فنستعیذ أبدا منه باللّه سبحانه.

و نکرر:أعوذ باللّه القوی من الشیطان الغوی.

جاء فی حدیث شریف عن الکافی عن أبی جعفر(علیه السلام) :

«فقال لهما لا تقرباها یعنی لا تأکلا منها فقال آدم و زوجته:نعم یا ربنا لا نقربها و لا نأکل منها،و لم یستثنیا فی قولهما،نعم(لم یقولا الا ان یشاء اللّه) فوکلهما اللّه فی ذلک الی أنفسهما و الی ذکرهما » (۲).

۱- ۱) المصدر ص ۴۰۳.

۲- ۲) المصدر ص ۴۰۲.

[سوره طه (۲۰): الآیات ۱۲۳ الی ۱۳۰]

اشاره

قالَ اِهْبِطا مِنْها جَمِیعاً بَعْضُکُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمّا یَأْتِیَنَّکُمْ مِنِّی هُدیً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدایَ فَلا یَضِلُّ وَ لا یَشْقی (۱۲۳) وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِکْرِی فَإِنَّ لَهُ مَعِیشَهً ضَنْکاً وَ نَحْشُرُهُ یَوْمَ الْقِیامَهِ أَعْمی (۱۲۴) قالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِی أَعْمی وَ قَدْ کُنْتُ بَصِیراً (۱۲۵) قالَ کَذلِکَ أَتَتْکَ آیاتُنا فَنَسِیتَها وَ کَذلِکَ الْیَوْمَ تُنْسی (۱۲۶) وَ کَذلِکَ نَجْزِی مَنْ أَسْرَفَ وَ لَمْ یُؤْمِنْ بِآیاتِ رَبِّهِ وَ لَعَذابُ الْآخِرَهِ أَشَدُّ وَ أَبْقی (۱۲۷) أَ فَلَمْ یَهْدِ لَهُمْ کَمْ أَهْلَکْنا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ یَمْشُونَ فِی مَساکِنِهِمْ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِأُولِی النُّهی (۱۲۸) وَ لَوْ لا کَلِمَهٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّکَ لَکانَ لِزاماً وَ أَجَلٌ مُسَمًّی (۱۲۹) فَاصْبِرْ عَلی ما یَقُولُونَ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ غُرُوبِها وَ مِنْ آناءِ اللَّیْلِ فَسَبِّحْ وَ أَطْرافَ النَّهارِ لَعَلَّکَ تَرْضی (۱۳۰)

اللغه

۱۲۴[ضنکا]:ضیّقه.

۱۲۸[أ فلم یهد لهم]:أ فلم یبیّن لهم،و ألم یرشدهم:و هذا استفهام استنکاری.

ص:۲۴۶

۱۳۰[متربّص]:منتظر ليرى المصير،و ينتظر لمن الغلب، و أيّنا يعذّب و أيّنا ينعّم؟.

ص:۲۴۷

هدى من الآيات:

الإنسان مزيج من حفنه من تراب و ومضه من نور،و الأولى هى التى تحتوى على جوانب ضعيفه،أما الثانيه فتستر سوءات التراب،فاراده الإنسان تستر شهواته،و عقله يستر جهله،و تقواه تستر غرائزه،و لو لا هذا الجانب الخيّر فى حياته لكان أضعف و أعجز من كثير من الأحياء.

نعم إن لباس التقوى هو أفضل ما يستر به الإنسان عجزه و جهله و غروره،و لو لا ـ هذا اللباس لما تدافن الناس،و لو تعرى كلّ إنسان للثانى،لظهر أشد سبعيه من الذئب،و أخبث حيله من الثعلب،و ألدغ من الحيه،و الذى ينزع عن نفسه هذا اللباس فان أمامه طريقا عريضا،ليعود الى اللّه،مره أخرى عبر التوبه.

و الإنسان إنّما يضعف و يذنب،حينما ينشدّ الى التراب،بينما يسمو حينما يميل الى جانب النور،و إنّما هبط آدم عند ما تأثر بترابيته لا بروح اللّه التى نفخها فيه.

ص:۲۴۸

و لما خدع الشیطان آدم أنزله اللّه الی الأرض لیخوض صراعا عنیفا بین الحقّ و الهوی،بین من یتبع هذا و من یتبع ذاک،و هذا ما یجعل الإنسان محتاجا الی رسالات اللّه لتهدیه الی سبیل الرشاد و السعاده،فمن اتبع هدی اللّه فلا یضل عن الطریق،و لا یصیبه الشقاء،أما من اتبع هواه و أعرض عن ذکر اللّه،فانه یخضع لضغوط الشهوات،و یعیش فی زنزانه الجهل و الجهاله،و یصاب بمعیشه ضنک،أما یوم القیامه فیبعث أعمی،و حین یتساءل عن ذلک یأتیه الجواب:أو لم تنس آیات اللّه؟ بلی فأنت الیوم تنسی.

إن المسرفین الذین یکفرون بآیات اللّه لهم عذاب شدید،فی الدنیا-کما أهلک اللّه القرون الغابره و أشدّ منه و أبقی فی الآخره.

إنّ اللّه سبحانه و تعالی یهمل الکفار لأجل مسمّی،و لو لا ذلک لأخذهم بکفرهم.

بینات من الآیات:

[۱۲۳] قٰالَ اهْبِطٰا مِنْهٰا جَمِیعاً بَعْضُکُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ لقد هبط آدم و زوجته فقط،و قد أکّد القرآن ذلک حین جاء الحدیث بلفظ التثنیه اِهْبِطٰا ،و لکنه بعدئذ یقول: جَمِیعاً فلعلّه یضم إبلیس معهما،ثمّ یقول: بَعْضُکُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ بصیغه الجمع،لما ذا؟ لأنّ آدم لم یختلف مع زوجته فی الأرض أبدا،بل ظلّ علی وئام معها،حتی صارت لهما ذریه فانقسم هؤلاء،فمنهم من اعتنق مبادئ الخیر،و منهم من اعتنق مبادئ الشرّ،فنشب الصراع بین الطرفین.

فَإِمّٰا یَأْتِیَنَّکُمْ مِنِّی هُدیً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدٰایَ فَلاٰ یَضِلُّ وَ لاٰ یَشْقیٰ

الضـلاله هی الانـحراف و الشـقاء نتیجتها،و لکن الـذی یتبع هـدی ربه لا یضل و لا یشـقی،لأنه یسـیر فی الطریق الصـحیح الـذی یوصله الی أهدافه،و لعلّ الضلاله تعنی الجانب المعنوی،بینما الشقاء یعنی الجانب المادی لیتقابل مع قوله سبحانه فی الآیه التالیه، فَإِنَّ لَهُ مَعِیشَهً ضَنْکاً یعنی من لم یتبع هدی اللّه.

[۱۲۴] وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِکْرِی من یعرض عن ذکر اللّه،و عن الحقّ،و أبرز قضایـاه هو تولی القیاده الشـرعیه، فانه لا یعرف کیف یستفید من الحیاه لذلک یشقی فیها.

فَإِنَّ لَهُ مَعِیشَهً ضَـنْکاً أی معیشه ضـعیفه تضغط علیه و تجلب له التعاسه،برغم مظاهر الثروه التی قد یکون متلبسا بها و یغبطه الناس علیها،و الواقع:إن ضنک العیش یتمثل فی واحد من بعدین:

۱/فقـد یکون بسـبب نقص الوسائـل المادیه التی توفرها المناهـج الالهیه،و التی لن توجـد من دونها إلاّ مؤقته و مشوبه بالمشاکل الأعظم منها.

۲/و قـد تضـیق النفس بالحیاه و تصبح حرجه قلقه،غیر مطمئنه و لا راضـیه حتی و لو توفرت الوسائل المادیه،إذ النفسـیه المعقده التی تتراکم علیها الصـفات الرذیله کالحسد و الحقد و الکبر و الغرور یعیش صاحبها فی زنزانه ضـیقه و لو کان جسمه فی روضه فیحاء.

و فی السیاق إشاره الی بعض جوانب السعه و الضیق فی القلب.

وَ نَحْشُرُهُ یَوْمَ الْقِیامَهِ أَعْمی

ص:۲۵۰

و لماذا يعمى الإنسان فی الآخره؟لأنه قد ترک الانتفاع بالبصیره فی الدنیا،ذلک لأنّ العمی فی القرآن منه ما هو عمی البصر و منه ما هو عمی البصیره،کما قال الراغب فی قوله سبحانه: وَ مَنْ کانَ فِی هٰذِهِ أَعْمیٰ فَهُوَ فِی الْآخِرَهِ أَعْمیٰ وَ أَضَلُّ سَبِیلاً فالأوّل عمی البصیره و الثانی عمی البصر،و لعلّنا نستطیع أن نعبر عن عمی البصیره بعدم الوعی،و الذی یعمی عن النور لا بدّ أن یعمی عما یضیئه ذلک النور من الحقائق،فهدی اللّه نور جاء لیضیء الحقائق،و یبین السنن الحاکمه فی الحیاه، و بدیهی إنّ من یعرض ببصره و بصیرته عن رؤیه ذلک الهدی،سیعمی عن حقائق الحیاه و سننها،و سیصعب علیه تمییز الخیر عن الشر،و سیتجسد فی الآخره فی عمی ظاهر هو عمی العین،لذلک یقول تعالی:

[۱۲۵] قٰالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِی أَعْمیٰ وَ قَدْ کُنْتُ بَصِیراً یبدو من الآیه إنّ الرجل لم یکن من الکفار،إنّما ممن نسی آیات اللّه بعد أن جاءته،و لذلک احتار فی سبب عماه و تساءل: رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِی أَعْمیٰ و أضاف:

وَ قَدْ کُنْتُ بَصِیراً و لو کان کافرا إذا لم ینسب نفسه الی البصر،و ربنا حین أجابه،ذکّره بأنه نسی آیات اللّه،و لم یقل أنه لم یؤمن بها،هکذا جاءت النصوص تفسر الآیه بمن ترک الولایه الالهیه أو الحج المفروض،

فقد روی أبو بصیر قال:سمعت أبا عبد اللّه یقول: «من مات و هو صحیح موسر لم یحج،فهو ممن قال اللّه عزّ و جل: وَ نَحْشُرُهُ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ أَعْمیٰ قال قلت:سبحان اللّه،أعمی!قال نعم أعماه اللّه عن طریق الحقّ» (۱)و حینما یسأل الضّال ربه عن سبب عماه یأتیه الجواب:

۱- ۱) نور الثقلین ج ۳ ص ۴۰۶

[۱۲۶]قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَ كَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ أی أهملتها كما ينسى شيئا،و كذلك تهمل فی النار كمن نسی شيئا،و يبدو من هذه الآيه أن مشكله الإنسان هی إهماله لتعاليم الرسالات الالهيه،بسبب عدم الجديه(العزم)فيها،و علاج هذه الآفه بذكر اللّه تعالی،عبر الصلوات الخمس و العمل الصالح،فالصلاه تذكر المؤمن بربه باستمرار،و بالتالی تذكره بأوامره و نواهيه التی بلغها الرسل،و من خلال ذلك يعرف الحياه و سبل تسخيرها،فيفوز فی الدنيا و الآخره.

[۱۲۷]ما الذی يجعل الإنسان لا يؤمن بآيات اللّه، إيمانا عمليا ينعكس فی واقع حياته،و يلتزم بأحكام الدين بجد و عزم؟الجواب:إنّها نزعه الإسراف الكامنه فی نفسه،و التی تدعوه الی الاستزاده من متع الدنيا الزائله،حيث إنّ التمسك بالدين يتطلب شيئا من الصبر و التحمل و التضحيه،و لعلّه لذلك يقول الربّ سبحانه:

وَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَ لَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ و الإنسان الذی يحاول الهرب من صعوبات الحياه بالالتفات علی آيات اللّه، فانه سيواجه فی الآخره نفس الصعوبات و المشاق،و قد اكتسبت صفتين خطيرتين هما الشده أولا،و الامتداد الزمانی الذی يصل الی درجه الخلود ثانيا.

وَ لَعَذَابُ الْآخِرَهِ أَشَدُّ وَ أَبْقَىٰ [۱۲۸] أَ فَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ الذی لا يتعظ إمّا لا يشعر بالخطر فيأمن من مكر اللّه،أو لأنّ قلبه قاس لا يستطيع أن يستوعب به العبر،و لا يستفيد من العبر إلّا اولی النهی(أصحاب

العقول).

[۱۲۹] وَ لَوْ لاٰ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكٰانَ لِزٰاماً وَ أَجَلٌ مُسَمًّى كلمه اللّه سبقت بتأخير العذاب،و إلاّ لكان لزاما أن يصبّ اللّه عليهم عذابه، إنّ من رحمه اللّه بالإنسان أن ترك له فرصه كى يهتدى و لم يعاجله بالعقوبه.

[۱۳۰]بما ذا نتقى النسيان؟نتقى النسيان بأمرين:

الأول:الصبر.

فَاصْبِرْ عَلىٰ مٰا يَقُولُونَ عدم التأثر بكلام الكفار و أفكارهم السلبيه،و عدم مجاراتهم فى كلامهم.

الثانى:ذكر اللّه بالتسبيح دائما.

وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ صلاه الصبح.

وَ قَبْلَ غُرُوبِهٰا صلاه العصر.

وَ مِنْ آنٰاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ صلاتى المغرب و العشاء.

وَ أَطْرٰافَ النَّهٰارِ

أی وسط النهار و هی صلاه الظهر.

لَعَلَّکَ تَرْضی و هذه الکلمه تقابل فَإِنَّ لَهُ مَعِیشَهً ضَنْکاً ،فالمعیشه الضنک هی معیشه الإنسان التی تحبس نفسه بسببها فی زنزانه السخط علی الحیاه،أما المعیشه الرحبه فهی معیشه الإنسان الراضی بقضاء اللّه تعالی.

ص:۲۵۴

[سوره طه (۲۰): الآیات ۱۳۱ الی ۱۳۵]

اشاره

وَ لاٰ تَمُدَّنَّ عَیْنَیْکَ إِلیٰ مٰا مَتَّعْنٰا بِهِ أَزْوٰاجاً مِنْهُمْ زَهْرَهَ اَلْحَیٰاهِ اَلدُّنْیٰا لِنَفْتِنَهُمْ فِیهِ وَ رِزْقُ رَبِّکَ خَیْرٌ وَ أَبْقیٰ (۱۳۱) وَ أْمُرْ أَهْلَکَ بِالصَّلاٰهِ وَ اِصْطَبِرْ عَلَیْهٰا لاٰ نَسْئَلُکَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُکَ وَ اَلْعٰاقِبَهُ لِلتَّقْویٰ (۱۳۲) وَ قٰالُوا لَوْ لاٰ یَأْتِینٰا بِآیَهٍ مِنْ رَبِّهِ أَ وَ لَمْ تَأْتِهِمْ بَیِّنَهُ مٰا فِی اَلصُّحُفِ اَلْأُولیٰ (۱۳۳) وَ لَوْ أَنّٰا أَهْلَکْنٰاهُمْ بِعَذٰابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقٰالُوا رَبَّنٰا لَوْ لاٰ أَرْسَلْتَ إِلَیْنٰا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آیٰاتِکَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ نَخْزیٰ (۱۳۴) قُلْ کُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحٰابُ اَلصِّرٰاطِ اَلسَّوِیِّ وَ مَنِ اِهْتَدیٰ (۱۳۵)

ص:۲۵۵

سلبيات النفس البشريه

هدى من الآيات:

تحدثنا سوره طه عن الإنسان و تقص علينا أنباء أربعه نماذج بشريه هم:

موسى و هارون،و هما أعلى قمه بشريه،ثم السحره الذين اهتدوا بعد الضلاله،ثم فرعون فى الحضيض،و أخيرا:جنود فرعون الذين استخفهم فأطاعوه و أضلهم و ما هدى.

و فى الدرس الأخير تلخص السوره عبرها،و تبين:سلبيات النفس البشريه،بعد أن أشار الى عوامل الانحراف فيها،ذلك ان معرفه الإنسان بنفسه،و بالعوامل المؤثره فيها،تساعده على الاختيار السليم و حيث:ان القرآن يبصرنا فى هذه السوره بحقيقه وساوس الشيطان،و كيف ان النسيان(و عدم العزم)،و الغفله عن مكر الشيطان،و إهمال ذكر اللّه،كل أولئك يهبط البشر من جنته الى أرض الصراع.

بلى ان هناك مجالا للإنسان أن يسمو و يسبق الآخرين،و لكن ينبغى أن يكون

تسابقه معهم شريفا يتجه نحو البناء،و الا يكون على حطام الدنيا و الا يتحول الى صراع هدام.

و لكى نبتعد عن الضلاله،و لا نتأثر بعامل الحسد،فيصير التنافس صراعا،علينا أن نذكر اللّه تعالى و ان نقيم الصلاه،و نأمر بها أهلنا،لأنهم قد يؤثّرون علينا سلبا لو لم يكونوا مؤمنين،فالصلاه معراج المؤمن،و من يعرج الى اللّه،لا يتأثر بضغوط الهوى،و لا بزينه الحياه الدنيا.

ثم يشير القرآن الى سبب من أسباب الضلاله،و هو عدم القناعه بقضاء اللّه،و لا ريب ان الذين يحملون هذه الروح لن يقبلوا برسل اللّه و لا برسالاته،و سيبرّرون موقفهم هذا بطلب المزيد من الآيات و الدلالات الحسيه الماديه،و لكنهم يغفلون عن حقيقه هامه،و هى ان كثيرا من الأنبياء السابقين كانت لهم آيات و معجزات ظاهره،كعصا موسى و معاجز عيسى من قبيل احياء الموتى و إشفاء المرضى و لكن مثل هؤلاء الناس لم يؤمنوا بهم.

بينات من الآيات:

[۱۳۱] وَ لاٰ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلىٰ مٰا مَتَّعْنٰا بِهِ أَزْوٰاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيٰاةِ الدُّنْيٰا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ رِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ أَبْقىٰ النعم التى يمن اللّه بها على الإنسان تكون لحكم مختلفه و غايات متباينه،فقد تكون للابتلاء و الاختبار لمن هو فى مستواها،لعل نفسيه شخص لا تتحمل النعم العظيمه،و بالتالى لا يكون من الحكمه تحميله مسئوليه تلك النعمه العظيمه، فالأفضل-إذا-الاّ تطاول بنظرك الى نعم اللّه على الآخرين.

و قد تكون للزياده فى الإثم و استدراج الفرد نحو مصيره الأسود.

و كثيرون هم الـذين يسـقطون فى الامتحان فيحق عليهم العذاب،فلا داعى اذن ان يحسد الإنسان الآخرين على ما فى أيديهم من نعـم اللّـه،بـل يقنـع بمـا فى يـده مـا دامـت النعـم تعطى بحكمـه للبشـر،و لـو فكر ان يستزيـد مـن الفضـل فليكـن ذلـك بـالطرق المشروعه..بالعمل و السعى بدل المكر و السرقه.

[١٣٢]ان التنافس على حطام الـدنيا لا يختص بالرجال فقط،بل قـد نجـد البعض يرضـى بقسـمته من العيش،الا ان اهله هم الـذين يـدفعونهم الى التكـاثر من زينه الحيـاه،و دائمـا يقولون له:أ فلا ترى أهـل فلاـن كيف يتنعمون بالرخـاء،أ فلا تعمـل كمـا يعمل لأـهله؟فمـا هى إذا مسـئوليه الإنسـان تجـاه أهلـه؟الجـواب:عليه أن يكـون فاعلا فى أسـرته و ليس منفعلا،فلا يتـأثر لضـغوطهم الشيطانيه،و ذلك عبر تربيتهم على الروحانيات و من أبرزها الصلاه.

وَ أْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاٰهِ وَ اصْطَبِرْ عَلَيْهٰا لاٰ نَسْئَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ و تـدل هـذه الآيه على ان الصـلاه ليست عباده فرديه يؤديها الفرد تجاه ربه فقط، بل هى أيضا عمل اجتماعى متكامل الأركان،نستفيد ذلك من كلمتى(الأمر، و الاصطبار)،فالأولى تدل على ضروره الالتزام الاجتماعى بهذه الشـعيره،بينما تدل الثانيه على ان الصـلاه تتطلب أعمالا أخرى فيها مشقه و تعب،فهى بحاجه الى الصبر و الاستمرار.

فالصـلاه على سبيـل المثـال تحتـاج الى الأـمر بـالمعروف و النهى عن المنكر، و الاـلتزام الحـاد بتعاليم الشـريعه فى كافه مجالات الحياه،الاجتماعيه و السياسيه و الاقتصاديه و الثقافيه و..و..

و نهتدى من الآيه الى أن الصلاه باب من أبواب الرزق،كما أن فائدتها تعود

على مقيمها،مما يجعل الإنسان يقبل عليها بشوق و تلهف،لأن وراءها الرزق و الخير أيضا.

وَ الْعاقِبَةُ لِلتَّقْوى لكى نوضح بعدا من أبعاد هذه العباره القرآنيه نضرب المثل التالى:قد يأكل الإنسان أكله شهيه،و لكنها تحتوى على ميكروب لا تراه عينه،فهو و ان شعر باللذه الآنيه،الا انه سيجد نفسه طريح الفراش فى المستقبل القريب،بسبب تكاثر الميكروب،و الآلام التى يسببها،مما يجره الى إنفاق الكثير من الوقت و المال بين الأطباء و المستشفيات طلبا للصحه،بينما يأكل آخر أكله متواضعه و لكنها نظيفه فيحصل على فوائدها.

ان المفاسد الاجتماعيه تشبه الميكروب فى الطعام،فالإنسان الذى يكتسب المال عن طريق الحرام،كالسرقه،و الاحتيال على الناس،هذا و ان حصل على كثير من المال،فان عاقبته غير حسنه على صعيد الدنيا حيث يبغضه الناس،و قد يقع ضحيه لظلم الآخرين و سرقتهم و احتيالهم،إذ كما ان فى المجتمع من هو أضعف منه يمارس تجاهه الظلم،فكذلك فيه من هو أقوى منه يستطيع ان يظلمه،لكل عمل انعكاسا اجتماعيا يشبه أمواج الصوت،ترتد الى صاحبه قريبا أو آجلا،ذلك لأن المجتمع وجود حى يتفاعل أعضاؤه فيما بينهم،فمن عمل بالظلم فانه يكرس قانون الظلم فى مجتمعه،و سيصبح فى يوم ضحيه هذا القانون،

و الحديث الشريف يقول :

«من طرق باب الناس طرق بابه » اما الإنسان الذى يتقى،فانه و ان لم يحصل الا على قليل من المال لكنه يحس بالبركه و الراحه الدائمه فى الدنيا،كما يكون سعيدا فى الآخره برضى اللّه و جنته.

ان موقف الإنسان من نعم اللّه الماديه هو موقفه من نعمه الرساليه المعنويه،فترى الـذين لا يرضون بنعم اللّه عليه و يمـدون أعينهم أبـدا الى ما لا يملكون من النعم، لانعـدام الشـكر و الرضا و الطمأنينه عنـدهم،هم الـذين يطالبون الرسل أبـدا بآيات جديـده،و لا يرضون بما أنزل اللّه معهم من آيات مبينات.

[۱۳۳] وَ قَالُوا لَوْ لاَ يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ انهم يطالبون بآيه جديده تشهد على صدق الرساله فيجيبهم اللّه:

أَ وَ لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولىٰ لقـد أحاط اللّه رسوله و رسالته بالآيات الواضـحات،كالأخبار التى جاءت فى الصـحف الأولى(التوراه و الإنجيل،...)التى تنبئ كلها بقـدوم النبى محمـد صـلى الله عليه و آله ، و تذكر سائر الصـفات و الأحوال المتصـله به،و قد تحققت امام أعينهم صدقا و عدلا، و لكن عمى قلوبهم و طلبهم المزيد من الآيات منعهم من الايمان بها.

[۱۳۴]ان العيب موجود فيهم حيث لا تقنع بمعطيات الواقع،و لا ترضـى بحكم اللّه،فاذا بعث اللّه إليهم رسولا منذرا مؤيدا بالحجج و الآيـات الواضـحه اعرضوا عنه و عنهـا،و قـالوا نريـد معجزات حسـبما تراهـا أعيننـا و تلمسـها أيـدينا،و حين ترسل إليهم الآيات المدمره يقولون لقد كنا على استعداد للايمان لو أرسل اللّه إلينا رسولا ينذرنا بهذا المصير.

وَ لَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْ لاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ نَخْزىٰ ان موقفهم المتعصب لاـ يعطيهم فرصه للايمـان بـاللّه و الخضوع لحـاكميته،و لو كـانت الآيـات ملىء الأرض و السـماء،ذلك ان الآيات لا تنفع بـدون العقل و التفكر

العمیق.

[۱۳۵] قُلْ کُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحٰابُ الصِّرٰاطِ السَّوِیِّ وَ مَنِ اهْتَدیٰ الجمیع ینتظر المستقبل،و لکن ترقب المؤمن مبنیّ علی أساس التعالیم الالهیه، بینما لا یستند تربص الکافرین الا علی و هم،فهم فی ضلاله حاضره و مصیر مظلم، و هذه الآیه تنطوی علی إنذار بالغ لهذه الفئه.

ص:۲۶۱

سوره الأنبياء

اشاره

ص:۲۶۳

بسم اللّه الرحمن الرحيم

فضل السوره:

عن النبی محمد صلی الله علیه و آله قال :

«من قرأ سوره الأنبياء،حاسبه اللّه حسابا يسيرا،و صافحه و سلم عليه كلّ نبی ذكر اسمه فی القرآن».

(مجمع البيان-ص ۳۸-ج ۷)

و عن الامام الحسين عليه السلام قال :

«من قرأ سوره الأنبياء حبا لها،كان كمن رافق النبيين أجمعين فی جنات النعيم،و كان مهيبا فی أعين الناس حياه الدنيا».

(الثقلين-ص ۴۱۳-ج ۳)

ص:۲۶۵

الإطار العام

شروعها هزه ضـمير،و نهايتها و مضه أمل،و بين البـدايه الصاعقه و النهايه الحانيه،يتلو علينا القرآن الكريم آيات الوعى،ليعالج فينا الغفله و الإعراض، و اللعب و اللهو،مذكرا بعاقبه المكذبين،و ان الحياه جد،و ان الملائكه عباد مكرمون،و ان الآلهه لا تنفع،و هى ليست كهفا منيعا للاعبين و اللاهين،و ان اللّه واحـد أحـد،و ان الموت واقع،و ان الاسـتهزاء بالرسل عاقبته العـذاب.كما انها تذكر بدور الرسل،و عاقبه المكذّبين بهم،و شهاده صدقهم فى نصر اللّه لهم.

فمـا هو إذا الإطـار العـام لهـذه السوره؟هـل انه يحيـط بمحور النبوه و دور الأنبياء كما يـدل عليه اسم السوره؟أم ان محور السوره قضـيه الغفله،و كيف تعالـج فى النفس،ليشـعر الإنسان بمسؤولياته،و ان الحياه جـد لا هى لهو و لا لعب؟ لعل السوره تحـدثنا عن الأنبيـاء،و لكن من زاويه تـذكيرهم البشـر،و كيف ينبغى أن نـداوى حـاله الغفله من أنفسـنا بالاسـتماع إليهم،و الايمان بهم و بما أرسلوا به.

ص:۲۶۷

ذلـك إنّ سـورا أخرى تحـدثنا أيضـا عـن الأنبيـاء،و لكـن من زوايـا مختلفه مثـل طـبيعه الصـراع الاجتمـاعى أو السياسـى الـذى خاضوه(مثل سوره القصص)أو الأذى الذى لحقهم و كيف استقاموا حتى نصرهم اللّه(مثل سوره هود).

إن الشـعور بـالمسؤوليه،قمه الوعى و إن السبيـل إليه مقـاومه حـاله الغفله و السـهو، و الـتى لاـ تتحقق إلاـ بالإنـذار بـاقتراب موعد الحساب! و قد جاء النبى يذكرهم إلاّ انهم استمعوا الذكر و هم يلعبون،لان قلوبهم لاهيه،لا تستقر على فكره.

و بعـد أن يـذكّر السـياق بـان إعراضـهم عن الـذكر بادعـاء إنّه سـحر،أو حلم مختلط،أو افتراء،أو خيالات شاعر.و بالتالى تبريرهم التكذيب بالحق،باننا نبحث عن آيات جديده،بعدئذ ينذرهم:بأن الهلاك هو مصير المكذبين(١١).

و يبين القرآن:إنّ الحياه جد لا لعب،و أنّ اللّه خلق السـماوات و الأرض بالحق،و بالتالى لا ينبغى اتخاذها لعبا و لهوا،(١۶)و يؤكد ذلك بان الملائكه(و هم الأعرف و الأقوى منهم)يعبدون اللّه بجد و يسـبحونه و له يسـجدون(١٩)و لأنهم يهربون من المسؤوليه عاده الى كنف الآلهه فيزعمون انها تنقـذهم من جزاء أفعالهم يذكرهم الرب بأنه اللّه الواحد(٢٠)و يستمر السياق بذكر التوحيد و الشواهد الفطريه عليه(٣٠)ثم يعود بعـد تزييف فكره الشـرك التبريريه،ليهز الإنسان من أعماقه بذكر الموت،و ان كلّ نفس ذائقه الموت،حتى النبى الكريم عند ربه(٣۴).

أما الاستهزاء(و هو صوره اللهو و عدم الجديه فى استقبال القضيه المصيريه)فان عاقبته الدمار(٣۶).

ص:٢۶٨

و بعد تفنيد الشرك و الاستهزاء يعالج القرآن حاله الاستعجال(٣٧)(حيث إن الإنسان يبعد المسؤوليه عن نفسه بالادعاء انه لو كان لكلّ فعل جزاء فلما ذا يتأخر الجزاء).

و يعود السياق ليبيّن مصير المستهزئين(٤١)و يقول ان اللّه هو حافظكم فى الليل و النهار فاحذروه(و لا تستهزؤوا به)و انه هو الذى يكلؤكم لا أحد غيره،و ان الآلهه لا تمنع عنكم العذاب(٤٣).

و استمرار النعم،قد يوحى الى الإنسان بأنّه لا نقم و لا جزاء فى الحياه،و لكن الرب يذكرنا بأن نظره الى الأرض كفيله بإثبات هذه الحقيقه:ان اللّه غالب على أمره(٤٤).

إن من يلهو لا ينتفع بالوحى لأنه الصمّ،و هل يسمع الصم الدعاء(حتى و لو تمّ إنذارهم بالخطر المحدق بهم)(٤٥).

إنهم يعترفون بذنبهم إذا أصابتهم نفحه بسيطه من عذاب اللّه،فكيف يغفلون عن الموازين القسط الدقيقه التى وضعت ليوم القيامه؟(٤٧).

لهذا الهدف و هو تذكره الإنسان،و إيقاظ ضميره،و استثاره عقله،جاء الأنبياء،يحملون معهم الذكر،و اللّه أيدهم بنصره فأهلك المكذبين بهم، و المستهزئين.و أنقذهم،و من آمن معهم من العذاب و رفع كلمتهم،و هكذا يقصّ علينا القرآن قصه موسى و هارون(و النبى محمد صلى الله عليه و آله)و إبراهيم و لوط و اسحق و يعقوب و نوح و داود و سليمان و أيوب و إسماعيل و إدريس و ذا الكفل و ذا النون و زكريا و يحيى و مريم و ابنها(عيسى)و يبيّن كرامتهم عند ربهم و شهاده الصدق على رسالتهم الواحده حيث ان الاختلاف جاء من قبل الناس أنفسهم(٩٣).

و یستلهم السیاق من تلک القصص المضیئه إن من یعمل من الصالحات و هو مؤمن فلا کفران لسعیه(۹۴)و هو الجانب الآخر لفکره المسؤولیه.

و بعد أن یبیّن أشراط الساعه و اقتراب الوعد الحقّ و ندم الکفار و کیف ان اللّه یلقی الآلهه المزیفه و من عبدها فی النار،یؤکد بأن دخول هؤلاء النار التی لهم فیها زفیر،لدلیل علی أنهم لیسوا بآلهه(۹۹).

أ ترید أن تتخلص من النار؟!فکن ممن هداه اللّه،و استمع الذکر،فهناک لا تسمع حسیسها،و لا یحزنک الفزع الأکبر(۱۰۳)هنالک یطوی اللّه السماء کما تطوی الأوراق،و لکن قبل ذلک الیوم سوف یورث اللّه الأرض لعباده الصالحین، و هذا البلاغ یفهمه القوم العابدون!(۱۰۶).

و الرسول رحمه للعالمین(و تتجلی الرحمه فی یوم وراثه الأرض).و بعد أن یذکرنا السیاق بالتوحید،و ینذرنا من مغبه التولّی،و یخبرنا بأن اللّه یعلم الجهر و ما تکتمون، و ان المتاع الدنیوی فتنه و نهایته قریبه یختم السوره بالدعاء الذی یأمر به رسوله النذیر،بأن یطلب من اللّه أن یحکم بالحق(بینه و بین الجاحدین)و هو الرحمن المستعان علی الأعداء و ما یصفونه من تهم(۱۱۲).

[سوره الأنبياء (٢١): الآيات ١ الى ١٠]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . اِقْتَرَبَ لِلنّٰاسِ حِسٰابُهُمْ وَ هُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (١) مٰا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلاَّ اِسْتَمَعُوهُ وَ هُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لاٰهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَ أَسَرُّوا اَلنَّجْوَى اَلَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هٰذٰا إِلاّٰ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَ فَتَأْتُونَ اَلسِّحْرَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٣) قٰالَ رَبِّي يَعْلَمُ اَلْقَوْلَ فِي اَلسَّمٰاءِ وَ اَلْأَرْضِ وَ هُوَ اَلسَّمِيعُ اَلْعَلِيمُ (۴) بَلْ قٰالُوا أَضْغٰاثُ أَحْلاٰمٍ بَلِ اِفْتَرٰاهُ بَلْ هُوَ شٰاعِرٌ فَلْيَأْتِنٰا بِآيَةٍ كَمٰا أُرْسِلَ اَلْأَوَّلُونَ (۵) مٰا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنٰاهٰا أَ فَهُمْ يُؤْمِنُونَ (۶) وَ مٰا أَرْسَلْنٰا قَبْلَكَ إِلاّٰ رِجٰالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ اَلذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ (٧) وَ مٰا جَعَلْنٰاهُمْ جَسَداً لاٰ يَأْكُلُونَ اَلطَّعٰامَ وَ مٰا كٰانُوا خٰالِدِينَ (٨) ثُمَّ صَدَقْنٰاهُمُ اَلْوَعْدَ فَأَنْجَيْنٰاهُمْ وَ مَنْ نَشٰاءُ وَ أَهْلَكْنَا اَلْمُسْرِفِينَ (٩) لَقَدْ أَنْزَلْنٰا إِلَيْكُمْ كِتٰاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ (١٠)

اللغه

٢[محدث]:جديد.

٣[و أسرّوا النجوى]:أى أخذ يناجى بعضهم بعضا فى شأن القرآن و الرّسول.

[أ فتأتون السحر]:أى كيف تقبلون السحر الذى أتى به محمد،و تأتون بمعنى:تذهبون إلى السحر.

ص:٢٧١

۵[أضغاث أحلام]:أی تخالیط أحلام،و أحلام مضطربه، و أضغاث جمع ضغث،و هو:الخلط من الشیء.

ص:۲۷۲

اِقْتَرَبَ لِلنّاسِ حِسابُهُمْ

هدى من الآيات:

عجيب أمر الناس إنهم يلهون و يلعبون و الحساب يقترب إليهم.

لما ذا تراهم يعرضون عن الحق،حتى أنهم لا يأتيهم ما يذكّرهم إلاّ تراهم يتخذونه لعبا،و تحيط بأفئدتهم الغفله و يتناجون بينهم-ظالمين أنفسهم-هل هذا إلاّ بشر مثلنا،لما ذا نتبعه،و يفسرون ذكر اللّه الجديد و أثره البليغ فى قلوبهم،بأنه سحر، و يتناهون عنه.

و الرسول يبلغهم رسالات ربه،و يتوكل عليه و يشهد على صدقه اللّه الذى يعلم القول فى السماء و الأرض،و يحتارون بما ذا يفسرون هذا الذكر المحدث الذى يتهربون منه،بسبب لهو قلوبهم.فتاره يقولون أضغاث أحلام،و حينا ينسبونه الى الافتراء،و مره يقولون إنه خيال شاعر،و أخرى يطالبونه بآيات مقترحه.

ص:۲۷۳

و يتساءل السياق إذا لم يؤمن السابقون حتى أهلكهم اللّه و قد أنزلت إليهم تلك الآيات المقترحه أفهم يؤمنون؟و من هم الرسل السابقون؟أو لم يكونوا رجالا يوحى إليهم؟دعهم يسألون من انتفع بالذكر إن كانوا لا يعلمون،بلى كان الأنبياء يتعرضون للجوع و لم يكونوا خالدين.

و كانت-مع ذلك-شهاده صدقهم قائمه فى الأمداد الالهى الذى تجلى فى إنقاذهم ثمّ إهلاك المكذبين بهم،الذين أسرفوا على أنفسهم.

و هذا كتاب فيه ذكر محدث،و على المسلمين أن يتذكروا به إن كانوا يعقلون.

بينات من الآيات:

معرفه المصير:

[۱] اِقْتَرَبَ لِلنّاسِ حِسابُهُمْ معرفه الإنسان لمصيره و حسابه،أفضل وسيله لهدايته

و فى الحديث :«كفى بالموت واعظا »لأن الموت زائر غير مرغوب فيه،يزور الإنسان فى أىّ لحظه يشاء، دون أن يأخذ موافقه مسبقه،فعلى الإنسان أن يستعد للموت فى كلّ لحظه(فاذا مات ابن آدم قامت قيامته)و من هنا يظهر الخطأ الفادح لأولئك الذين يزعمون بأن يوم القيامه بعيد،إذا فلما ذا الغفله،و لما ذا الاعراض عن ذكر اللّه و عن الرساله؟! و الناس على أقسام ثلاث،فمنهم من يتحول قبره الى روضه من رياض الجنّه، و هم الصالحون،و منهم من يصبح قبره حفره من حفر النيران،و هم المجرمون.

و واضح إن حساب هؤلاء أقرب إليهم من كلّ شيء لأنه لا يفصلهم عنه سوى الموت الذى ينزل بهم فى أيه لحظه.

أما القسم الثالث فهم الذين يلهى عنهم حتى قيام الساعه حسب بعض النصوص،و بالرغم من بعد الحساب عنهم زمنيا إلاّ إنّ انعدام شعورهم خلال الفتره يوصل الموت و قيام الساعه ببعضهما فى الواقع،و لعلّه لذلك

جاء فى الحديث النبوى الشريف: «بعثت و الساعه كهاتين،و هو يشير إلى إصبعى السبابه و الوسطى بعد جمعهما. » وَ هُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ تحيط بهم الغفله،و يهربون مواجهته الحقيقيه.

[۲] مٰا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَ هُمْ يَلْعَبُونَ كلما أتتهم آيات جديده من ربهم،تذكرهم بواقعهم و مصيرهم،إذا بهم يتشاغلون عنها بتوافه الأمور،أو يتخذونها لعبا،فلا يتعاملون معها بجديه.تصور إنّك لو مثلت أمام محكمه،و أنت تعتقد بأنها إما أن تحكم عليك بالاعدام،و إما أن تبرئ ساحتك،كيف تقف فى قفص الاتهام،أو ليس متحفزا يقظا،حتى لا تبدر منك كلمه فى غير محلها،لأنها لحظه حاسمه.أمّا إذا أخذت تدير مسبحه فى يدك أو تدخل يديك فى جيبك تبحث عن محتوياته العاديه فان ذلك يسمى لعبا.

و كذلك الإنسان فى هذه الحياه أشبه ما يكون فى قاعه محكمه،و عليه أن ينتظر الحكم عليه بدخول الجنّه أو بورود النار،و لهذا ينبغى عليه أن يأخذ الحياه بجديه تامه،و يحسب لأعماله و تصرفاته،و أقواله ألف حساب،و إلاّ كان من الذين يشملهم قول اللّه سبحانه:و هم يلعبون.

تخرصات البشر:

[۳] لاٰهِيَةً قُلُوبُهُمْ

إن القلوب اللاهيه لا تتقبل حقائق الحياه،و لا تتفاعل معها،تماما كالأحجار الصلده التى كلما صببت عليها الماء فانها ترفض أن تحتفظ بقطره واحده منه.

وَ أَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هٰذَا إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَ فَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ لما ذا كان حديثهم بينهم نجوى؟ لأنهم يخافون أن يفتضحوا أمام الملأ بسبب ضعف موقفهم العلمى أمام شواهد الصدق التى تميزت بها الرساله،و لأنهم انهزموا فى واقع أنفسهم أمام قوه الرساله، فلم يجدوا بدّا من المؤامره فى السر ضدها!و لان ادعائهم بأنها سحر كان واضح البطلان فاحتاجوا الى التواطئ عليه فى السر،فالسحر شىء و الرساله شىء آخر، السحر يداعب خيالهم بينما الرساله تثير عقولهم.

[۴] قٰالَ رَبِّى يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِى السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ إنّ الإنسان يبرّر عمله أمام الآخرين ما دام يعلم إن تبريره يمكن أن ينطلى عليهم،أما إذا علم أن هناك من يعرف حقيقه أمره،فانه سيخجل من ذاته،و يكف عن انحرافه إن كان أهلا للموعظه.

لذلك ذكر النبى صلى الله عليه و آله المشركين بأن اللّه يعلم إنّ كلامهم باطل و هم بدورهم يعلمون ذلك،فلما ذا يتحدثون به؟ثمّ إنّ رسولهم الذى جاء بالذكر هو أول من يحذر ربّه،لأنه يعرف أنّه يعلم القول فى السماء و الأرض،فكيف يمكن أن يفترى عليه و هو الشاهد الناظر؟ [۵] بَلْ قٰالُوا أَضْغٰاثُ أَحْلاٰمٍ

أی أحلام مختلطه ببعضها.

بَلِ افْتَراهُ إنّ کلامه معقول،و لکنه کاذب فی ادعائه أنّه وحی من اللّه.

بَلْ هُوَ شاعِرٌ و لمّا رأوا إنّ کلامه عمیق و ذو أثر قالوا:إنّه شاعر!لأنّ الشعر أعلی درجات الثقافه لدیهم.هکذا کان حدیثهم عن الرساله متناقضا ینبّئ عن حیره کبیره، منشؤها عدم استعدادهم للإیمان بها،و تحمل مسئولیاتها،و ترک ما تعودوا علیه، کذلک الإنسان حینما یقرر رفض مذهب أو موقف یتشبث بأعذار واهیه و ربما متناقضه.

ثمّ قالوا:

فَلْیَأْتِنا بِآیَهٍ کَما أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ و من الممکن أن نؤمن،لکن علی شرط أن یأتینا بآیات جدیده،و إن آیات اللّه التی تنزل علی البشر نوعان:

النوع الأول:هی التی تأتی لإثاره العقل و بیان الحجه من قبیل الآیات القرآنیه التی تأتی فی زمان الفرصه و فی أیام الأجل،أما النوع الثانی:فهی التی تأتی لتفرض علی الإنسان الحقّ شاء أم أبی و إنما تکون هذه بعد انتهاء الأجل، ففرعون کان یقول:أنا ربکم الأعلی،و حینما غرق فی البحر و تقاذفته الأمواج، قال:آمنت برب هارون و موسی،و لکن هذا الإیمان مرفوض لأنه جاء بعد فوات الأوان.

و هؤلاء حينما يطالبون بهبوط الآيات الحسيه عليهم،فإنهم يخطئون فى ذلك! لأن هذه الآيات إذا جاءت فان فرصتهم تكون قد انتهت،و لن يكون فى مقدورهم الاستفاده منها شيئا.

[۶]مٰا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَهٍ أَهْلَكْنٰاهٰا أى حينما أنزلت عليهم الآيه أهلكت هذه القريه،لتصبح عبره للأجيال.

أَ فَهُمْ يُؤْمِنُونَ إنّ هؤلاء ينتظرون أن تنزل عليهم آيه من نوع آيات القرى الهالكه،ليؤمنوا بالرساله،فى حين إنهم يرفضون الإيمان بالآيات العقليه الكثيره،و هذا خطأ فادح لأن فى ذلك يكون هلاكهم.

حقيقه الرسل:

[٧] وَ مٰا أَرْسَلْنٰا قَبْلَكَ إِلاّٰ رِجٰالاً نُوحِى إِلَيْهِمْ لمّا زعموا بأنه بشر أجابهم القرآن بلى إنّه لبشر،و كذلك كلّ الأنبياء السابقين كانوا بشرا.

فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ لقد أعطى اللّه سبحانه الجاهل قدرا كافيا من العلم ليهديه الى ضروره البحث عن عالم يسأله،و هكذا فان لم يكن للناس علم بطبيعه الرسالات فليسألوا أهل الذكر و المعرفه عن كلّ ذلك،و الآيه تشير الى إن سؤال الجاهل من العالم أصل شرعى يمكن الاعتماد عليه بشرط أن يكون العالم من أهل الذكر،أى أن يكون قد

استفاد من علمه.

[۸-۹] وَ مٰا جَعَلْنٰاهُمْ جَسَداً لاٰ يَأْكُلُونَ الطَّعٰامَ وَ مٰا كٰانُوا خٰالِدِينَ* ثُمَّ صَدَقْنٰاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنٰاهُمْ وَ مَنْ نَشٰاءُ وَ أَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ مع ذلک نحن نؤكّد لكم:بأن الأنبياء متصلون باللّه،و إنّ كلامهم وعد من اللّه،و أن اللّه سبحانه و تعالى ينفذ ما قال،و ينجى رسله و يهلك الآخرين.

و تتكرر فى القرآن الكريم كلمه الإسراف بصيغ مختلفه لتدل على حقيقه يجب أن نتذكرها دائما و نتأمل فيها كثيرا و هى:إن الإسراف هو أحد الأسباب الرئيسيه لانحراف البشر،فالإنسان الذى يأكل و يشرب و ينام و يتزوج بقدر حاجته،لا ينحرف لأن اللّه دائما يوفر للإنسان رزقه،و لكن الذى يضل عن الصراط هو المسرف الذى يريد أن يجمع أموال الناس الى أمواله،و يبنى سعادته على حساب الآخرين،و القرآن يؤكد هنا:بأن الذين يهلكون إنّما هم المسرفون.

دور القرآن:

[۱۰] لَقَدْ أَنْزَلْنٰا إِلَيْكُمْ كِتٰاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ القرآن يأتى لينبه الإنسان عن تلك الغفله التى تفصل بينه و بين الحساب،و لا تدعه يتذكر أنّه مسئول محاسب و أن حسابه قريب.

إذا كلما رأيت نفسك غافلا فاقرأ القرآن،لأن قراءه القرآن تعطيك ذكرا، و توجهك الى الحقيقه.

أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ

القرآن لاـ يقول أ ليس عندكم عقل،لما ذا؟لأنّ الناس جميعا رزقوا العقل، و لكنهم يختلفون فی مدی استفادتهم من عقولهم،و هو التعقل،کما إنّ الناس جميعا يملكون الأبصار،و لكن بعضهم يفتحون أعينهم فيرون،و بعضهم يذهلون عنها فينزلقون،لذلك يقول القرآن:« أَ فَلاـ تَعْقِلُونَ »أی لما ذا لاـ تنتفعون بعقولكم؟ إنّ الإنسان يبحث فی حياته عن هدی و يبحث عن الوصول إلی الحقيقه فاذا قرأ القرآن بعمق و تدبر فيه وصل إلی الحقيقه،فاذا وصل إلی الحقيقه عرف بأنّ القرآن من اللّه،لأنه أوصله إلی الحقيقه.

ص:۲۸۰

[سوره الأنبياء (۲۱): الآيات ۱۱ الى ۲۰]

اشاره

وَ كَمْ قَصَمْنا مِنْ قَرْيَهٍ كانَتْ ظالِمَهً وَ أَنْشَأْنا بَعْدَها قَوْماً آخَرِينَ (۱۱) فَلَمّا أَحَسُّوا بَأْسَنا إِذا هُمْ مِنْها يَرْكُضُونَ (۱۲) لا تَرْكُضُوا وَ ارْجِعُوا إِلى ما أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَ مَساكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ (۱۳) قالُوا يا وَيْلَنا إِنّا كُنّا ظالِمِينَ (۱۴) فَما زالَتْ تِلْكَ دَعْواهُمْ حَتّى جَعَلْناهُمْ حَصِيداً خامِدِينَ (۱۵) وَ ما خَلَقْنَا اَلسَّماءَ وَ اَلْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما لاعِبِينَ (۱۶) لَوْ أَرَدْنا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لاَتَّخَذْناهُ مِنْ لَدُنّا إِنْ كُنّا فاعِلِينَ (۱۷) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى اَلْباطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذا هُوَ زاهِقٌ وَ لَكُمُ اَلْوَيْلُ مِمّا تَصِفُونَ (۱۸) وَ لَهُ مَنْ فِي اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ مَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَ لا يَسْتَحْسِرُونَ (۱۹) يُسَبِّحُونَ اَللَّيْلَ وَ اَلنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ (۲۰)

اللغه

۱۱[قصمنا]:أهلكنا،و أصل القصم كسر الظهر الذى يكون مع الصوت.

۱۳[ما أترفتم فيه]:أى أسباب ترفكم من زخارف الدّنيا، و الترفه النعمه.

۱۵[حصيدا]:أى محصودا،قد شملهم العذاب حتى كأنّهم السنبل المحصود الذى يقطع فلا حياه له.

۱۸[زاهق]:زائل مضمحل،و الزاهق من الأضداد،یقال للهالک زاهق-و للسمین من الدواب زاهق- و زهقت نفسه تزهق زهوقا.

۱۹[لا یستحسرون]:الاستحسار-الانقطاع عن إعیاء، یقال:استحسر فلان عن عمله-یعنی انقطع عنه إعیاء.

۲۰[لا یفترون]:أی لا یأخذهم الفتور و الضعف عن العباده.

ص:۲۸۲

هدی من الآیات:

یتحدث القرآن هنا عن الجزاء الذی ینتظر الإنسان اللامسؤول الذی اتخذ الحیاه لهوا و لعبا،و حین یحل العذاب فلن یفلح کلّ من یحاول الهرب منه لأنّ حکومه اللّه لا یستطیع الفرار منها أحد،و یأتی النداء الی هؤلاء بأن عودوا الی تلک الأسباب التی دعتکم الی الذنب،فانظروا هل إنها تشفع لکم الیوم شیئا؟و هل تنفعکم الأموال التی کنزتموها و الأولاد الذین من أجلهم ترکتم عباده اللّه و..و..؟ إنّ هذا الیوم کان نتیجه اللاأبالیه و اللاجدّیه فی الحیاه،و کما یقول القرآن الحکیم:إنّ نظام الکون قائم علی الحقّ و لیس علی اللعب و اللهو.

إنّ الکون الذی تعیش فیه-أیها الإنسان-و تخضع لقوانینه و سننه،أنشأه اللّه بعلمه و قدرته للحقّ فکیف ترید بالرغم من ضعفک و ضآلتک،أن تخرج من دائره الحقّ الی دائره اللهو و اللعب؟!إنّ ذلک شیء محال!!

يؤكد القرآن الحكيم هذه الفكره مره أخرى فيخبرنا:كما إن السماء و الأرض خلقتا بحقّ و ليس بلعب،فكذلك المجتمعات،و لذلك فان السنن الحاكمه فيها هى سنن الحقّ،و هذه السنن يجب أن تحكم المجتمعات كما تحكم فى الأرض و السماوات و لكن بفارق واحد و هو:إنها تحكم فى السماوات و الأرض بصوره مباشره و فوريه و لكنها تحكم فى المجتمعات بصوره غير مباشره بعد إعطاء الفرصه، و تقديم الإنذار،و بعد محاوله هدايه و إصلاح،و هذه نعمه كبيره من اللّه،فلو كان الإنسان يحاسب على كلّ خطأ فورا و بدون إعطاء أىّ فرصه للتوبه،لتحولت حياته إلى جحيم.

و لكن إعطاء الفرصه شىء،و تطبيق الحقّ شىء آخر،فليس معنى إعطاء الفرصه إن اللّه سبحانه قد نسى الحقّ الذى فطر عليه السماوات و الأرض،و جعله محورا للخليقه جميعا،بل إن اللّه لا يزال ينصر الحقّ،و سوف يطبقه و يدمغ به الباطل.

إنّ أىّ شىء ينحرف عن سنه الحياه،سرعان ما ينتهى و يتلاشى.إذن يجب علينا أن نتمحور حول الحقّ كما يقرره القرآن الحكيم بأن الحقّ هو عباده اللّه و عدم إشراك أحد معه فى ألوهيته،فكما إنّ الملائكه و الأرواح و السماوات و الأرضين كلّها تعبد اللّه و تخضع له كذلك الإنسان.

و هناك فكره أخرى توحى بها هذه الآيات و هى:إن الإيمان الصادق هو الإيمان بأن محور الكون هو الحقّ،فالكون جدّ لا لعب و لا لهو فيه،و هذا الإيمان هو ضمان لاثاره إحساس الإنسان بالمسؤوليه فى حياته الدنيا،كما إنّ اللهو و اللعب هما عدوّا إحساس الإنسان بمسؤوليته.

بينات من الآيات:

جزاء الظلم:

[۱۱] وَ كَمْ قَصَمْنا مِنْ قَرْيَةٍ كانَتْ ظالِمَةً وَ أَنْشَأْنا بَعْدَها قَوْماً آخَرِينَ إنّ نعم اللّه التى تحوطنا قد توحى إلينا بفكره خاطئه و هى:بما إن اللّه أرحم الراحمين فهو لن يعذب أحدا.و لكى ننسف هذه الفكره،و نقتلع جذورها من أنفسنا لا بدّ لنا من قراءه التاريخ،و السير فى الأرض لنرى آثار الماضين كيف انتهوا و كيف جاءهم عذاب اللّه،فان اللّه سبحانه و تعالى قد قصم كثيرا من القرى و دمرها بظلمها لأنها رفضت أن تؤمن بالحقّ و تنصاع له،فالقضيه-إذا-جدّيه،و ما ينذرنا اللّه به قد وقع فعلا بالنسبه لمن سبقونا،لذلك ينبغى أن نخاف فلا نالوا جهدا عن مواجهه هذا المصير السىء.

و نلاحظ فى هذه الآيه لفته لطيفه فى التعبير القرآنى،حيث يقول:« وَ كَمْ قَصَمْنا مِنْ قَرْيَةٍ »،ثمّ يقول:« وَ أَنْشَأْنا بَعْدَها قَوْماً آخَرِينَ »،فلما ذا لا يقول القرآن و كم قصمنا من قوم و أنشأنا بعدهم قوما آخرين؟أو و كم قصمنا من قريه و أنشأنا بعدها قرى أخرى؟ و الجواب هو حينما يقصم اللّه سبحانه و تعالى قريه فانه لا يهلك أهلها فقط، و يترك العمارات و الشوارع و المصانع سالمه،و انما يدمر كلّ شىء فيها،مره واحده، و حينما ينشئ قوما آخرين فانه لا ينشئ معهم قراهم،و معابدهم و مصانعهم،بل يخلقهم،و بعد ذلك يقول لهم:اسعوا فى الأرض أى اصنعوا حضارتكم بأنفسكم، فهم المسؤولون عن بناء البيوت و الشوارع و تأسيس المصانع.

[۱۲] فَلَمّا أَحَسُّوا بَأْسَنا إِذا هُمْ مِنْها يَرْكُضُونَ

إنّ إرهاصات غضب اللّه عليهم كانت قائمه،و لكنهم تغافلوا عنها،و لو انهم تحسسوا بها و تابوا الى اللّه قبل نزول البأس و العذاب لقبلت توبتهم،مثلما قبلت توبه قوم يونس عليه السلام ،و لكنهم بقوا على حالتهم حتى أحسوا بأس اللّه و لمسوه لمسا،آنئذ قاموا يركضون،و ظنّوا أنّ الهرب ينفعهم.

[۱۳] لاٰ تَرْكُضُوا وَ ارْجِعُوا إِلىٰ مٰا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ إلى أين تركض أيها الظالم؟!لما ذا تخرج من قريتك التى عمرتها و الزينه التى جمعتها؟ارجع و ابق هناك حتى نهدم بيتك على رأسك،و عند ما نفجّر مصنعك نفجّره و أنت فيه،و عند ما ننسف بيتك ننسفه معك.

و لعلّ الآيه تشير الى إنّ الركض لا ينفع،كما إن كلمه«لعلّكم تسألون»فى ذيل الآيه ربما توحى بالسؤال الشائع من الأطلال و بقيه آثار الشعوب،و كأنهم بعد الدمار يتحولون الى عبره للأجيال القادمه حيث يقفون على ديارهم و يسألونهم:

أين حضارتكم التى أترفتم فيها،أين مساكنكم التى اطمأننتم إليها؟!كما

جاء فى رائعه منسوبه الى الامام علىّ عليه السلام :

ناداهم سائل من بعد دفنهم أين الأسره و التيجان و الحلل

أين الوجوه التى كانت منعمه من دونها تضرب الأستار و الكلل

فأفصح القبر عنهم حين سائلهم تلك الوجوه عليها الدود ينتقل

و السؤال هو:من يناديهم بهذا النداء؟و الجواب:إنّه واقع حالهم-كما يبدو لى-،و كأن كلّ من اطّلع على وضعهم ناداهم بهذا النداء.

و يظهر أنّ الآيه توحى أيضا بفكره هامه هى:

إنّ أىّ بشر يظلم نفسه أو يظلم الآخرين اغترارا بعامل مادى،فان العذاب

سوف يأتيه انطلاقا من ذلک العامل نفسه.فمثلا-قوم فرعون کانوا معجبين بالمياه المتدفقه عبر النيل،حتی إنهم کانوا يعبدون الماء،و کانوا يختارون فی أول الربيع أجمل فتاه عندهم فيلقونها فی نهر النيل قربانا لهذا الإله،و کان فرعون يقول:« وَ هٰذِهِ الْأَنْهٰارُ تَجْرِی مِنْ تَحْتِی »،فانتقم اللّه منهم انطلاقا من ذلک الماء نفسه حيث أغرقهم فيه.

و قوم عاد کانوا يفتخرون بالبيوت الصخريه و کانوا ينحتون من الجبال بيوتا و يتصورون إنّ تلک البيوت سوف تخلدهم و تمنع عنهم البأس،فبعث اللّه سبحانه و تعالی إليهم برياح کانت تحطم هذه الصخور و تهدمها عليهم،و هکذا غيرهم.

فيکون معنی وَ ارْجِعُوا إِلیٰ مٰا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ ارجعوا الی تلک النعم التی بسببها انحرفتم و ضللتم لکی تروها و هی تتحول عليکم نقمه.

وَ مَسٰاکِنِکُمْ لَعَلَّکُمْ تُسْئَلُونَ قبل أن ينحرف الإنسان،و يظلم الآخرين من أجل الحصول علی متاع الدنيا و حطامها،عليه أن يسأل نفسه أولا:هل إنّ هذه الأشياء ستنفعه يوم الجزاء،و هل سترفع عنه العذاب عند ما يقع؟!و بعد أن يفکر فی الأمر جيدا،عليه أن يفعل ما يشاء و يتحمل المسؤوليه فی کلّ أعماله و تصرفاته.

[۱۴] قٰالُوا يٰا وَيْلَنٰا إِنّٰا کُنّٰا ظٰالِمِينَ [۱۵]لقد اعترفوا بخطئهم و ظلمهم و لکن الاعتراف جاء متأخرا!حيث استمروا ينادون علی أنفسهم بالويل حتی لحظه النهايه.

فَمٰا زٰالَتْ تِلْکَ دَعْوٰاهُمْ حَتّٰی جَعَلْنٰاهُمْ حَصِيداً خٰامِدِينَ

لقـد حصـدهم العـذاب حصـدا كما تحصد المكائن الزراعيه الضـخمه السـنابل، فلم تقم هناك لأحد منهم قائمه،ثم خمدوا كما تخمد الجمره فلا حراره و لا حركه.

هدفيه الخلق:

[۱۶]لما ذا يا إلهى فعلت هذا؟!أليس هؤلاء عبادك؟!أو لست أرحم الراحمين؟!بلى ربنا أرحم الراحمين و لكنه خلق السماوات و الأرض بالحقّ،و هؤلاء تجاوزوا قيم الحقّ.

وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ إنّ هؤلاء اتخذوا الحياه لعبا فكان هذا مصيرهم.

[۱۷] لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لاَتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ إن كانت الخليقه بلا هدف،فان اللّه كان ينتزع منها الهدفيه،و يتخذها لهوا، أى يجعلهـا بلاـ غايـات مرسومه،و لا سـنن دائمه،و لا قوانين دقيقه تفرض على أصـغر جزيئه فى الـذره بنفس الصـرامه التى تفرض على أعظم مجرده فى الفضاء.

و حيث نرى كلّ شـىء يسعى نحو هدفه،أو بتعبير أفضل يسير الى غايته،فهل من المعقول أن يكون خلق الإنسان عبثا،و بلا هدف أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ ؟ كلاّ..أنت بـدورك تخضع لقانون الهـدف،و بالتالى لمعادله المسؤوليه و الجزاء.

و فى معنى الآيه أقوال شتى إلاّ إن هذا المعنى العام يمكن أن يستوحى من كلّ تلك الأقوال.

[۱۸] بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْباطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذا هُوَ زاهِقٌ وَ لَكُمُ الْوَيْلُ مِمّا تَصِفُونَ و هذه هی سنه اللّه الثابته فی الكون علی مرّ العصور و الدهور،و علی الإنسان أن يبنی حياته علی أساس،إذا أراد أن يفوز و يحقق أهدافه و يتجنب مصارع الردی و ينجو من العذاب المحتوم.

و كلمات الآيه صاعقه شديده الوقع نافذه الی عمق الضمير،فالحقّ يقذف (يرمی بقوه و ربما من مكان بعيد و قد يتأخر قليلا ليقطع المسافه و لكنّه يصل حتما)، ثمّ إنّه يهدف أمّ الرأس حيث الدماغ،و يتلاشی الباطل و يضمحل فلا يبقی منه شیء أبدا.

و الآيه تبصرنا بواقع الخليقه و الأنظمه السائده عليها،و توحی إلينا بضروره تزكيه أنفسنا من خلال معرفه تلك الأنظمه،فقانون الجاذبيه الذی يسقط به الحجر من عل، ليس بأقوی من قانون سقوط الظالم من كرسی الحكم! [۱۹] وَ لَهُ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَ لا يَسْتَحْسِرُونَ هذا الحقّ يجب أن يتجسد فی واقع السلوك البشری،كما تجسد فی واقع سلوك الملائكه و سلوك عباد اللّه الصالحين،الذين لا يستكبرون عن عبادته و يفعلون ما يؤمرون.

[۲۰] يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لا يَفْتُرُونَ الحياه يجب أن تكون جدّيه،و يجب أن يسبّح الإنسان ربّه دونما تعب أو استكبار.

[سوره الأنبياء (۲۱): الآيات ۲۱ الى ۲۹]

اشاره

أَم اِتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ اَلْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (۲۱) لَوْ كٰانَ فِيهِمٰا آلِهَةٌ إِلاَّ اَللّٰهُ لَفَسَدَتٰا فَسُبْحٰانَ اَللّٰهِ رَبِّ اَلْعَرْشِ عَمّٰا يَصِفُونَ (۲۲) لاٰ يُسْئَلُ عَمّٰا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ (۲۳) أَم اِتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هٰاتُوا بُرْهٰانَكُمْ هٰذٰا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَ ذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ اَلْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (۲۴) وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاّٰ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ أَنَا فَاعْبُدُونِ (۲۵) وَ قٰالُوا اِتَّخَذَ اَلرَّحْمٰنُ وَلَداً سُبْحٰانَهُ بَلْ عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ (۲۶) لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (۲۷) يَعْلَمُ مٰا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مٰا خَلْفَهُمْ وَ لاٰ يَشْفَعُونَ إِلاّٰ لِمَنِ اِرْتَضىٰ وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (۲۸) وَ مَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذٰلِكَ نَجْزِي اَلظّٰالِمِينَ (۲۹)

اللغه

۲۱ هُمْ يُنْشِرُونَ :أی يقدرون علی نشر الأموات و احيائهم؟

ص:۲۹۰

لا للتبرير..نعم لتحمّل المسؤوليه

هدى من الآيات:

ما أبهض ثقل المسؤوليه على قلب البشر،يكاد فؤاده يتصدع حين يعلم إنّه لمسؤول،أمام خالق السماوات و الأرض لا يخفى عليه شيء في السماء و الأرض.

و كذلك تراه يبحث عما يخفف عنه هذا الثقل الباهظ،و ينجّيه-بزعمه-من سؤال بارئه.

و يفند السياق القرآني-في إطار تحسيسه بواقع المسؤوليه-هذا الزعم،و يقول:

هل الآلهه تنشر الموتى؟أو لا يعلمون أن لو كان في السماوات و الأرض آلهه إلّا اللّه لفسدتا و تفطرتا؟تقدس رب العرش عما يصف المشركون،إنّه فوق التأثر بخلقه، فهم يسألون عن أفعالهم،و هو لا يسأل عما يفعل.ثم يطالبهم بالبرهان،و يؤكد إنّ كلّ الرسالات الالهيه تتفق على كلمه التوحيد،و ان شرك هؤلاء نابع من إعراضهم عن الحقّ.

و ربما زعموا إنّ الملائكه الأشـداء هم أولاد اللّه،أو لا يعلمون إنهم عباد مكرمون (مقربون الى اللّه و هذا سـرّ قدرتهم)،و انهم لا يظهرون رأيهم بـل يطيعون أمر ربهم، و ان اللّه تعـالى محيـط بهم علما،و انهم لا يشـفعون إلاّ باذنه،و انهم يخشون ربهم؟ فكيف يعارضونه؟و انهم مجزيون على أعمالهم،فلو قال أحدهم إفكا إنّه إله من دون اللّه يجزيه ربّه جهنم كما يجزى سائر الظالمين.

بينات من الآيات:

اشاره

[۲۱]من العوامـل التی تبعـد الإنسـان عن إحسـاسه بـالمسؤوليه و تعطيه مبررا لتنصـله عنهـا فی الحياه هو الاعتقاد بإله غير اللّه،أنی كانت صوره ذلك الإله،و أنی كان اسمه.

بل إن تعلق الإنسان بأىّ شـیء تعلقا ذاتيا بعيدا عن اللّه،يدعوه الى أن يتقرب الى ذلك الشـیء و يجعله واسـطه بينه و بين اللّه فی زعمه،لا لشیء إلاّ لكی يتخلص من ثقل المسؤوليه،ذلك لأنه من الصعب جدا على الإنسان الاحساس بأنه مسئول أمام قوه قاهره عليمه حكيمه محيطه به،تجازيه على كلّ صـغيره و كبيره تبدر منه، لذلك فهو يحاول-جهده-أن يتهرب من هذه المسؤوليه،و لو لا إحساس المؤمنين برحمه اللّه لما استطاع أىّ منهم أن يتحمل ضغط المسؤوليه على قلبه.

و القرآن الحكيم يؤكـد-المره تلو الأـخرى-على عـدم وجود أىّ شـیء أو شـخص يمكنه أن يقف أمام قـدره اللّه،و ذلك لكی يواجه الإنسـان ربه عاريـا عن كـلّ التبريرات و الحجـج الواهيه،و بالتالی يصـبح جـديا فی حياته،و يترك اللهو و اللعب، و من ثمّ يتحمـل هـذا الحمـل العظيم و هو أمـانه المسؤوليه التی أبت السـماوات و الأـرض و الجبال أن يحملنها،و حملها الإنسان،إنه كان ظلوما جهولا.

ص:۲۹۲

و تؤكـد هـذه الآيه إن الإله الحقيقى هو الـذى يسـتطيع أن يحيى الأموات،فهل هـذه الآلهه المزعومه تسـتطيع ذلك؟أم هل يقدر أحـد أن يـدعى ذلك؟كلا بل تراهم يعترفون فى لحظات الحاجه،عن مـدى ضـعفهم و اسـتكانتهم،حتى إن نمرود الـذى ادعى-مره-إنه يحيى و يميت،انهار عند ما رأى النيران الملتهبه-التى عمل جلاوزته المستحيل من أجل تأجيجها و تهيئتها لحرق شخص واحـد-قـد خمـدت و تحولت الى برد و سـلام على إبراهيم،فقال:من أراد أن يتخـذ إلها فليتخـذ مثل إله إبراهيم،و كـذلك بهت حينما حاجّ إبراهيم فى ربّه،و ذلك عند ما قال له:إنّ اللّه يأتى بالشمس من المشرق فأت به من المغرب.

كلّ شـيء فى السـماء و الأرض من أصـغر شيء الى أكبر شيء،دليل على وحده الربوبيه فى الوجود،حيث إن الانسجام و التناغم الـدقيق الـذى نراه فيما بين الأنظمه المختلفه التى تحكم الكون دليل وجود مدبر له،فالنظام الذى يدير أضـخم المجرات هو نفس النظام الذى يدير الذره الصغيره المتواضعه.

يقول الامـام علىّ عليه السـلام :«مـا دلّتـك الـدلاله إلاّ على إنّ فـاطر النمله هو فاطر النخله »،بلى لأن النظام الـذى يحكم الـدوره الحياتيه فى جسد النمله هو نفس النظام الذى يحكم انتقال الماء و الهواء و الأملاح فى هيكل النخله.

أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ و هكذا تبيّن هذه الآيه فكره وحدانيه اللّه سبحانه و تعالى،فى حياتنا العمليه و قد سبق أن قلنا:إنّ توحيد اللّه سبحانه و تعالى،توحيدا حقيقيا هو أحد أبرز العوامل التى تساعد الإنسان على تحمّل المسؤوليه فى الحياه،و هو ما تسعى الى ترسيخه سوره الأنبياء،كما إن الاعتقاد بآلهه من دون اللّه هو أحد أبرز التبريرات التى تحول دون

تحمّل المسؤوليه.

[۲۲] لَوْ كٰانَ فِيهِمٰا آلِهَةٌ إِلاَّ اللّٰهُ لَفَسَدَتٰا لو كـان فى السـماوات و الأـرض آلهه غير اللّه سـبحانه و تعـالى،إذا لاضـطرب النظـام فيهما،لأنّ تعدد السلطه يسبب فساد المملكه و اختلال أمورها،

جاء فى حـديث نجـده فى كتاب التوحيـد باسـناده إلى هشام بن الحكم فى حـديث الزنديق الذى أتى أبا عبد اللّه عليه السـلام و كان من قول أبى عبـد اللّه له:«لا يخلو قولك:إنّما اثنان من أن يكونا قـديمين قويين أو يكونا ضـعيفين أو يكون أحـدهما قويا و الآخر ضـعيفا، فإن كانا قويين فلم لا يدفع واحد منهما صاحبه و ينفرد بالتدبير،و إن زعمت إن أحدهما قوى و الآخر ضعيف ثبت إنّه واحـد كما نقول،للعجز الظاهر فى الثانى، و إن قلت:إنّهما اثنان لا يخلو من أن يكونا متفقين من كلّ جهه أو متفرقين من كلّ جهه،فلما رأينا الخلق منتظما،و الفلك جاريا،و اختلاف الليل و النهار و الشـمس و القمر دلّ صـحه الأمر و التدبير و ائتلاف الأمر إنّ المـدبر واحـد،ثـمّ يلزمـك إن ادّعيـت إثنين فلاـ بـدّ من فرجه بينهـما حـتى يكونـا إثنين،فصـارت الفرجه ثالثـا بينهمـا قـديما معهما،فليزمك ثلاثه،فان ادّعيت ثلاثه لزمك ما قلنا فى الاثنين حتى يكون بينهما فرجتان فيكون خمسا،ثمّ يتناهى فى العـدد الى مـا لاـ نهايه فى الكثره.» (۱)هـذا من النـاحيه العقليه،أمـا من الناحيه النفسـيه فان فكره تعـدد الآلهه جاءت لتعكس حاله التبرير و الصـراع عنـد البشـر،ذلك إن الأساطير التى تتحـدث عن تعدد الآلهه و إن كانت خرافه و بعيده عن الحقّ و الحقيقه إلاّ إنّها تمثل انعكاسا لنفسيه واضعيها و المعتقدين بها،لذلك فباستطاعتنا أن نكتشف من خلالها طبيعه البشر عبر

۱- ۱) نور الثقلين/ج ۳-ص ۴۱۷-۴۱۸.

الأزمنه المختلفه،و نصل الی قناعه بأنّه و إن تغیرت صوره الإنسان و أشکال حیاته فان طبیعته لم و لن تتغیر.

و الأساطیر دائما تقصّ علینا قصص الآلهه المزعومه و هی تقاتل بعضها أو لا أقل تتنافس مع بعضها فی السلطه و تقرّ بأن کلّ إله له تفکیر و إراده یختلف تماما عن شرکائه الآخرین.

مثلا- یزعم المجوس وجود إلهین کبیرین هما:(أهور مردا)إله الخیر و(أهریمن) إله الشر،(أهریمن)هذا خلق الشر،فخلق(أهور مردا)الخیر مضادا له،و الصراع قائما بینهما.و فی بعض المذاهب المسیحیه المنحرفه نری هذه الأسطوره أیضا،و هی إنّ الأب یرید أن یعذب الناس،فیأتی الابن و یشفع لهم رغما عن أبیه! و فی الأساطیر الیونانیه القدیمه کثیرا ما نقرأ عن معارک طاحنه تجری بین الآلهه فی السماء.و من هنا نعرف إنّ فکره تعدد الآلهه نابغه من حاله الفرار عن المسؤولیه و البحث عن ملجأ موهوم یخلص الفرد من ثقل الجزاء،و إن الزعم بتعدد الآلهه یعکس حاله الصراع الداخلی بین الشهوات و العقل و یأتی لتبریر الشهوات التی تأمر بها النفس الأماره أمام العقل الناهی عنها أو النفس اللوامه.

إنّ کلّ ذلک دلیل علی إنّه إذا کان الآلهه متسالمین مع بعضهم البعض إذا لم تکن هذه الحاجه المزعومه الی الآلهه المتعدده،لان احتیاج الإنسان المزعوم للاعتقاد بتعدد الآلهه ینعدم آنئذ.

لذلک نری القرآن الحکیم یبیّن بأن فکره تعدد الآلهه المنعکسه عن تناقض الذات،و التی تعتقد بأن فی السماوات و الأرضین آلهه متصارعه إنّما هی فکره خاطئه لأن وجود سلطات متصارعه فی الکون یؤدی لفساده و اختلال نظام

الموجودات.

فَسُبْحانَ اللّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمّا يَصِفُونَ رب العرش رمز لإله السماوات و الأرض و كلّ شيء،و العرش يعني القدره و الهيمنه،و ليس هو مكان يجلس عليه ربنا سبحانه و تعالى،و لعلّ هذه الخاتمه البليغه توحي بأن عدم معرفه اللّه هو السبب لتصور شريك له،إذ أن الزعم بوجود شريك للرب دليل على جهل صاحبه بأن اللّه سبحانه هو الملك الجبار الذى لا يغلب سلطانه،و لا يمكن الفرار من حكومته.

[۲۳]و دليل قدره اللّه المطلقه و سلطانه الشامل العظيم إنّه فوق السؤال،و إنّه لا أحد يخرج عن إطار المسؤوليه أمامه:

لا يُسْئَلُ عَمّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ [۲۴] أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ كما إننا نأتى بالبرهان و الدليل على ألوهيه اللّه،فعليكم أيها المشركون أن تأتوا ببرهان و دليل على ألوهيه آلهتكم.و إنّ هذه الآيه توحى بفكره هامه و هى:إن الذين يدعون وجود إله غير اللّه سبحانه و تعالى،إنّما يزعمون ذلك انطلاقا من أهواء نفسيه يبررون بها عدم التزامهم بمسؤولياتهم أمام اللّه،فاذا طالبتهم ببرهان عقلى أو حجه منطقيه فسيعجزون عن ذلك و تتبخر دعاويهم،حيث لا تصمد ظلمات أنفسهم أمام وهج الحقيقه.

هذا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَ ذِكْرُ مَنْ قَبْلِي

هذه ليست فكره جديده موضوعه فى رساله السماء،فكلّ الرسالات الالهيه تؤكد على وحدانيه اللّه.

و من عوامل الضـلاله النفسـيه،إحساس الإنسان بضروره التوافق الاجتماعى، و القرآن الحكيم يذكرنا هنا-و فى آيات عديده-بأنّ كثره الضالين ليست دليل صدقهم،بل الحقّ المدعم بالبرهان العلمى هو المقياس..

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ [٢۵]و إذا كان الناس فى بلد(مثل مكه يوم نزلت فيها هذه الآيات) يشـركون باللّه،فان هؤلاء هم خط الضلاله،و فى مقابلهم صراط الهدى أقدر و أعمق جذورا.

وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاّٰ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ أَنَا فَاعْبُدُونِ إن رسالات اللّه لا تختلف فى فكره التوحيد،و ما نراه فى بعض الديانات من تعدد الآلهه إنّما هو نتيجه التشويه،و التحريف الذى طرأ عليها،و إلاّ فان اليهوديه الحقيقيه و المسـيحيه الأصليه و كلّ ما سـبقها من الـديانات إنّما هى كالإسـلام تـدعو الى توحيد اللّه،و عدم عباده غيره بأىّ حال من الأحوال،و بأيّه صوره من الصور، و سواء بشكل مباشر أو غير مباشر.

شفاعه الرسل:

[٢۶] وَ قٰالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَداً سُبْحٰانَهُ بَلْ عِبٰادٌ مُكْرَمُونَ هناك أناس طيبون صالحون،و لكن هؤلاء ليسوا أولادا للّه،إنّما هم عباد اللّه، و إن صفتهم الوحيده هى صفه الكرامه من اللّه،فلا تتصور-أيها الإنسان!-أن

یأتی أحد من هؤلاء یوم القیامه لینقذک من عذاب اللّه إذا کنت أسخطته فی حیاتک.

[۲۷] لا یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ عباد اللّه لا یقولون الکلام الذی لا یقوله اللّه،فهم امتداد لرساله اللّه و سلطته لذلک فإنهم لا یشکلون تناقضا مع ألوهیه اللّه و سلطته المطلقه.

[۲۸] یَعْلَمُ ما بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ وَ لا یَشْفَعُونَ إِلاّ لِمَنِ ارْتَضی فی بعض الحکومات الفاسده،تفرض السلطه قانونا ما،و لکن أیّ متلاعب یستطیع خرق هذا القانون بأن یضع مبلغا من المال فی ید أحد المسؤولین،فیساعده علی مخالفه هذا القانون و الالتفات حوله.

و لکنّ الإنسان لا یستطیع أن یفعل مثل ذلک أمام اللّه و سننه،فملائکه اللّه و عباده المکرمون لا یأخذون الرشوه،و لا یحاولون أن یفعلوا أیّ شیء خارج نطاق مشیئه اللّه سبحانه.

وَ هُمْ مِنْ خَشْیَتِهِ مُشْفِقُونَ الرسل و الملائکه هم بدورهم یخافون اللّه،و یعرفون إنه محیط بهم فکیف یشفعون لأحد و یدخلونه الجنّه من دون أمر اللّه و علمه؟!

جاء حدیث مأثور عن النبی صلی الله علیه و آله فی ذکر ما رأی فی المعراج و فیه قال صلی الله علیه و آله :

«ثمّ أمرنا بملائکه من ملائکه اللّه عزّ و جل خلقهم اللّه کیف شاء،و وضع وجوههم کیف شاء،لیس شیء من أطباق أجسادهم إلاّ و هو یسبح اللّه و یحمده

ص:۲۹۸

من کلّ ناحیه بأصوات مختلفه،أصواتهم مرتفعه بالتحمید و البکاء من خشیه اللّه، فسألت جبرئیل عنهم فقال:کما تری خلقوا،إن الملک منهم الی جنب صاحبه، ما کلمه قط،و لا رفعوا رؤوسهم الی ما فوقها،و لا خفضوها الی ما تحتها،خوفا و خشوعا،فسلمت علیهم فردوا علیّ إیماء برؤوسهم و لا ینظرون إلیّ من الخشوع، فقال لهم جبرئیل:هذا محمد نبیّ الرحمه أرسله اللّه الی العباد رسولا و نبیا،و هو خاتم النبیین و سیدهم أ فلا تکلموه؟قال:فلما سمعوا ذلک من جبرئیل أقبلوا علیّ بالسلام و أکرمونی و بشرونی بالخیر لیّ و لأمتی » (1)إذا لتسقط کلّ التبریرات السخیفه التی یحاول بها الإنسان تبریر تنصله من مسئولیات أفعاله فی الدنیا،و لیبقی عاریا أمام أعماله،و آنئذ فقط یصلح عمله و تزکو نفسه.

[۲۹]إن أولئک الذین لهم میزه فی الحیاه من عباد اللّه الصالحین،إنّما هم مکرمون بعبادتهم للّه و خضوعهم لحاکمیته المطلقه،و لو قال أحد منهم بأنّی إله من دون اللّه للقی مصیر الظالمین.

وَ مَنْ یَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّی إِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذٰلِکَ نَجْزِیهِ جَهَنَّمَ کَذٰلِکَ نَجْزِی الظّٰالِمِینَ فلا یمکن إذن أن نتوسل بآلهه أخری لتنقذنا من عذاب اللّه،و هکذا یهدم القرآن فکره الأصنام التی یتشبث بها الإنسان لکی یبعد نفسه عن المسؤولیه و من ثمّ الجزاء.

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۳-ص ۴۱۷.

[سوره الأنبياء (۲۱): الآيات ۳۰ الى ۳۶]

اشاره

أَ وَ لَمْ يَرَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ كٰانَتٰا رَتْقاً فَفَتَقْنٰاهُمٰا وَ جَعَلْنٰا مِنَ اَلْمٰاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَ فَلاٰ يُؤْمِنُونَ (۳۰) وَ جَعَلْنٰا فِي اَلْأَرْضِ رَوٰاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَ جَعَلْنٰا فِيهٰا فِجٰاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (۳۱) وَ جَعَلْنَا اَلسَّمٰاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَ هُمْ عَنْ آيٰاتِهٰا مُعْرِضُونَ (۳۲) وَ هُوَ اَلَّذِي خَلَقَ اَللَّيْلَ وَ اَلنَّهٰارَ وَ اَلشَّمْسَ وَ اَلْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (۳۳) وَ مٰا جَعَلْنٰا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ اَلْخُلْدَ أَ فَإِنْ مِتَّ فَهُمُ اَلْخٰالِدُونَ (۳۴) كُلُّ نَفْسٍ ذٰائِقَةُ اَلْمَوْتِ وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ اَلْخَيْرِ فِتْنَةً وَ إِلَيْنٰا تُرْجَعُونَ (۳۵) وَ إِذٰا رَآكَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاّٰ هُزُواً أَ هٰذَا اَلَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَ هُمْ بِذِكْرِ اَلرَّحْمٰنِ هُمْ كٰافِرُونَ (۳۶)

اللغه

۳۱[فجاجا]:الفجاج جمع فج،و هو الطريق الواسع بين جبلين

ص:۳۰۰

۳۶[یذکر آلهتکم]:أی یقول إنّها لا تنفع و لا تضر.

ص:۳۰۱

کل شیء یقول:الحیاه جدّ لا لعب

هدی من الآیات:

توحی آیات هذا الدرس،بأن الحیاه کلها مبنیه علی أساس الحقّ،و بحکمه بالغه،و لغایه محدوده،و نظره واحده من الإنسان لما حوله من المخلوقات کافیه لإقناعه بأن لکلّ شیء هدفا لا یشذ عن ذلک مخلوق أبدا،و ان کلّ شیء بقدر و حساب،فالجبال الراسیات لها هدف،و کذلک سقف السماء،و لو تمعنّا قلیلا لوجدنا الشمس و القمر یسبحان فی فلک معلوم و یسیران نحو هدف محدد و بصوره منتظمه.

و علی الإنسان أن یبحث عن فلکه(و هو الحقّ)و أن یسیر ضمنه لا یحید عنه،و لا یتأتی ذلک إلاّ حین یعود البشر الی فطرته،و یتفکر فیما حوله،لیری:إنّ وراء هذا الخلق تقدیرا و تدبیرا دقیقین،و هذا التفکیر یقودنا الی الحقّ الذی یجب أن نتمحور حوله، و بالمسؤولیه التی تنعکس من خلاله علی أنفسنا،إذ ما دام هناک حقّ فأنت

ص:۳۰۲

مسئول أمامه،و لا بدّ أن تسير فی حیاتک باتجاهه.

و یبین لنا القرآن فی هـذه الآیات بأن بدایه الإنسان تمت بحقّ،و نهایته کذلک حقّ،فهل یسـتطیع أن یهرب من الموت أحد؟و ما دامت البـدایه و النهایه لیسـتا بیـد الإنسان،فاسـتمرارها کـذلک لیس بیده.إذن فلا بدّ أن یتکیف مع الحقّ،و ذلک عبر الجدّیه فی تحمّل المسؤولیه.

بینات من الآیات:

اشاره

[۳۰] أَ وَ لَمْ یَرَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ کٰانَتٰا رَتْقاً فَفَتَقْنٰاهُمٰا أی کانتا متصلتین ففصلهما اللّه عن بعضهما،کیف کانت السماوات و الأرض متصله ففصلت،(رتقا ثم فتقا)؟ و الجواب:

أولا:لقد کانت الماده الأولی التی خلقها اللّه سبحانه،و کان علیها عرش قدرته و سلطانه،ذات کتله شدیده الترکیز،فأحدث الربّ فیهـا انفجـارا هائلا،لا یزال صـداه منتشـرا فی أطراف الفضاء برغم مرور(۱۵)ملیار سـنه علیه.کما تقول نظریات العلم الحـدیث،و تضـیف:إنّ الکون لاـ یزال فی اتسـاع،و لاـ تزال أجهزه التلسـکوب التی تغور بنا فی عمق الفضاء الرحیب،تکشف لنا عن مجرات ناشئه أو هی فی طور الخلق.

و إنّ نظره علمیه الی هذه الحقائق کفیله بأن تبلور فی نفوسنا فطره الإیمان.

ثانیا:و آیه واضحه من تجلیات هذه الحقیقه،نراها فی ظاهره الأمطار،کیف

كانت السماء رتقا لا تمطر و كيف كانت الأرض رتقا لا تنبت ففتقهما الرب. (۱)

و هكذا يخرج اللّه الخبء فى السماوات و الأرض،و يفتق ما رتق من الأشياء باستخراج كنوزها،و استظهار مكنونها،سبحانه.

إذن فالحياه ليست لعبا و لا لهوا كما يزعمون،بل لكلّ شيء هدف،و على الإنسان أن يشخص هدفه و يسعى نحوه.

وَ جَعَلْنٰا مِنَ الْمٰاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَ فَلاٰ يُؤْمِنُونَ لقد تمّ خلق الكون بالفتق بعد الرتق،و الفصل بعد الوصل،أما وجود الحياه فوق الأرض فتمّ عن طريق الماء،و هذه هى الأخرى من أحدث النظريات العلميه، و الماء يشكل(۷۰٪)من وجود الإنسان،و بالذات من وجود المخ الذى تتجلى فيه الحياه بأبرز صورها.

[۳۱] وَ جَعَلْنٰا فِي الْأَرْضِ رَوٰاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ تقوم الجبال بدور الرواسى و هى الثقل الذى يثبت الأرض كما تثبت المرساه السفينه.

إنّ الجبال أشبه ما تكون بدرع واقيه،تلف حول الأرض و من أعماقها لتحافظ على توازنها:

أولا:فى مواجهه الرياح و العواصف التى تتعرض لها الأرض.

ثانيا:بمقاومه الزلازل العاتيه التى يتعرض لها كوكبنا بسبب ضغط الغازات

ص:۳۰۴

۱- ۱) انظر نور الثقلين/ج ۳-ص ۴۲۴-۴۲۶.

التی فی جوفها.

ثالثا:لتخفیف أثر جاذبیه القمر علی الیابسه کما تؤثر علی میاه البحر.

أ رأیت کیف وضع اللّه هـذه الجبـال فی مواقعهـا،و کیف ربطهـا ببعضـها فی دقه و متـانه،و کیف ألزمها مواضـعها؟فهل لک أن تختار لنفسک اللعب و اللهو..و تزعم أن لا هـدف وراء حیاتک؟ وَ جَعَلْنٰا فِیهٰا فِجٰاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ یَهْتَدُونَ و بین هذه الجبال طرق یتحرک الناس عبرها من مکان لمکان،و یتفاعل أهل کلّ طرف مع الآخرین،و لهذه الطرق فائدتان:

الأولی:الاهتداء من خلالها الی الأهداف و الأماکن التی ینشدها الإنسان.

الثانیه:السـیر عبرها و الاهتـداء بها الی معرفه اللّه عن طریق التفکر فی الجبال التی تحفها.و کلمه« لَعَلَّهُمْ یَهْتَدُونَ »تحتمل المعنیین معا.

[۳۲] وَ جَعَلْنَا السَّمٰاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً حینما ننظر الی السماء سواء نظره بدائیه کما کان ینظر إلیها آباؤنا قبل ألف عام،أو نظره علمیه کمـا یراها العالم الفلکی الیوم،فاننا نری الأجرام الکثیره تسـبح فیها صـغیره و کبیره،و بعضـها ذو خطر علینا فمن الـذی حفظنا من هـذه الأخطار؟! إن البـدوی فی الصـحراء عنـد ما یری النیران فی السـماء لیلا یسـمیها شـهبا،أما عالم الفلک فیعرف بأنها قـذائف ضخمه،لو لا الغلاف الواقی حول الأرض لدمرت الأرض تدمیرا،فمن الذی جعل السماء سقفا محفوظا غیر اللّه؟!

ففی کلّ یوم یتوجه عشرون ملیون جرم الی الأرض بسرعه خاطفه،تبلغ حوالی ۵۰ کیلومترا فی الثانیه،و لو لا السقف المحفوظ الذی یحیط بالأرض لکانت الصخره الصغیره منها و التی تبلغ حجمها واحد من ألف جزء من الغرام،ذات أثر هدام بسبب سرعتها الفائقه التی تبلغ سرعه نواه القنبله الذریه،کیف و ان بعضها یبلغ قطرها عشرات الکیلومترات؟! و لقد حفظ اللّه-برحمته-الکره الأرضیه منها بالغلاف الواقی المکوّن من الغازات التی تذوّب أو تبخّر ما یصل إلیها من هذه الأجرام الخطیره.

کما تتعرض الأرض لأمواج هائله من الأشعه المضرّه،سواء منها تلک التی تبعثها الشمس أو تقذفها النجوم الأخری،فیقوم الغلاف الواقی بدور المصفاه حیث تأذن لما ینفع منها الأرض بالمرور من خلالها و تمنع القسم الخطیر منها..و لو انخرق هذا الغلاف،بقدر کیلومتر واحد،لکانت آثار الأشعه الکونیه علی الأرض مدمره.

أو لیس الحکمه الالهیه مشهوده من وراء هذا السقف المحفوظ؟أو کان خلق السماوات و الأرض لعبا؟!سبحان اللّه عما یصفون.

إنّ الغلاف الواقی یقوم أیضا بحفظ حراره الأرض علی مقیاس معین ینفع الناس و الأحیاء،و لولاه،لکانت أمواج الحراره تحرق الرطب و الیابس.کما إنّه یقوم أیضا بادخار کمیات من المیاه المتبخره لنقلها من المحیطات الکبیره الی الصحاری..أو لیس کلّ ذلک شاهد صدق،علی إنّ اللّه لم یخلق الحیاه عبثا؟ سبحانه. (۱)

وَ هُمْ عَنْ آیاتِها مُعْرِضُونَ

ص:۳۰۶

۱- ۱) راجع تفسیر«نمونه»/ج ۱۳-ص ۴۰۰-۴۰۲.

فبالرغم من كلّ هـذه الآيات التى بثّها اللّه فى السـماء،فان الناس يعرضون عنها،لا لأنهم لم يزودوا بالبصـيره الكافيه لوعيها،و لكن لأنهم يعرضون عنها تعمدا.

[۳۳] وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ اللَّیْلَ وَ النَّهٰارَ و هذه الآيه تشـير الى الزمن،و لقد وصل العلماء الى صـنع ساعه تقيس الزمن بدقه فائقه تصل الى واحـد من ألفى جزء من الثانيه،و مقياس الليل و النهار الزمنى لا يتغير و لا بمقـدار جزء من هذه الألفين أو أقل،و ليس ذلك إلّا دليلا على إنّ خلق الكون لم يكن عبثا،و هكـذا يجب أن تكون حياتنا قائمه على أساس الـدقه و الجـديه،و تكييف النفس مع حقائق الحياه.

إنّ جوهر الحقّ و المسؤوليه فى الحياه هو البحث عن الهدف،و السعى الحثيث نحوه.

وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ هما يسـبحان و يتحركان و البشـر أيضا يتحرك،و لكن لا بـدّ أن تكون حركته ضـمن إطار و خطه من أجل الوصول الى شيء،لأن الحركه من دون هدف لعب و لهو.

سنه الموت:

و تتجلى جدّيه الحياه،و انها ليست لعبا و لهوا،فى أمرين:الموت،و الابتلاء.

و لقد جعل اللّه الموت حتما على البشر:

[۳۴] وَ مٰا جَعَلْنٰا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِکَ الْخُلْدَ أَ فَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخٰالِدُونَ

ص:۳۰۷

فكـلّ النـاس ميتون،و لعـلّ الأـدب القرآنى السـامى يـذكر هنـا ضـمير المخاطب ليجعلنا جميعا فى جو رهيب بحيث نشـعر بمراره النهايه لكى لا نلعب و لا نلهو فى الحياه.

و مـا دام الرسول و هو أكرم الخلق على اللّه قـد مات فهل يخلـد أحـد بعـده؟! [۳۵] كُـلُّ نَفْسٍ ذائِقَهُ الْمَوْتِ و تعـبير ذائقه يقرب المعنى للذهن أكثر،إذ يصور الموت و كأنه شربه يذوقها الجميع،لكى نتحسس بمراره الموت عن طريق التذكر المستمر له،و لعلّ الآيه توحى بأنه ليس هناك إنسان إلاّ و يتحسس الموت بوعى تام،حتى لو كان الموت قد وافاه أثناء نومه.

بلى لاـ بـدّ أن نتـذوق جميعـا كـأس الموت غصه بعـد غصه،أ فلا نعتبر بمن مضـى منا؟و من لم يتعظ بهـذه النهايه الرهيبه فبم-يا ترى-يعتبر؟

لقـد قال أمير المؤمنين -صـلوات اللّه عليه-يوما و قـد تبع جنازه فسـمع رجلا يضـحك،:«كأن الموت فيها على غيرنا كتب،و كأن الحقّ فيهـا على غيرنـا وجب،و كأن الـذى نسـمع عن الأموات سـفر عما قليل إلينا راجعون،نواريهم أجـداثهم،و نأكل تراثهم،كأنا مخلـدون بعـدهم،و قد نسـينا كلّ واعظه و رمينا بكلّ جائحه. » (۱)وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَهً وَ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ الخير أفضـل من الشّر،و لكن القرآن يـأتى بـذكر الشرّ قبـل الخير ليبيّن لنا بأننا محكومون بإراده اللّه،فلنتكيف مع هـذه الاراده.و لكى نعى حقيقه هامه تبين

۱- ۱) نور الثقلين/ج ۳-ص ۴۲۸.و فى الأصل نريهم و لعله خطأ مطبعىّ،و الجائحه:النازله و الشدّه.

الآيـات الوجه المشترک لظواهر الحيـاه المختلفه،فمع أن الشّـر يختلف عن الخير فی ظاهره،إلاّ انهما يلتقيان فی نقطه واحـده هی إنهما لبلاء الإنسان حيث يتقلب البشـر بين الخير و الشـر،بين العافيه و المرض،بين الغنی و الفقر،و الأمن و الخوف و..و..و لا حيله له فيها.فهـل رأيت مريضـا يحب الاسـتمرار فی زوبعه الألـم،أم هـل صادفت فقيرا يسـتمرئ البقاء فی سواد الفقر،أو خائفا لا يريد التخلص من ضـائقه الخوف؟،و لكن تـدبير اللّه المحيـط بنـا يقلبنا بين الشـر و الخير ليفتننا بهما،ثمّ يبعثنا إليه ليحاسـبنا،أ فلا نوقظ أنفسنا من نومه الغافلين؟!لكی لا نتخذ الحياه لهوا و لعبا.

و مـا دامـت نهـايه الإنسـان الی اللّـه،فهـو مسـئول أن يجيّر كـلّ الظروف،خيرهـا و شـرها،فی صالـح الهـدف الأسـمی،و يفكر فی المسـتقبل بدل أن يتأثر سلبا بالظرف الذی يعيشه خيرا أو شرا تأثرا آنيا،فيطغی بسبب الخير،أو ينهزم و ينحرف بسبب الشر،و هذه من طبيعه الإنسان فهو ينسی أهدافه بسبب ظروفه المحيطه به.

و لا ريب إنّ الذی يعی حقيقه البعث يكون بعيدا عن اللعب و اللهو.

[٣۶] وَ إِذا رَآکَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَکَ إِلاّ هُزُواً أَ هٰذَا الَّذِی يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَ هُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمٰنِ هُمْ كافِرُونَ مع هذه الآيات الجليه فی الآفـاق،و فی أنفسـهم،تجـد الكفـار يسـتهزئون بـالحقّ و يتخـذونه لعبـا،أمّا القرآن فيبيّن بأن الحقّ لا ينبغی أن نسـتهزئ به،لأنه ينتقم ممن يستهزئ به قريبا أو بعد أمد محدود.

و كم هـو صـلف هـذا الإنسـان،ففی الوقت الـذی يتميّز غضـبا حين يسـمع إنّ الرسول يـذكر آلهتهم الـتی لاـ تغنی عنهم شـيئا،و يتساءل:هـذا هو الشـخص الـذی يـذكر الآلهه(و لا ينقل كلام الرسول فيها احتراما لها)،فی ذات الوقت تراه يكفر بالرحمن الـذی أسبغ عليه نعمه ظاهره و باطنه ؟!!

ص:٣٠٩

[سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٣٧ الی ۴۵]

اشاره

خُلِقَ اَلْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آياتِی فَلا تَسْتَعْجِلُونِ (٣٧) وَ يَقُولُونَ مَتی هذَا اَلْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (٣٨) لَوْ يَعْلَمُ اَلَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ اَلنّارَ وَ لا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ (٣٩) بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّها وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ (۴٠) وَ لَقَدِ اُسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (۴١) قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ اَلنَّهارِ مِنَ اَلرَّحْمنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ (۴٢) أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنا لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَ لا هُمْ مِنّا يُصْحَبُونَ (۴٣) بَلْ مَتَّعْنا هؤُلاءِ وَ آباءَهُمْ حَتّی طالَ عَلَيْهِمُ اَلْعُمُرُ أَ فَلا يَرَوْنَ أَنّا نَأْتِی اَلْأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها أَ فَهُمُ اَلْغالِبُونَ (۴۴) قُلْ إِنَّما أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَ لا يَسْمَعُ اَلصُّمُّ اَلدُّعاءَ إِذا ما يُنْذَرُونَ (۴۵)

اللغه

۴٠[فتبهتهم]:فتحيّرهم.

۴٢[يكلؤكم]:يحفظكم،من كلا بمعنی حفظ.

ص:٣١٠

خلق الإنسان من عجل

هدى من الآيات:

هناک حواجز نفسیه تمنع تحسس الإنسان بمسؤولیته الکبری فی الحیاه،و تدفعه الی اللهو و اللعب،و تحجبه عما تملیه الرساله الالهیه من توجیهات و مواعظ،و من تلک الحواجز النفسیه التی یعالجها القرآن الحکیم هنا:

أولا-حاله الاستعجال عند الإنسان.حیث یعتقد بأن تأخر الجزاء دلیل علی أن العمل لا یستلزم الجزاء،و هذا یمنعه من التفکیر الجدّی فی الحیاه،لأن أکثر الأعمال لا یأتی جزاؤها إلاّ بعد حین،حسب حکمه اللّه و تقدیره.

ثانیا:الشرک.و هو من الحجب النفسیه التی تمنع الإنسان من الإیمان بمسؤولیته الملقاه علی عاتقه،و الذین یشرکون باللّه بأی شکل و تحت أیّ عنوان کان،إنّما یهدفون أساسا الی التخلص من مسئولیه التوحید،و التی تتطلب قدرا من التضحیه و الصبر،و تحدّی عامل الزمن،و لکنهم بعدولهم من الحقّ الی الباطل،یعرّضون أنفسهم للجزاء المرهق و العذاب الدائم،فی مقابل راحه وقتیه وهمیه رکنوا إلیها

ص:۳۱۲

بجهلهم و حمقهم.

ثمّ يشير القرآن الى فكره هامه و هى إنّ الجزاء يأتى فى اللحظات التى يزداد فيها غرور الإنسان بنفسه،فالمجتمع فى بدايه حياته يكون حذرا،و لكن عند ما يطول عمره،و تكثر النعم و الخيرات عنده،فانه ينسى حذره و يركبه الغرور و يعتقد:إنّ ما عنده من الراحه و المتعه سيكون أبديا،و مع استمراره فى الحياه،و ازدياد غروره،فان سلبياته تتكاثر و يزداد ظلمه،فيتراكم جزاء أعماله و فى لحظه واحده،يفاجؤه الجزاء و يدّمر عليه كلّ شيء،و هذا قانون اجتماعى ثابت لا يستثنى منه مجتمعاتنا فى هذا الزمان.

بينات من الآيات:

اشاره

[۳۷]يستعجل الإنسان الجزاء لأنه خلق من عجل و لكن ما هو العجل،و كيف خلق الإنسان منه؟ بعضهم قال إنّ العجل الذى خلق منه الإنسان صفه له،و كأن اللّه سبحانه و تعالى أراد أن يركز الضوء على خاصيه بشريه فى خلقه الإنسان و تكوينه،و ليست صفه عارضه تكتسب من البيئه المحيطه به.

و بعضهم قال إنّ المقصود بالعجل الطين،أى إنّ الإنسان قد خلق من ماده دنيئه ذات صفات سلبيه،و لذلك فهو يتعجل الأمور و لا يملك الصبر عليها بطبيعته الماديه المحضه.

و يبدو إنّ العجل يعنى شيئا آخرا أبعد أفقا،و أكثر عمقا،و هو إنّ الزمن قد جعل من عوامل خلقه الإنسان و أحد عناصره،شأنه شأنه كلّ مظاهر الطبيعه المسخره له، فكلّ المخلوقات و الموجودات التى نراها فى أرضنا و سمائنا،يشكل الزمن جزء من

طبیعتها و ترکیبها.

و لقد کشفت لنا الفیزیاء الذریه عن هذه الحقیقه،بسلسله من التجارب العملیه،حتی لم یعد یحیط بها غموض،و قبل ذلک أشارت إلیها جمله من الآیات القرآنیه،منها« خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ فِی سِتَّهِ أَیّٰامٍ »و یبدو من الآیه إنّ اللّه جلّ شأنه جعل الزمن جزء من الخلیقه حیث مرت بعده مراحل الی أن أخذت شکلها النهائی.

و هکذا فالإنسان یحسّ بالزمن لأنه عنصر أساسی فی خلقته الطینیه المادیه،و لولا روح الإنسان و قیم الرسالات الالهیه التی تبلور هذه الروح و تعطیها خصائص عالیه،لکان الإنسان یعیش لحظته وحدها،و لما کان یتطلع الی المستقبل أو یری الآفاق البعیده للحیاه.

و هکذا یرید القرآن أن یخبرنا بأن هذه الطبیعه البشریه التی یشکل الزمن جزء منها،هی التی تدعو الإنسان الی اللامسؤولیه،لأنه یعیش بطبیعته لحظته وحدها، و بالتالی یعجز عن إدراک حتمیه الجزاء،الذی یتطلب مقدارا معینا من الزمن،لکی یتحقق و یأخذ مجراه.

إنّه ینتظر جزاء عاجلا و قریبا لأعماله،فاذا تأخر عنه فتره،قد تطول أو تقصر، قال:لا جزاء،و طبیعی إن من ینکر الجزاء ینکر المسؤولیه کذلک.مثلا إذا ظلمت السلطه شعبها فثار بعد عشرین عاما،لا یقول رجالها:إنّ هذه الثوره انفجرت بسبب ذلک الظلم،و لا یرون أیضا ذلک الظلم،و لا یرون أیضا ذلک الارتباط الوثیق بین الأمرین،بل إنهم یأخذون بالبحث و التفتیش عن أیه علّه لیقولوا:إنّ الثوره جاءت من الخارج،فی حین إنّ العله الحقیقیه تکمن فی الداخل،و بالذات فی جهاز الحکم

ص:۳۱۴

الفاسد،فهم لا یفکرون إن ظلمهم سوف یولّد حرکه ثوریه تتنامی،و تنتشر، و تتحول الی برکان مدمر و لو بعد حین.

و القرآن الحکیم ینبهنا بأنکم،سواء عشتم مستقبلکم أم لا،و آمنتم به أو کفرتم،فان الجزاء سیأتی حتما،و سوف یحیط بکم عذابه،و ما دام المستقبل حقا فلا بدّ أن نؤمن به،متحدین بذلک کلّ الضغوط التی تواجهنا فی الحیاه،و علی رأسها طبیعتنا البشریه الاستعجالیه.

إنّ الذی ینکر الجزاء،بأن یسلم قیادته لنفسه النزقه المتعجله، یسلب اللّه منه عقله و بصیرته،و یستدرجه شیئا فشیئا،فلا یشعر إلاّ و العذاب مطبق علیه بغته، سواء کان ذلک عذاب الساعه أو ما هو دونها،فالطاغوت الحاکم یفقد تمییزه للأمور،و تبصره بالعواقب فیستمر فی سیاسته الخاطئه،و إذا به یصحو یوما لیجد نفسه ملقی عن عرشه،کشاه إیران،أو ممزقا برصاصات المجاهدین،کفرعون مصر.

و کذلک بالنسبه لبعض المجتمعات البشریه التی تراکمت أعمال أفرادها السیئه حتی أحاطت بهم،استهزءوا برسلهم أو بمن یمثلهم من الأوصیاء و العلماء،و اتخذوا ما جاءوهم به لهوا و لعبا،فقد حاق بهم ما استهزءوا به و أزال حضارتهم.

و کثیرا ما نجد القرآن الحکیم یتحدث عن المجتمعات و لیس الأفراد،مما یثیر السؤال التالی:ما دامت المسؤولیه هی مسئولیه الفرد فلما ذا یحدثنا القرآن عنها بصیغه المجموع؟ و الجواب:إن ذلک لسببین:

الأول:إن مسئولیه الفرد لا تقتصر علی حدود ذاته الضیقه،و إنّما تمتد لتشمل

المجتمع الـذی یعیش فیه،لأـن أکثر أعمـال النـاس هی أعمـال اجتمـاعیه،و جزاؤهـا لا بـدّ أن یکون جماعیا أیضا،و ذلک لطبیعه التواجد فی مکان واحد و التفاعل نفسیا و مادیا بین النّاس.

الثانی:هو إنّ جزاء الأفراد-عاده-لا یری،إننا لا نستطیع مثلا أن نحیی شابا مات فی مقتبل عمره لنسأله ما هی أعمالک السیئه التی أدت بـک الی هـذه النهـایه،و بالتالی نعرف إن میتته المنکره کانت جزاء لانحرافه،و سوء مسـلکه،أما المجتمعات فأعمالها تکون ظاهره،و آثارها واضحه،لذلک یضرب القرآن بها أمثالا لنعتبر بها.

إنّ هـذه المجتمعات لم تؤمن بالجزاء،فاتخـذت المسؤولیه لهوا و لعبا،فأحاط بها کفرها حتی أزالها،و عنـد ذلک لم تنفعها الآلهه التی اعتمدت علیها من دون اللّه.

خُلِقَ الْإِنْسٰانُ مِنْ عَجَلٍ أن تعجـل الأمور،و عـدم الاصـطبار علی الزمن،هو من طبیعه الإنسان،و من العناصر الأساسـیه فی تکوین خلقته.

سَأُرِیکُمْ آیٰاتِی فَلاٰ تَسْتَعْجِلُونِ ستأتی آیات العـذاب و سترونها حتما،فلما ذا العجله؟! [۳۸] وَ یَقُولُونَ مَتیٰ هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ کُنْتُمْ صٰادِقِینَ إنّهم کلمـا سـمعوا وعظـا و تـذکیرا من أحـد قـالوا أین ذلک الجزاء الـذی تعـدنا به؟!لو کانوا یعلمون إنّ الجزاء الـذی یستعجلونه شدید،و إنّه حین یحیط بهم لا

يمكنهم الفرار منه بأيه صوره كانت،لما لجأوا الى السخريه و الاستهزاء و لما لوّوا رؤوسهم معرضين.

جزاء الاستهزاء:

[۳۹] لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لاٰ يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النّٰارَ وَ لاٰ عَنْ ظُهُورِهِمْ و هما المنطقتان الحساستان من الإنسان،و فى ذلك إشاره الى شده العذاب و إحاطته.

وَ لاٰ هُمْ يُنْصَرُونَ فلا تنصرهم آلهتهم التى كانوا يعبدونها و يخضعون لها من دون اللّه.

[۴۰] بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ أولا:تأتيهم النار فجأه كما لو كان ذلك من دون سابق إنذار،لأنهم تعودوا على الكفر بالنذر،و عدم اتخاذها مأخذ الجد،فأصبحوا مع مرور الزمن كالجاهل الذى يفتح عينه على الحقيقه لأول مره.

ثانيا:إنّ النار الرهيبه تسبب لهم البهت،فتسلبهم عقولهم و تحيّرهم،ثمّ تكتنفهم بعذابها الأليم.

فَلاٰ يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهٰا وَ لاٰ هُمْ يُنْظَرُونَ إنّهم لا يستطيعون دفع العذاب عن أنفسهم و لن يعطوا مهله أكثر مما أعطوه فى الحياه الدنيا،و لو بمقدار لحظه.

ص:۳۱۷

[۴۱] وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِکَ إنّ الأمم السابقه قد استهزأت بالرسل،فاذا بتلک الرسالات التی استهزءوا بها تتحول الی حقائق أليمه تحيط بهم و تنتقم منهم.و لا يخفى إنّ ذلک إضافه إلى التعذيب البدنى عذابا نفسيا للكافرين.

و لكن هل الرساله الالهيه بذاتها عذاب؟و هل هى التى تؤدى الى الضرر الوخيم الذى يصبّ المعاندين فى جهنم؟ بالطبع-كلّا- فالرساله بما فيها من أفكار إنّما هى تعبير عن الحقيقه،و حينما يستهزئ أحد بها فإنه يستهزئ بالحقّ ذاته،فحينما أقول لا تأكل هذا الطعام لأن فيه جرثوما،فان هذه الكلمه تعكس حقيقه واقعيه،و عند ما تخالف و تأكل منه،فان الجرثوم و هو تلك الحقيقه الواقعيه،سيحيط بک و يوقعک فى الألم و المعاناه،لذلک يعبر القرآن عن هذه الحاله تعبيرا دقيقا،و يقول:

فَحٰاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مٰا كٰانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ القرآن فى هذه الآيه كما فى أكثر آيات سوره الأنبياء،يكثر من الحديث عن اللعب،و اللهو،و الاستهزاء و السخريه،فلما ذا؟ السبب هو إن الحديث فيها،يدور حول المسؤوليه،و هذه الأشياء نقيض لها، فاللعب،و لهو القلب،و الاستهزاء بالرساله،و السخريه من الرسل،و بالتالى من الحقائق،هذه كلها تقتل احساس الإنسان بمسؤوليته فى الحياه.

و لا يسمع الصمّ الدعاء:

[۴۲] قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهٰارِ مِنَ الرَّحْمٰنِ

إنّ تـدبير الحياه بيـد اللّه كما إنّ تقـديرها بيده سـبحانه،فمن الذى يحفظنا ليلا و نهارا من أخطار الحياه سوى الرحمن؟ فهو الذى يحفظنا بنعمه عن بلائه،و برحمته عن غضـبه.لأنّه جلّ شأنه قـد كتب على نفسه الرحمه،و الرحمن هو الذى يكلؤنا و لكن نحن لا نقدّر هذه النعمه فنكفر به و بآياته و نعرض عن ذكره.

بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ اللّه هو الذى يربيهم،و هو الذى لا يزال يكمل لهم النعم،و ينزل عليهم البركات،و مع ذلك تراهم يكفرون به و يستهزئون برسالاته.

و مـا دام العـذاب الاـلهى فى الـدنيا لاـ رادع عنه،(إلاّـ من قبـل اللّه نفسه)،و لاـ أحـد من الآلهه المزعومه تقـدر على دفعه إن حلّ بقوم،فلنعرف إنّ الآلهه ليست بشىء،و إنّها لا تضر و لا تنفع،و انها لا تقدر على دفع عذاب الآخره أيضا.

[۴۳] أَمْ لَهُمْ آلِهَهٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنٰا اللّه لم يقطع عن أيـاديه ساعه فلما ذا نكفر به؟!إذا لم يعطك أبوك نقودا،و لم يـدعك تنام فى البيت،و لم يهتم بك،فسوف تبحث عن صـديق أو عن جهه من الجهات تؤمن لك ضـرورات حياتك، و لكن اللّه-و الأمثال تضـرب و لاـ تقاس-لم يغلق عليك الأبواب،و لم يبعث عليك العـذاب حتى تتركه و تتوجه الى آلهه غيره تؤويك الى كنفها! و نقرأ فى الأـدعيه تعـابير دقيقه،و فى نفس الوقت مثيره لأحاسـيس الإنسان الفطريه فى هـذا الاتجاه:فما دام اللّه سـبحانه و تعالى لم يغير عاده الإحسان إلينا،

فلما ذا نفتش عن غيره؟!و ما دام ربنا قويا قاهرا فلما ذا نخدع أنفسنا بالالتجاء الى الضعفاء من عباده؟!نقرأ

فی دعاء عرفه للإمام الحسین علیه السلام: [ما ذا وجد من فقدک،و ما الذی فقد من وجدک.لقد خاب من رضی دونک بدلا،و لقد خسر من بغی عنک متحولا.کیف یرجی سواک،و أنت ما قطعت الإحسان.و کیف یطلب من غیرک،و أنت ما بدّلت عاده الامتنان]. (1)

لاٰ یَسْتَطِیعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ تلک الآلهه لا تستطیع أن تنصر نفسها فکیف تنصر غیرها.

وَ لاٰ هُمْ مِنّٰا یُصْحَبُونَ لا نعتبرهم أصحابا،لا نعطیهم القوه،و لا هم یمتلکون القوه الذاتیه.

[44] بَلْ مَتَّعْنٰا هٰؤُلاٰءِ وَ آبٰاءَهُمْ حَتّٰی طٰالَ عَلَیْهِمُ الْعُمُرُ إنّ السبب الذی یرید فی نسیان هؤلاء هو استمرار النعم علیهم،لذلک تراهم مع مرور الزمن و تطاول السنین یتزاید غرورهم،و مع تزاید الغرور تتزاید النقم التی تأتی مع النعم،فی سلسله متوازیه.

أَ فَلاٰ یَرَوْنَ أَنّٰا نَأْتِی الْأَرْضَ نَنْقُصُهٰا مِنْ أَطْرٰافِهٰا أَ فَهُمُ الْغٰالِبُونَ فی کلّ یوم یهلک الکثیر من المجتمعات بسبب أعمالهم الفاسده،و لأن جزاءهم قد آن أوانه،فلما ذا لا نعتبر؟!و هنا یوجّهنا القرآن الحکیم الی نوعین من الاعتبار:

1-الاعتبار بمن مضی من الأمم.

1- 1) مفاتیح الجنان/ص 273.

۲-الاعتبار بمن نعاصرهم من الأمم التی تتحطم و تهلک بسبب أعمالها.

إن علی الإنسان أن یعتبر بالماضی من آبائه الذین ماتوا و انقرضوا،و کذلک لمن حوله من أترابه،الذین یموتون کلّ یوم،کذلک حال المجتمعات (۱)،و لکن المشکله الأساسیه هی التی یشیر إلیها القرآن فی الآیه الأخیره:

[۴۵] قُلْ إِنَّمٰا أُنْذِرُکُمْ بِالْوَحْیِ وَ لاٰ یَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعٰاءَ إِذٰا مٰا یُنْذَرُونَ المشکله هی إنّ الإنسان قد أصیب بالصمم،و لهی قلبه،فجعل یستهزئ بالحقیقه،لذلک حینما یری العبر فانه لا یستفید منها شیئا.

ص:۳۲۱

۱- ۱) هناک تفسیرات أخری لهذه الآیه.منها إنّ نقصان الأرض بموت العلماء.و به جاءت الروایات.و هو تفسیر عمیق لا یتنافی مع ما ذکرنا آنفا إذ إنّ موت المجتمعات إنّما هو بنقصان علمائها«راجع تفسیر نور الثقلین/ج ۳-ص ۴۲۹».

[سوره الأنبياء (۲۱): الآيات ۴۶ الى ۵۸]

اشاره

وَ لَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَهٌ مِنْ عَذابِ رَبِّکَ لَيَقُولُنَّ يا وَيْلَنا إِنّا کُنّا ظالِمِينَ (۴۶) وَ نَضَعُ اَلْمَوازِينَ اَلْقِسْطَ لِيَوْمِ اَلْقِيامَهِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَ إِنْ کانَ مِثْقالَ حَبَّهٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَ کَفى بِنا حاسِبِينَ (۴۷) وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسى وَ هارُونَ اَلْفُرْقانَ وَ ضِياءً وَ ذِکْراً لِلْمُتَّقِينَ (۴۸) اَلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَ هُمْ مِنَ اَلسّاعَهِ مُشْفِقُونَ (۴۹) وَ هذا ذِکْرٌ مُبارَکٌ أَنْزَلْناهُ أَ فَأَنْتُمْ لَهُ مُنْکِرُونَ (۵۰) وَ لَقَدْ آتَيْنا إِبْراهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَ کُنّا بِهِ عالِمِينَ (۵۱) إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ ما هذِهِ اَلتَّماثِيلُ اَلَّتِی أَنْتُمْ لَها عاکِفُونَ (۵۲) قالُوا وَجَدْنا آباءَنا لَها عابِدِينَ (۵۳) قالَ لَقَدْ کُنْتُمْ أَنْتُمْ وَ آباؤُکُمْ فِی ضَلالٍ مُبِينٍ (۵۴) قالُوا أَ جِئْتَنا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اَللاّعِبِينَ (۵۵) قالَ بَلْ رَبُّکُمْ رَبُّ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ اَلَّذِی فَطَرَهُنَّ وَ أَنَا عَلى ذلِکُمْ مِنَ اَلشّاهِدِينَ (۵۶) وَ تَاللّهِ لَأَکِيدَنَّ أَصْنامَکُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (۵۷) فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً إِلاّ کَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (۵۸)

اللغه

۴۶[نفحه]:أى الوقعه اليسيره التى تقع-کنفخ الطيب الذى هو شىء يسير من ريحه.

۴۷[القسط]:العدل.

ص:۳۲۲

۵۲[عاکفون]:مستمرّون دائمون على عبادتها.

۵۷[و تاللّه]:حلف باللّه لتأكيد ما يقول،و التاء للتعجّب.

۵۸[جذاذا]:أى قطعه قطعه،و أصله من الجذ بمعنى القطع.

ص:۳۲۳

نفحات العذاب علائم المسؤوليه

هدى من الآيات:

فی سياق حديث القرآن الحكيم عن مسئوليه الإنسان فی الحياه،المرتكزه على الجديه و الهدفيه،تذكرنا آيات هذا الدرس،بأن من علائم المسؤوليه هی نفحات العذاب،التی يتعرض لها البشر بسبب سوء أفعالهم،فلكی تعرف الآخره،و ما فيها من عذاب أو ثواب،لا بدّ أن تتفكر فی الدنيا و ما فيها من آثار العذاب و الثواب و نفحاتهما!إلاّ إنّ الموازين القسط التی تحسب كلّ صغيره و كبيره فيجازی الشخص بها،مؤجله الى يوم القيامه،حيث لا تظلم نفس شيئا،حتی و لو كان بوزن خردله.

و لقد جاءت رسالات اللّه تترى لتعطی الناس ميزانا يفرق به بين الحقّ و الباطل،و ضياء يهتدی به فی ظلمات الحياه،و يذكر المتقين ليزدادوا إيمانا و عزما.

ص:۳۲۴

فمن أبرز غايات الرسل تذكير الناس بيوم القيامه-حيث الموازين القسط-، و لكن المتقين هم الذين يخشون ربهم بالغيب و يخافون أهوال الساعه.

و هذا الكتاب هو الآخر ذكر مبارك أنزله اللّه لذات الغايه.

و السؤال ما الذى يحجب الإنسان عن الأخذ بالفرقان،و الإيمان بالرسالات الالهيه التى تذكّر بالآخره،و تنبّه الغافلين عن نومهم فى الدنيا؟ إنّه و كما يتضح من القرآن التقليد،و تبعيه الآباء من دون تبصّر و لا تدبّر.

هكذا يضرب لنا القرآن مثلا من حياه إبراهيم عليه السلام الذى وقف أمام قومه الذين اتبعوا منهج آبائهم ففقدوا إحساسهم بالمسؤوليه،و صرخ فى وجوههم قائلا:ما هذه الأصنام التى تتمسكون بعبادتها،و تلازمونها على الدوام؟!فلم يكن عندهم جواب منطقى يردّون به على هذه الصرخه،إلّا أن قالوا:إنّما وجدنا آباءنا يعبدونها فحذونا حذوهم.

و لكى يثبت لهم إمكان تحدى الإنسان لتاريخه الباطل بقوه إرادته،أخذ معولا-و ذهب الى معبدهم فى يوم عيدهم،و حطم الأصنام،واحدا تلو الآخر،ثمّ وضع المعول فى عنق أكبرها حجما،و ذهب الى بيته،بانتظار أن يعودوا،فيروا إنّ التماثيل قد حطمت،فيكون ذلك نقطه بدء لهم لكى ينفصلوا عن تاريخهم السيء المنحرف،و يعيشوا واقعهم بعقليه متفتحه و بصيره مستنيره.

بينات من الآيات:

اشاره

[۴۶]إن الدنيا مزيج من الجنه و النار،و لقد خلق اللّه سبحانه و تعالى دارا لأوليائه،جعل فيها من كلّ ما لذّ و طاب من النعم،دون أن يشوبها خوف أو

حزن،و خلق دارا أخرى للمعانـدين،و جعل فيها من كلّ عـذاب أشدّه و آلمه،دون أن يكون فيها مكان للرحمه أو مجال للنعمه،و خلق دارا ثالثه تجمع صفات تلك الدارين،فيها ضغث من الجنه و ضغث من الجحيم،و هى الدنيا،ثمّ جعل ما فيها من ثواب و نعم شاهـدا على ما فى تلك الـدار من ثواب و نعمه،و ما فيها من عقاب و نقمه،شاهـدا على ما فى الجحيم من أليم العذاب.و هذا هو مضمون حديث مفصل مروى عن أمير المؤمنين على عليه السلام .

و فى هـذه الآيـات يؤكـد السـياق ذلك،فلكى تعرف إنّك مسئول فى الآخره تـدبر فى نتائـج أعمالك فى الـدنيا،و لكى تعرف حقيقه العذاب و الثواب فى الآخره جربهما فى الدنيا.

لذلك تجد الصـحابى أبا ذر-عليه السلام-يذهب الى الصحراء،يعرّى جسده، و يلقى بنفسه على الرمضاء حيث تصهره الشمس و يكويه الحصى،و يقول لنفسه يا أبا ذر ذق حراره الدنيا لكى تبعد نفسك عن نار الآخره، فان نار جهنم أشدّ حرا.

و فى الحديث الشريف :«تذكّروا بجوعكم و عطشكم-فى شهر رمضان-جوعكم و عطشكم فى يوم القيامه ».

إنّ كلّ ما نواجهه فى حياتنا الـدنيا من صـعوبات و مشاكل و مخاطر،هو نفحه من عذاب اللّه تذكرنا بحقيقه العذاب الموجود فى الآخره،و يصـيبنا إن لم نتبع الفرقان الذى أنزله إلينا ربنا،و الذى يفرق لنا بين الحقّ و الباطل،و بين الحلال و الحرام، و بين الخير و الشر.

وَ لَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذٰابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يٰا وَيْلَنٰا إِنّٰا كُنّٰا ظٰالِمِينَ

أول ما يبدأ عذاب اللّه عز و جل بالنزول على المعرضين و المعاندين،ينزع عنهم السكره التى كانت مسيطره على عقولهم،و التى جعلتهم يغترون بالدنيا الفانيه، و عند ذلك يعودون الى رشدهم،و يقولون لقد عرّضنا أنفسنا الى الهلاك بإرادتنا و اختيارنا،حينما فرّطنا فى المسؤوليه،و تهاونّا فى أداء الأمانه.

[۴۷] وَ نَضَعُ الْمَوٰازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيٰامَهِ فَلاٰ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً تلك كانت النفحه،أما الجزاء فسيجدونه فى يوم القيامه حيث الحساب، الدقيق و العسير،إن خيرا فخير،و إن شرّا فشرّ،و تعالى اللّه أن يظلم أحدا شيئا.

و الموازين القسط هم الرجال الربانيون الأنبياء و الأوصياء (۱)الذين يتخذ منهم الربّ شهداء على النّاس،و الذين لا بدّ أن يقيس الإنسان أعماله بهم و بنهجهم و سيرتهم.

وَ إِنْ كٰانَ مِثْقٰالَ حَبَّهٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنٰا بِهٰا الخردل:نبات له حبات بالغه فى الصغر و الخفه،لو إنّ الإنسان أحسن و عمل عملا بوزن هذه الحبه،و فى أىّ مكان على وجه الأرض،و على أيه درجه من السّريّه و الكتمان،فان اللّه سيأتى به-بقدرته و علمه اللامحدودين-مثبتا و مسجلا، يعرضه على صاحبه فى يوم القيامه،ثمّ يعطيه جزاءه العادل عليه.

وَ كَفىٰ بِنٰا حٰاسِبِينَ و لا نحتاج الى من يعيننا فى عمليه الحساب هذه.

ص:۳۲۷

۱- ۱) تفسير نور الثقلين/ج ۳-ص ۴۳۰.

حجج المسؤوليه:

[۴۸]لأن اللّه لا يظلم أحدا شيئا،سبحانه!،و لأنه رحيم بعباده،و لأن الحساب هناك دقيق و عسير،و بالتالى لأنّ المسؤوليه باهضه.فقد منّ على عباده برسالاته التى هى:

أولا:الفرقان بين الحقّ و الباطل،بين ما ينبغى و ما لا ينبغى من الأفعال.

ثانيا:و يضىء قلوبهم بنور الإيمان حتى يتحمّلوا مسئولياتهم و يؤدوا ما عليهم.

ثالثا:يذكر المتقين منهم حتى لا يعتريهم النسيان.

هكذا أكمل الربّ حجه على عباده،فلم يحمّلهم عبء المسؤوليه دون توفير وسائل تحقيقها لهم.

وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسىٰ وَ هٰارُونَ الْفُرْقٰانَ وَ ضِيٰاءً وَ ذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ الفرقان:هو ما يفرق بين المتناقضات الموجوده فى الحياه،و به نعرف الحقّ من الباطل، و نعين الحدود الفاصله بينهما،و قد يكون الفرقان هو التوراه كما تشير إليه هذه الآيه،و قد يكون واحدا من الكتب الالهيه الأخرى و منها القرآن،كما انه يستطيل ليشمل الأشخاص كالأنبياء و الأئمه عليه السلام و من يقوم مقامهم و يمثّل امتدادا حقيقيا لهم.

و الضياء:هو النور الذى يشع فى القلب،و يمكّن المؤمنين من السير فى دروب الحياه المدلهمه بثقه و اطمئنان.

أمّا الذكر:فهو ما يثير دفينه العقل،و يمنع الإنسان من الركون الى الغفله و النسيان،و يتمثل فى المواعظ البليغه التى يستفيد منها المتقون الذين يخافون اللّه

و يراقبونه بأعمالهم.

الساعه و الغيب:

[۴۹] اَلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ الإيمان بالغيب هو الذى يدفع الإنسان الى تجاوز الشهود،فتراه-حينما يرى شيئا-لا يقف عنده،بل يعبر من خلاله الى الشاطئ الآخر للحقيقيه أى الى حكمته و سببه و دلالته،و بكلمه:الإيمان بالغيب هو:أن نصدّق بما لا نراه انطلاقا ممّا نراه،و هذا الأمر الذى يتفق تماما مع العقل و المنطق،هو الذى يقودنا الى معرفه ربّنا اللطيف الذى لا تدركه الأبصار،من خلال ما نراه من آثار خلقه و بديع صنعه،و بالتالى نخشاه كأننا نراه،و نقف بين يدى جبروته المطلق بخشوع و وجل، و هذا الشعور سوف ينعكس على أعمالنا،و أقوالنا،و سائر تصرفاتنا،فيصقلها و يهذّبها و يوجّهها الى الوجهه السليمه فى الحياه.كما يقودنا الإيمان بالغيب الى الشفقه من الساعه.

وَ هُمْ مِنَ السّاعَهِ مُشْفِقُونَ أى يخشون قيام الساعه.

و الإشفاق حاله من الخشيه المقرونه بالترقب و الانتظار،ذلك لأن المتقين يعيشون بين الخوف من البعث(لأنهم لا يعلمون نتائج أعمالهم)و بين انتظاره(إذ يرجون جزاء حسناتهم).

[۵۰] وَ هٰذا ذِكْرٌ مُبارَكٌ أَنْزَلْناهُ أَ فَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ إنّ أكثر الكفار،ينكرون الرسالات و الكتب الالهيه،لأنهم يشككون أنفسهم

فی الذی أنزلها،و لذلک یقول اللّه فی هذه الآیه:«أنزلناه»لیقطع علیهم سبیل الإنکار و التکذیب.

و کما إنّ التوراه کانت فرقانا و ضیاء و ذکرا..فان القرآن کذلک ذکر (و هو أعلی صفات التوراه الثلاث).و مثلما أصبح کتاب موسی برکه علی بنی إسرائیل، کذلک هذا الکتاب سیکون(و فعلا کان)مبارکا علی من اهتدی به،یخرجهم من الظلمات الی النور،و یعطیهم تکاملا معنویا و مادیا.

إبراهیم یحطم الأصنام جمیعا:

[۵۱-۵۳] وَ لَقَدْ آتَیْنٰا إِبْرٰاهِیمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَ کُنّٰا بِهِ عٰالِمِینَ* إِذْ قٰالَ لِأَبِیهِ وَ قَوْمِهِ مٰا هٰذِهِ التَّمٰاثِیلُ الَّتِی أَنْتُمْ لَهٰا عٰاکِفُونَ* قٰالُوا وَجَدْنٰا آبٰاءَنٰا لَهٰا عٰابِدِینَ الضمیر فی«رشده»یعود الی إبراهیم علیه السلام ،و لم یقل ربنا«رشدنا»مثلا،و فی ذلک إیحاء الی أن اللّه خلق الإنسان راشدا-عاقلا-نقی الضمیر،و لکنه یتبع آباءه علی غیر هدی فتنحرف فطرته و یضیع رشده.

و لقد أدی إعراض قوم إبراهیم عن رشدهم المرکوز فی فطرتهم،الی أن یردوا علی حجته القویه المنطقیه بذلک الجواب السخیف الأحمق فقالوا:إنّما نعبد هذه الأحجار لأننا رأینا أسلافنا یفعلون ذلک..

[۵۴] قٰالَ لَقَدْ کُنْتُمْ أَنْتُمْ وَ آبٰاؤُکُمْ فِی ضَلاٰلٍ مُبِینٍ لقد نسف إبراهیم بکلمه واحده عقیدتهم المهزوزه،و ترکهم فی حیره من الأمر،و الآیه التالیه تدل علی إنّهم لم یکونوا علی شیء فی دینهم.

ص:۳۳۰

[۵۵]قالُوا أَ جِئْتَنا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللاّعِبِينَ لقد أصابتهم كلمه إبراهيم فى الصميم،فطرحوا عليه هذا السؤال كمن يعطى نفسه فرصه لإعاده ترتيب أوراقه و لملمه خواطره المتناثره.

[۵۶]و لكن إبراهيم واصل حجته القويه المنطقيه،و أطبق عليهم بهذه الحقيقه الصارخه التى لا سبيل لانكارها:

قالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الَّذِى فَطَرَهُنَّ وَ أَنَا عَلى ذلِكُمْ مِنَ الشّاهِدِينَ لا أحد من آلهتهم كان يدعى أنه خلق السماوات و الأرض،أو أنّه خلقهم.

و لذلك فلا بدّ أن يكون الإله الحقيقى لهذا الكون غير الأصنام الصّماء البكماء.

و هكذا أصرّ إبراهيم عليه السلام إنه ليس لاعبا،و ليس حديثه من نوع حديث المراهقين الذين يشكون لضعف فى عقولهم-حاشاه-،بل إنه يدعو و بجد الى ربّ السماوات و الأرض،و هو شاهد على صدق دعواه،بثبات قوله،و شجاعه طرحه، و استعداده للتضحيه،و سلامه نهجه و صدق مواقفه،و سعادته و فلاحه.

و هنا دحض حجتهم بالكامل،و انقطعوا عن أىّ جواب،و لكن النفس البشريه ليست من البساطه بحيث تؤمن بالحق أول ما تراه،فهناك عوامل معقده و متشابكه اجتماعيه و ثقافيه و اقتصاديه،تنشأ عنها مصالح و اعتبارات يخيل نظريّا للإنسان بأنّه لا يستطيع التخلّى عنها.إنهم عرفوا الحقيقه و انجلت أمام أعينهم،و لكن إتباعها يتطلب منهم أن يضحوا بالكثير من مكاسبهم الماديه،كالجاه و السلطه و الثروه و غيرها.و لذلك لم يبادروا بإعلان قبولهم بالحقّ و خضوعهم له،بل انهم لاذوا بالصمت كمن ينحنى لتمرّ العاصفه بسلام،ثم يواصل دربه.

ص:۳۳۱

[۵۷]و لكن إبراهيم لم يسكت،و لم يفسح لهم المجال للاسترسال فى الصمت و التقليد و الخوض فى الباطل مع الخائضين،بل قال:

وَ تَاللّٰهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنٰامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ أى سأحطمها بعد أن تذهبوا لحضور اجتماعات عيدكم.و كان هذا القيد الزمنى بسبب إن إبراهيم عليه السلام كان فردا واحدا فلم يكن من الممكن أن يكسر تلك الأصنام مع وجود أعداد كبيره من المشركين عندها.

[۵۸]ثمّ شفع تهديده الكلامى بالتنفيذ العملى..

فَجَعَلَهُمْ جُذٰاذاً إِلاّٰ كَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ حطم تلك الآلهه المزيفه شر تحطيم،و ترك واحدا منها،كانوا يعدّونه أعظم أصنامهم،و علّق معوله فى صدره،ليترك لهم مجالا أكثر للتفكير فى حقيقه هذه التماثيل الحجريه التى لا تضر و لا تنفع،و ذلك لأنه كان لديه تصور مسبق لما سيحدث بعد ذلك من إلقاء القبض عليه و مسائلته بعد اكتشاف قومه للأمر،و كان يريد أن يكسر جدار الصمت و يوقف مسيره الاسترسال مع الوضع الفاسد،و لكى يجد فرصه جماهيريه ليبيّن لهم بأن هذه الأصنام لن تسبب لهم الضرر إن كانت مكسّره،كما إنّها لن تنفعهم إن ظلت قائمه على منصاتها،فما ذا عسى ينفعهم هذا الصنم الكبير عند ما يرجعون إليه و يلوذون به؟!

ص:۳۳۲

[سوره الأنبیاء (۲۱): الآیات ۵۹ الی ۷۳]

اشاره

قَالُوا مَنْ فَعَلَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ اَلظّٰالِمِینَ (۵۹) قٰالُوا سَمِعْنٰا فَتًی یَذْکُرُهُمْ یُقٰالُ لَهُ إِبْرٰاهِیمُ (۶۰) قٰالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلیٰ أَعْیُنِ اَلنّٰاسِ لَعَلَّهُمْ یَشْهَدُونَ (۶۱) قٰالُوا أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هٰذٰا بِآلِهَتِنٰا یٰا إِبْرٰاهِیمُ (۶۲) قٰالَ بَلْ فَعَلَهُ کَبِیرُهُمْ هٰذٰا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ کٰانُوا یَنْطِقُونَ (۶۳) فَرَجَعُوا إِلیٰ أَنْفُسِهِمْ فَقٰالُوا إِنَّکُمْ أَنْتُمُ اَلظّٰالِمُونَ (۶۴) ثُمَّ نُکِسُوا عَلیٰ رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مٰا هٰؤُلاٰءِ یَنْطِقُونَ (۶۵) قٰالَ أَ فَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ مٰا لاٰ یَنْفَعُکُمْ شَیْئاً وَ لاٰ یَضُرُّکُمْ (۶۶) أُفٍّ لَکُمْ وَ لِمٰا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ (۶۷) قٰالُوا حَرِّقُوهُ وَ اُنْصُرُوا آلِهَتَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ فٰاعِلِینَ (۶۸) قُلْنٰا یٰا نٰارُ کُونِی بَرْداً وَ سَلاٰماً عَلیٰ إِبْرٰاهِیمَ (۶۹) وَ أَرٰادُوا بِهِ کَیْداً فَجَعَلْنٰاهُمُ اَلْأَخْسَرِینَ (۷۰) وَ نَجَّیْنٰاهُ وَ لُوطاً إِلَی اَلْأَرْضِ اَلَّتِی بٰارَکْنٰا فِیهٰا لِلْعٰالَمِینَ (۷۱) وَ وَهَبْنٰا لَهُ إِسْحٰاقَ وَ یَعْقُوبَ نٰافِلَةً وَ کُلاًّ جَعَلْنٰا صٰالِحِینَ (۷۲) وَ جَعَلْنٰاهُمْ أَئِمَّةً یَهْدُونَ بِأَمْرِنٰا وَ أَوْحَیْنٰا إِلَیْهِمْ فِعْلَ اَلْخَیْرٰاتِ وَ إِقٰامَ اَلصَّلاٰةِ وَ إِیتٰاءَ اَلزَّکٰاةِ وَ کٰانُوا لَنٰا عٰابِدِینَ (۷۳)

اللغه

۷۲[و یعقوب نافله]:أی زائده،إذ لم یکن یعقوب حسب دعاء إبراهیم و إنما کان لطفا محضا من اللّه علیه.

ص:۳۳۴

وَ أَرٰادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنٰاهُمُ الْأَخْسَرِينَ

هدی من الآیات:

کما إن نفحه العذاب فی الدنیا،شاهده علی العذاب المرکز فی الآخره،کذلک الثواب الدنیوی دلیل علی ما وراءه من ثواب عظیم فی الآخره.

و کما إن الإنسان حینما تستعبده أصنام التاریخ،أو أصنام المجتمع،فانه یلاقی جزاءه فی الدنیا و الآخره،حیث تتحول تلک الأصنام التی تعبد من دون اللّه الی نقمات تحیط به،کذلک فان الإنسان الذی یتحرر من عباده الأصنام التاریخیه أو البشریه،یبنی حیاته بشکل سلیم و یجازیه اللّه سبحانه و تعالی جزاء حسنا.

فهذا إبراهیم قد حطم-أولا-و قبل کلّ شیء-الأصنام التی کانت تستعبد الناس آنئذ،حیث انفصل عن عباده الآباء،و تحدی ضغوط المجتمع،و لم یکتف بعدم الخضوع لأبیه(آزر)الذی کان یتخذ موقفا متشددا،بل حاول أن یجعل أباه یتبعه و یطیعه،لأنه علی یقین.

ص:۳۳۵

كما تحرر من الخضوع لطاغوت المجتمع،و للسلطه السياسيه الفاسده،بما تملك هذه السلطه من وسائل البطش و الإرهاب،فكان ذلك الإنسان الذى خلقه اللّه على الفطره الإيمانيه،و أصبح عبدا مؤمنا صالحا كما أراده خالقه.

إنّ الإنسان المتحرر عن عبوديه الطاغوت،و عبوديه الآباء،و عبوديه الشهوات، و سائر العبوديات،يصبح مستقل الشخصيه،لا يخضع إلّا لخالق الكون العزيز الحكيم،و هكذا بدأ إبراهيم حياته بدايه سليمه،فأعطاه اللّه سبحانه بدل ذلك المجتمع الفاسد مجتمعا صالحا،و بدل ذلك الإرهاب و الطغيان أمنا و حريه،و بدل ذلك التاريخ الفاسد جعله منطلقا جديدا لبناء تاريخ صالح.

لقد عوضه اللّه عن كلّ بلاء صبر عليه بنعمه،فبتحرره من قيد الطاغوت أعطاه اللّه سبحانه نعمه القياده و جعله إماما،و عند ما تحرر من قيد المجتمع المشرك أعطاه مجموعه من المؤمنين يتبعونه،و أعطاه الأولاد و جعل ابن خالته لوطا يتبعه،فأنشأ ذلك المجتمع النظيف.و تحرر من قيد التاريخ المنحرف،فجعله اللّه سبحانه و تعالى نقطه البدء لتأريخ جديد مجيد،و جعل أولاده أئمه للناس،كما زودهم برساله متكامله بإزاء ذلك المنهج الفاسد الذى يتبعه الطاغوت و المجتمع الخاضع له..

برساله تدعو الى الخير،و إقامه الصلاه،و إيتاء الزكاه،و عباده اللّه وحده،دون الخضوع لهذا أو ذاك.

هذا هو بعض ما يمكن أن نستوحيه من هذه الآيات الكريمه.

بينات من الآيات:

اشاره

[۵۹-۶۰]قَالُوا مَنْ فَعَلَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظّٰالِمِينَ* قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرٰاهِيمُ

من الذى حطّم الأصنام؟ لا بدّ إنّ الذى حطمها ظالم لنفسه لأنّه عرّض نفسه لانتقامنا.

بلى هناك شخص يدعى«إبراهيم»يذكر الأصنام بالسوء،و يرفض أن يعبدها و يخضع لها،فمن المؤكد أنّه هو الذى حطمها.

[۶۱]و تحطيم الأصنام لم يكن يدل فقط على تحطيم الأحجار،و إنّما كان يدل أيضا على تحطيم الأنظمه الاجتماعيه و التقاليد الفاسده،و تحطيمها يعنى التحرر منها،لذلك تجد إن مجتمع الطاغوت(نمرود)لم يكتف بمحاوله تعذيب إبراهيم،و بإعدامه،إنّما أراد أن يكرس تلك التقاليد و القيم الفاسده عن طريق فعل كلّ ذلك عبر تظاهره اجتماعيه صاخبه،ليكون عبره للآخرين الذين قد تحدثهم أنفسهم باتباع منهجه التوحيدى.

قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلىٰ أَعْيُنِ النّٰاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ يمكننا أن نفهم من هذه الآيه:بأن ذلك المجتمع قد دبّت اليه أفكار الرفض، حيث كان هناك آخرون غير إبراهيم يدعون الناس الى التحرر من عباده تلك الأصنام،و قد سبق أن استوحينا من آيه أخرى مثل ذلك تلك الآيه هى« قٰالُوا أَ جِئْتَنٰا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللاّٰعِبِينَ ».

[۶۲]قٰالُوا أَ أَنْتَ فَعَلْتَ هٰذٰا بِآلِهَتِنٰا يٰا إِبْرٰاهِيمُ إبراهيم لم ينكر انه فعله أو لم يفعله و إنّما:

[۶۳]قٰالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذٰا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كٰانُوا يَنْطِقُونَ

لا شک إن هذا أسلوب ساخر أراد به إبراهيم علیه السلام أن یلفت به أنظارهم إلی حقیقه معتقداتهم الفاسده،و إلاّ فهم یعلمون مسبقا إن هذه أحجار لا تنطق لأنهم هم الذین صنعوها بأیدیهم.

[۶۴] فَرَجَعُوا إِلیٰ أَنْفُسِهِمْ فَقٰالُوا إِنَّکُمْ أَنْتُمُ الظّٰالِمُونَ أول صدمه نفسیه أصیب بها هؤلاء هی انهیار مکانه الأصنام فی أنفسهم و التی کانت رمزا لإیمانهم بالتاریخ الفاسد،و بالخضوع للحاکم الظالم المتجبر، و اعتقادهم بالأساطیر...إلخ.

فرجعوا الی أنفسهم و قال کلّ منهم لنفسه:أنا الظالم،أنا المخطئ الذی رضیت أن أعبد هذا الصنم،الذی لا ینطق و لا یستطیع أن یدافع عن نفسه.

[۶۵] ثُمَّ نُکِسُوا عَلیٰ رُؤُسِهِمْ و لکنهم باعتبارهم بشر،و باعتبار إن البشر لا یستطیع تحدی واقعه الفاسد بسهوله،أخذتهم العزه بالإثم،و رکبوا مطیه الغرور برغم أنهم عرفوا الحقیقه و أدرکوا بطلان أفکارهم و زیف معتقداتهم فقالوا مکابرین:

لَقَدْ عَلِمْتَ مٰا هٰؤُلاٰءِ یَنْطِقُونَ أی کیف تطلب منا أن نسألهم،و أنت تعلم إنّهم لا یتکلمون،أ تسخر منا أم ما ذا؟!.و إذا کانت الأصنام لا تنطق و لا تتکلم فهی لا تستطیع أن تهدی من یعبدها سواء السبیل،و إذن ما الفائده منها؟ إنّ أهم صفه للاله الذی یعبد هی:أن یکون قادرا علی هدایه الإنسان،لأنّ

أهم حاجه للبشر هی حاجته الی الهدایه،ثمّ إن أبرز میزه فی الإنسان هی العقل و الإدراک،فکیف یرضی بعباده ما لا یعقل.

[۶۶]لذلک فقد حطم إبراهیم علیه السلام فی أنفسهم هیبه الأصنام،و أفهمهم إنّ المحور هو محور الهدی و منطق الحقّ،لا محور الضلال و منطق القوه.

قالَ أَ فَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا یَنْفَعُکُمْ شَیْئاً وَ لا یَضُرُّکُمْ [۶۷]و أمام موقفهم الجاهلی المتغطرس،یواجههم إبراهیم علیه السلام بمنطق العقل، بکلّ هدوء و ثبات لیستثیر عقولهم التی حجبها الکبر و الغرور،و عند ما یری إصرارهم یلجأ الی الهجوم قائلا:

أُفٍّ لَکُمْ وَ لِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ و مره أخری أکدّ إبراهیم علیه السلام علی فضیله العقل فی الإنسان،و ضروره اهتمامه بها و استخدامها من أجل مصلحته و تکامل ذاته.

[۶۸]فلما ادینوا،و دحضت حجتهم الباطله:

قالُوا حَرِّقُوهُ وَ انْصُرُوا آلِهَتَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ فاعِلِینَ و هذا کان آخر کلامهم،و هو:إن إبراهیم علیه السلام یجب أن یحرق،و أن ینتصروا للآلهه ما دام عندهم القوه و القدره،و الرجوله و الشجاعه.

فأعدّوا منطقه واسعه من الأرض جمعوا فیها الحطب لمده أربعه أشهر،لیس فقط من أجل حرق إبراهیم علیه السلام و إنّما أیضا من أجل إعاده هیبه الأصنام،فالطاغوت یعیش علی الهیبه و الإرهاب،و إذا فقد هما لا یبقی عنده شیء یسیطر به علی النّاس.

ص:۳۳۹

و کـان لهم فلسـفه أخری و هی إشـراک النـاس فی جریمه حرق النـبی عن طریق دعوتهم للاـشتراک فی جمع الحطب و إعـداد مکـان لاـحراقه،حتی لاـ تتحرک فیهم المشـاعر الانسـانیه و الفطریه،و یثوروا علی الطـاغیه نمرود،تمامـا کمـا فعل ابن زیاد الوالی الأموی بأهل الکوفه حیث بعث کلّ أهل الکوفه لحرب الامام الحسـین علیه السلام حتی یشرکهم فی جریمه قتل الامام المفترض الطاعه،و بالتالی یأمن سخطهم و ثورتهم مستقبلا.

و صـنعوا لنمرود مکانـا عالیـا یجلس علیه و یتفرج علی عملیه حرق إبراهیم ثمّ توقفوا..مـا ذا نفعـل؟النـار کانت من الشـدّه بحیث تحرق کـلّ من یقترب منها! فأوحی الشـیطان إلیهم بمکیـده فجاءوا بالمنجنیق،و وضـعوا فیه إبراهیم مغلولا،ثمّ قـذفوا به الی تلک النار المستعره قذفا.

ید الرحمه:

[۶۹] قُلْنا یا نارُ کُونِی بَرْداً وَ سَلاماً عَلی إِبْراهِیمَ حینما قال اللّه سـبحانه و تعالی« یا نارُ کُونِی بَرْداً »أخـذ إبراهیم یرتجف من شده البرد،و لکن سرعان ما قال ربنا«و سلاما»فاعتدلت درجه الحراره و قد جاءت قصه مفصله

فی تفسیر علی بن إبراهیم نذکرها فیما یلی لمزید العبر التی فیها:

تقول الروایه- فیمـا تقول-فجلس إبراهیم و جمع له الحطب،حتی إذا کان الیوم الـذی ألقی فیه نمرود إبراهیم فی النار برز نمرود و جنوده و قـد کان بنی لنمرود بناء ینظر منه إلی إبراهیم علیه السـلام کیف تأخذه النار،فجاء إبلیس و اتخذ لهم المنجنیق لأنه لم یقـدر أحـد أن یتقـارب من النـار،و کان الطائر إذا مرّ فی الهواء یحترق،فوضع إبراهیم فی المنجنیق و جاء أبوه فلطمه لطمه و قال له:إرجع عما أنت علیه،و أنزل

الربّ تبارک و تعالی ملائکه الی السماء الدنیا و لم یبق شیء إلاّ طلب الی ربه، و قالت الأرض یا ربّ لیس علی ظهری أحد یعبدک غیره فیحرق؟!و قالت الملائکه:

یا ربّ خلیلک إبراهیم یحرق؟!فقال اللّه عزّ و جل:إنّه إن دعانی کفیته،و قال جبرئیل:یا رب خلیلک إبراهیم لیس فی الأرض أحد یعبدک غیره سلطت علیه عدوه یحرقه بالنار؟فقال:اسکت إنّما یقول هذا عبد مثلک یخاف الفوت،هو عبدی آخذه إذا شئت،فان دعانی أجبته،فدعا إبراهیم علیه السلام ربه بسوره الإخلاص،یا اللّه یا واحد یا أحد یا صمد یا من لم یلد و لم یولد و لم یکن له کفوا أحد نجنی من النار برحمتک،قال:فالتقی معه جبرئیل فی الهواء و قد وضع فی المنجنیق،فقال:یا إبراهیم هل لک إلیّ من حاجه؟فقال إبراهیم علیه السلام أما إلیک فلا،و أما الی ربّ العالمین فنعم،فدفع إلیه خاتما مکتوب علیه لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه صلی الله علیه و آله ألجأت ظهری الی اللّه و أسندت أمری الی اللّه و فوضت أمری الی اللّه،فأوحی اللّه عزّ و جل الی النار:کونی بردا فاضطربت أسنان إبراهیم من البرد حتی قال،و سلاما علی إبراهیم،و انحط جبرئیل علیه السلام و جلس معه یحدثه فی النار و نظر نمرود فقال:من اتخذ إلها فلیتخذ مثل إله إبراهیم،فقال عظیم من عظماء أصحاب نمرود:إنی عزمت علی النار أن لا تحرقه،فخرج عمد من النار نحو الرجل فأحرقه،فآمن له لوط فخرج مهاجرا الی الشام،و نظر نمرود الی إبراهیم فی روضه خضراء فی النار مع شیخ یحدثه فقال لآزر:یا آزر ما أکرم ابنک علی ربّه. (1)

[۷۰] وَ أَرٰادُوا بِهِ کَیْداً فَجَعَلْنٰاهُمُ الْأَخْسَرِینَ هذه عبره لی و لک،تحدّ الطاغوت و تحدّ المجتمع الفاسد المنحرف،و تحدّ الأصنام التی تعبد من دون اللّه،و فی لحظه المواجهه تدرکک رحمه اللّه سبحانه،فلا

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۳-ص ۴۳۲.

تخف،لأن أهم شیء یربطک بعجله الانحراف هو حبائل الخوف و أغلال الرهبه، فاقطع هذه الحبال و تلک الأغلال حتی تتحرر،و تکون أنت الفائز و أعداؤک الأخسرین.

الهجره فی سبیل اللّه:

[۷۱] وَ نَجَّیْنٰاهُ وَ لُوطاً إِلَی الْأَرْضِ الَّتِی بٰارَکْنٰا فِیهٰا لِلْعٰالَمِینَ بدل هذه الأرض المحکومه بالطاغوت،أعطاه اللّه أرضا حره و مبارکه هی فلسطین.

[۷۲] وَ وَهَبْنٰا لَهُ إِسْحٰاقَ وَ یَعْقُوبَ نٰافِلَهً وَ کُلاًّ جَعَلْنٰا صٰالِحِینَ و أعطاه اللّه سبحانه أیضا إسحاق،و من بعده یعقوب،و من بعد یعقوب جیلا من المؤمنین الملتزمین الذین یدعون بالأسباط،حیث عوضه اللّه بهم عن ذلک المجتمع الفاسد الذی اصطدم به فی دعوته التوحیدیه.

و أنت أیها المؤمن أیضا..هاجر و لا تقل هذا أبی و هذا أخی و هذا صدیقی..إلخ،اترک کلّ ذلک و هاجر من المجتمع الفاسد إذا لم تستطع أن تصلحه،و آنئذ یعوضک اللّه تعالی بأفضل منهم.

[۷۳] وَ جَعَلْنٰاهُمْ أَئِمَّهً یَهْدُونَ بِأَمْرِنٰا جعل اللّه الذین هاجروا أئمه و هذه من نتائج الهجره فی سبیل اللّه.

وَ أَوْحَیْنٰا إِلَیْهِمْ فِعْلَ الْخَیْرٰاتِ وَ إِقٰامَ الصَّلاٰهِ وَ إِیتٰاءَ الزَّکٰاهِ هذا هو برنامجه:أعمال الخیر-الزکاه-الصلاه..

وَ كٰانُوا لَنٰا عٰابِدِينَ و التحرر الكامل عن سلطه الشرق و الغرب،و الادانه بالعبوديه المطلقه للّه سبحانه و تعالی فقط.

إنّ هذه القياده و الامامه تجسدت فی إبراهيم عبر أكثر من خمسه آلاف سنه و الی يومنا هذا،فی ذلک اليوم جاءه حاميه ظاهرا و أقرب النـاس إليه و هو عمه آزر-لمـا غلّوا يـديه ليلقوا به فی النار-فبصق فی وجهه و قال:ألم أنهک يا إبراهيم فلما ذا فعلت،هـذا هو جزاء فعلتک..بلی فی تلك الأرض لم يكن أحد يدافع عن إبراهيم، و لكن الی الآن و الأجيال التی بعدنا،تلهج ألسنتهم بذكر إبراهيم و مـدحه،و كلّ واحـد يبحث عن طريقه إبراهيم ليقتـدی به فيها،و هـذا جزاء من أحسن عملا،فی الـدنيا،أمّا الجزاء الأكبر فهو ينتظر المحسنين فی الآخره.

ص:۳۴۳

[سوره الأنبياء (۲۱): الآيات ۷۴ الى ۸۲]

اشاره

وَ لُوطاً آتَيْنٰاهُ حُكْماً وَ عِلْماً وَ نَجَّيْنٰاهُ مِنَ اَلْقَرْيَةِ اَلَّتِي كٰانَتْ تَعْمَلُ اَلْخَبٰائِثَ إِنَّهُمْ كٰانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فٰاسِقِينَ (۷۴) وَ أَدْخَلْنٰاهُ فِي رَحْمَتِنٰا إِنَّهُ مِنَ اَلصّٰالِحِينَ (۷۵) وَ نُوحاً إِذْ نٰادىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنٰا لَهُ فَنَجَّيْنٰاهُ وَ أَهْلَهُ مِنَ اَلْكَرْبِ اَلْعَظِيمِ (۷۶) وَ نَصَرْنٰاهُ مِنَ اَلْقَوْمِ اَلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا إِنَّهُمْ كٰانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنٰاهُمْ أَجْمَعِينَ (۷۷) وَ دٰاوُدَ وَ سُلَيْمٰانَ إِذْ يَحْكُمٰانِ فِي اَلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ اَلْقَوْمِ وَ كُنّٰا لِحُكْمِهِمْ شٰاهِدِينَ (۷۸) فَفَهَّمْنٰاهٰا سُلَيْمٰانَ وَ كُلاًّ آتَيْنٰا حُكْماً وَ عِلْماً وَ سَخَّرْنٰا مَعَ دٰاوُدَ اَلْجِبٰالَ يُسَبِّحْنَ وَ اَلطَّيْرَ وَ كُنّٰا فٰاعِلِينَ (۷۹) وَ عَلَّمْنٰاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شٰاكِرُونَ (۸۰) وَ لِسُلَيْمٰانَ اَلرِّيحَ عٰاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى اَلْأَرْضِ اَلَّتِي بٰارَكْنٰا فِيهٰا وَ كُنّٰا بِكُلِّ شَيْءٍ عٰالِمِينَ (۸۱) وَ مِنَ اَلشَّيٰاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَ يَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذٰلِكَ وَ كُنّٰا لَهُمْ حٰافِظِينَ (۸۲)

اللغه

۷۸[الحرث]:الزرع.

[نفشت]:النفش بمعنى فرار الإبل أو الغنم ليلا ليرعى بدون راع.

ص:۳۴۴

۸۰[صنعه لبوس]:اللبوس هو السلاح الذی یلبس کالدرع.

ص:۳۴۵

هكذا ينصر اللّه رسله بالغيب

هدى من الآيات:

هنا لك سؤالان يتبادران الى الذهن عند ما يقرأ الإنسان القرآن،و هما:

أولا:لما ذا يكثر القرآن من قصص الأنبياء فى آياته؟ ثانيا:لما ذا يذكر القرآن قصص الأنبياء بصوره متفرقه و فى سور مختلفه؟ الجواب على السؤال الأول هو:

أ-لكى يبين لنا بأن رسالات جميع الأنبياء تسير فى خط واحد،و تدعو فى جوهرها الى شىء واحد و هو منهج التوحيد.

ب-لكى يكرس كونهم قدوه و أئمه لنا،و بالتالى نستفيد من أقوالهم و أفعالهم و مواقفهم و نطبقها فى واقع حياتنا العملى الذى نعيشه.

ص:۳۴۶

و الجواب على السؤال الثانى باختصار:

أ-إن القصص التى يوردها القرآن ليست هدفا فى حدّ ذاتها حتى يسردها مره واحده.

ب-إن تكرار القصه فى مواضع متعدده يشعر بأهميتها،و يلفت النظر الى ضروره التفكر فيها و دراستها جيدا،و من ثمّ الاقتداء بأخلاق الأنبياء و مواقفهم فيها.

ج-عند ما يكرر القرآن ذكر القصه الواحده،فانه لا يكرر جزئياتها،و إنّما فى كلّ مره ينقل جانبا معينا منها يتناسب مع المواضيع التى يعالجها السياق،و هذا الأسلوب يلقى أضواء كاشفه على أحداث القصه،و يظهر العبر المطلوبه منها، و كذلك يجعلها شيئا فشيئا تتكامل فى الأذهان لتكون-بالتالى-برنامج عمل فى الحياه بالنسبه الى المؤمنين.

و فى سوره الأنبياء يضرب القرآن الحكيم مثلا من واقع مسئوليه الإنسان فى الحياه،و هى على جانبين:

الأول:مسئوليه أعماله السيئه،و يقابلها العقاب الصارم،كما حدث لقوم لوط و نوح.

الثانى:مسئوليته تجاه أعماله الحسنه،و يقابلها الثواب الجزيل،كما حدث للوط و نوح و من آمن بهما.

كما يبين لنا أن الأنبياء كانوا فى ساعات الشده يتوجهون الى ربهم بالدعاء فينجيهم من بطش أعدائهم،و هذا يكشف لنا إن حياه الأنبياء-أساسا-لم تكن

مفروشه بـالورود،بـل كـان ملؤهـا الآلام و المشاكل،و لكنهم انتصـروا عليها بإذن اللّه،مما يعطينا شـحنه من الأمل و الانـدفاع فى مواجهه صـعوبات حياتنـا و تحـدياتها،إذ سـنكون على يقين من إنّه،إن عجزت قـدراتنا عن الصـمود أمامها فان هناك من يمـدنا بالعون اللازم و هو اللّه العزيز القدير.

بينات من الآيات:

نجاه لوط:

[۷۴] وَ لُوطـاً آتَيْن۪اهُ حُكْمـاً وَ عِلْمـاً أهم نعمه يسـبغها الربّ لعبـده هى نعمه الهـدى،التى تؤدى الى معرفه الحقيقه، و غايه الهـدى النبوه،و قـد أعطى اللّه لوطـا«حكمـا»أى نبوه،و النبوه:ليست مجرد علم غيبى بالحقـائق،بل هى أيضا إذن من اللّه بالاسـتخلاف فى الأرض و بالتالى إمامه الناس.

و لعلّه لذلك اختلفت معانى كلمه«الحكم»و موارد اسـتعمالها فى الكتاب، فحينا تسـتعمل فى الرساله،و حينا فى القضاء،و حينا فى العقل،و الجميع ينتهى الى ذات المنصب الالهى الذى يجمع كلّ تلك الفضائل.

و علما:أى معرفه الحقائق التفصيليه.

و الى جـانب الحكم و العلم أعطى اللّه لوطـا:نعمه أخرى و هى نجـاته من الأخطـار المـاديه و المعنويه المحيطه به،حيث نجاه من القريه التى كان أهلها يقومون باللواط،و قطع الطرق،و كثير من المنكرات و أنقذه من أذى قومه السيئين و الخارجين

عن أمر اللّه و المبعدين عن دينه و شريعته.

وَ نَجَّيْنٰاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كٰانَتْ تَعْمَلُ الْخَبٰائِثَ و نسب السياق المنكرات الى ذات القريه،إشاره الى أنّ جميع أهلها كانوا كذلك،حتى و كأن القريه ذاتها كانت تعمل الخبيث.

إِنَّهُمْ كٰانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فٰاسِقِينَ كانت أخلاقهم سيئه،و كان عملهم فسقا،و مثل هؤلاء لا يتوقع منهم إلّا الشر و الأذى و الاعتداء على رسل اللّه،و على كلّ من يرفع صوته مناديا بالصلاح و التغيير.

[۷۵] وَ أَدْخَلْنٰاهُ فِي رَحْمَتِنٰا إِنَّهُ مِنَ الصّٰالِحِينَ شبّه الرحمه بالبيت الذى يدخله الإنسان،فيحيط به من جميع جوانبه و يحفظه من الأخطار الخارجيه،و يمده بأسباب الراحه و الاطمئنان فى الداخل،و قد أدخل اللّه عز و جل نبيه لوطا فى رحمته الخاصه، لأنه كان من الصالحين،أى كان سليم النيه مخلص القلب عالى الأخلاق.

هكذا استجاب اللّه لنوح عليه السلام :

[۷۶] وَ نُوحاً إِذْ نٰادىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنٰا لَهُ فَنَجَّيْنٰاهُ وَ أَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ هذه الآيه تبين أهميه الدعاء و عظمه شأنه،إذا كان مستكملا لاركانه و شرائطه،فنوح عليه السلام صبر و استقام فى أداء رسالته،و أخلص الطاعه لربه و خالقه،

فلما تعرضت الأمه المنحرفه لخطر الطوفان الرهيب الذى لم يكن ليصمد أمامه شىء،و لم تكن حتى سفينه نوح كافيه للافلات من غضبه الأمواج الهادره،طلب نوح عليه السلام من ربه النجاه،فجاءته الاستجابه الالهيه الكريمه لتشمله هو و من كان معه باللطف و العنايه،و تشير الآيه الى أنّ هناك شرطين أساسيين للدعاء:

أ-العمل فى مسير الدعاء،أى أن يكون الدعاء مصحوبا بما يتمكن عليه الإنسان من العمل و السعى فى اتجاه الهدف المطلوب،لا أن يكون وسيله للقعود و التهرب من المسؤوليه،و نوحا إنّما دعا ربّه بعد ۹۵۰ عاما من الدعوه و الجهاد.

ب-الخشوع و التضرع الى اللّه سبحانه،بحيث يتمثل الإنسان نفسه واقفا بين يدى ملك الملوك جبار السماوات و الأرض،أمّا أن يدعو ربه،و يكون فكره مشغولا بمواضيع دنيويه أو متعلقا بأشخاص آخرين،فهذا ليس من أدب الدعاء و ليس طريقا للاستجابه أبدا.

و الدعاء الصحيح يحوّل الإنسان من حضيض البئر الى ملك يجلس على عرش مصر،كيوسف عليه السلام ،و من رجل مطارد يلقى به فى أتون النار الملتهبه الى إمام للناس يصبح بدايه تاريخ،كإبراهيم عليه السلام ،و من شاب مغمور الى ملك مهاب، كداود عليه السلام ،أو من رجل قد أحاط المرض و الفقر به الى إنسان سوى ثرى ذى أهل و أولاد و جاه فى المجتمع،كأيوب عليه السلام (على نبينا و آله و عليهم أفضل الصلاه و السلام)،و كلّ ذلک جرى بالقدره الالهيه الغيبيه،و بواسطه الألطاف الرحمانيه التى شملتهم،بسبب إخلاص طاعتهم و توجيههم لخالقهم.

و هذا هو معنى المسؤوليه،حيث إنّها لا تقتصر على العمل و تحمّل الأذى و الصعاب فقط،و إنّما تمتد الى انتظار الفرج،و توقع الثواب من قبل الربّ الغنى

الحمید،الذی یعجل بجزء من رحمته لعباده الصالحین فی الدنیا،و یؤجل الأعظم منها الی الحیاه الأبدیه فی الدار الآخره.

[۷۷] وَ نَصَرْنٰاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیٰاتِنٰا إنّ إنقاذ الإنسان من مجتمعه الفاسد قضیه هامه ترکز علیها هذه الآیات بل کلّ سوره الأنبیاء،و إنّ من الأصنام المجتمع الذی إن لم یقدر علی إصلاحه فعلیه أن ینقذ نفسه منه باللجوء الی اللّه،فان البلاء إذا نزل عمّ،و هکذا أنقذ اللّه نوحا من اَلْقَوْمِ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیٰاتِ اللّٰهِ .

إِنَّهُمْ کٰانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنٰاهُمْ أَجْمَعِینَ کانت أعمالهم منحرفه و نفوسهم خبیثه،لذلک أغرقهم اللّه،و لم یبق أحد منهم علی الأرض،حیث استجاب الربّ دعاء نوح فیهم حین دعاه قائلا:« رَبِّ لاٰ تَذَرْ عَلَی الْأَرْضِ مِنَ الْکٰافِرِینَ دَیّٰاراً ».

سلیمان و القضاء الفصل:

[۷۸] وَ دٰاوُدَ وَ سُلَیْمٰانَ إِذْ یَحْکُمٰانِ فِی الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِیهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَ کُنّٰا لِحُکْمِهِمْ شٰاهِدِینَ من مظاهر رحمه اللّه بعبده الذی یبحث عن الهدی و یجاهد من أجله،إنّ اللّه سیهدیه.و سوره الأنبیاء تؤکد فی مواضع مختلفه علی هذه الفکره و هی:إن العقل و الهدی أفضل نعمه یتمتع بها الإنسان،و قد وهب اللّه هذه النعمه لداود و سلیمان حیث کانا یحکمان فی قضیه معقده وقعت علی عهدهم حیث إنّ قطیعا من غنم قوم دخل حقل کرم لقوم آخرین،و أفسد الزراعه.و لعلنا نستوحی من هذه القصه إنّ

مجتمع داود كـان ينقسم الى قسـمين:مجتمع زارعى،و مجتمع رعـاه،و كـانوا يختلفون، حيث إنّ الرعـاه كانوا يأتون بأغنامهم الى المـدينه و يطلقونها فاذا جنّ الليل تهيـج الأغنام فتـدخل فى الحقول المزروعه و تعبث بها،و كان أصـحاب الحقول يطالبون بدفع تعويضات عن خسارتهم.

قال تعالى:

إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ إنّ الغنم ترعى فى الليـل بشـكل غير منتظم،و هكـذا حين دخلت على مزرعه النـاس أهلكتهـا،فلمـا جـاء المزارعون رأوا أنّه لم يبق من كرومهم شـىء،لاـ العناقيـد و لا الأوراق،فحكم داود-كما جاء فى بعض النصوص-أن يكون الغنم من نصـيب صـاحب الحقـل،و لعـل حكمه هـذا القضاء تكمن فى أن على أصـحاب الماشـيه حفظها ليلا بينما على صاحب الزرع حفظها نهارا،حيث

جاء فى حـديث مأثور عن رسول الإسـلام محمد بن عبد اللّه صـلى الله عليه و آله :«إنّه قضـى بحفظ المواشـى على أربابها ليلا،و قضى بحفظ الحرث على أربابه نهارا. » (۱)و حسب ما

جاء فى الحديث :«كان سليمان جالسا عند والده،فقام،و قال:

لا يا أبتاه ليس الحكم كما ذكرت،قال:فما هو الحكم؟قال:الحكم هو أن نعطى البساتين التى أتلفت بسـبب نفش الغنم،لأصـحاب الأغنام ليقوموا بإصلاحها،و نعطى الأغنام لأصحاب البساتين يستفيدون من لبنها و صوفها و نتاجها حتى تصلح بساتينهم،ثمّ يرجع كلّ شىء لصاحبه،فيكون أصحاب الغنم قد دفعوا ثمن إهمالهم و تفريطهم، و يكون أصحاب البساتين قد عوضوا عن

۱- ۱) مجمع البيان/ج ۷-ص ۵۸.

الإضرار التی لحقت بمزروعاتهم ».

[۷۹] فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ لقد أعطی اللّه الحکم لسلیمان حیث کان وصی داود،و کان شدید الاهتمام بتحمل مسئولیته،و کان یسعی نحو تطبیق العداله،فوهب اللّه له حکما.

وَ کُلاًّ آتَيْنا حُكْماً وَ عِلْماً داود أیضا کان علی حقّ،و هنا نتعرض للسؤال التالی:إذا کان داود نبیا کسلیمان،فکیف اختلف قضاؤهما،و هل کان کلا الحکمین صحیحا،کما نستوحی من هذه الآیه،إذا کیف یکون لواقعه واحده حکمان مختلفان؟ الجواب:

أولا:جاء فی النصوص ما یوحی الی أنّ الحکم الثانی کان بمثابه النسخ، حیث

یسأل أبو بصیر عن أبی عبد اللّه علیه السلام قال قلت له:قول اللّه عز و جل:« وَ داوُدَ وَ سُلَيْمانَ إِذْ يَحْكُمانِ فِي الْحَرْثِ »قلت:حین حکما فی الحرث کان قضیه واحده؟ فقال علیه السلام :«إنّه کان أوحی اللّه عز و جل الی النبیین قبل داود الی أن بعث اللّه داود:أیّ غنم نفشت فی الحرث فلصاحب الحرث رقاب الغنم،و لا یکون النفش إلاّ باللیل،فان علی صاحب الزرع أن یحفظه بالنهار،و علی صاحب الغنم حفظ الغنم باللیل،فحکم داود بما حکمت به الأنبیاء علیه السلام من قبله،و أوحی اللّه عز و جل الی سلیمان علیه السلام :و أیّ غنم نفشت فی زرع فلیس لصاحب الزرع إلاّ ما خرج من بطونها،و کذلک جرت السنه بعد سلیمان علیه السلام و هو قول اللّه عز و جل:

وَ كُلاًّ آتَيْنا حُكْماً وَ عِلْماً فحکم کلّ واحد منهما بحکم اللّه عز و جل. » (۱)

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۳-ص ۴۴۲.

ثانیا:

جاء فی حدیث مأثور :«إنّ اللّه أراد أن یکشف للناس فضل سلیمان، و إنّه وصیّ أبیه و خلیفته من بعده. » (۱)ثالثا:إن داود لم یحکم إنّما کان یناظر ابنه فی الحکم،و بذلک أیضا وردت نصوص شرعیه.

رابعا:إن قیمه ما أتلفه الغنم فی حقل القوم کانت بقیمه الغنم،و کانت هناک طریقتان لاستیفاء هذه القیمه:الأولی أخذ الغنم،و الثانیه أخذ نتاجها لعام واحد،و قد حکم کلّ نبی بطریقه معینه،و قد قال داود لسلیمان بعد الحکم، فکیف لم تقض برقاب الغنم،و قد قوّم ذلک العلماء من بنی إسرائیل فکان ثمن الکرم قیمه الغنم،فقال سلیمان إن الکرم لم تجتث من أصله و إنّما أکل حمله و هو عائد فی قابل. (۲)

النعمه و المسؤولیه:

وَ سَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ یُسَبِّحْنَ وَ الطَّیْرَ وَ کُنّا فاعِلِینَ هناک تفاسیر مختلفه وردت فی هذه الکلمات لعلّ أقربها-و اللّه العالم-إنّ اللّه سبحانه و تعالی سخر لداود علیه السلام الجبال بما فیها من معادن و إمکانات،و سخر له الطیور بما تملک من قدرات علی الطیران،فما بال الإنسان یتمرد علی ربه،و هو یستخدم المعادن من الجبال،و یسخّر الطیور،فیا أیها الإنسان:إن الحدید المسخر لک لیس ملکک إنّما هو بیدک لفتره محدوده،و هذه الآله الحدیدیه التی تستخدمها قد تأتی یوم القیامه و تقول:إلهی أنت سخرتنی لفلان فما فضله علیّ،فاذا استطعت

ص:۳۵۴

۱- ۱) المصدر/ص ۴۴۳.

۲- ۲) المصدر.

أن تثبت-يوم القيامه-بأنك كنت إنسانا،و تحملت مسئوليتك فی الحياه فأنت أفضل من الحديد.

إنّ الطيور و الجبال و الأشياء كلها للّه و ليست لنا،و لكن كلما سخرنا الأشياء، كلما ازدادت مسئوليتنا و كبرت،و يوم القيامه نحاسب حسابا عسيرا.إذا كانت هناك أرض(موات)و كان من الممكن إصلاحها و استصلاحها بناء أو زارعه أو رعيا أو أىّ شیء آخر،و لم تصلحها،فان هذه الأرض قد تأتی يوم القيامه لتشتكی عند اللّه قائله:إلهی أنت سخرتنی من أجل الناس و لكنهم لم يستفيدوا منی.

إنّ المسؤوليه بالنسبه للإنسان دقيقه و شامله فهو مسئول عن كلّ ما يحيط به، كما هو مسئول عن نفسه و أهله و مجتمعه.

إنّ داود لم يكن بالذی يسخر الجبال بقوته الذاتيه،و البشر ليسوا بالذين يسخرون الحديد و النار بطاقاتهم الذاتيه،بل اللّه يفعل كلّ ذلك بقدرته و يسخرها لهم بفضله،فلو نامت البشريه ليله ثمّ استيقظت و قد سلب اللّه منهم العقل لأصبحوا و حوشا بكماء،فهل يقدرون علی شیء من حضارتهم؟كلا..و لا تشغيل سياره أو إناره مصباح فلما ذا لا يشكرون اللّه بعمل الصالحات،و تحمل المسؤوليه؟ [۸۰] وَ عَلَّمْنٰاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شٰاكِرُونَ اللبوس:كلّ أداه حربيه يلبسها الإنسان من درع و جوشن و غيره،و البأس الحرب.

لقد كانت حركه داود إصلاحيه فى الأرض،تتطلب صدّ هجمات الأعداء و المعارضين،و لذلك فقد ألهمه اللّه طريقه صنع الدروع،و ألان له الحديد،و هناك نكته ظريفه فى الآيه و هى:إنّ اللّه لم يعلمه صناعه آلات حربيه هجوميه مدمره،بل اقتصر على الآلات الدفاعيه و لعلّ ذلك يوحى بأن الرسالات الالهيه لا تدعو الى القتل و الدمار ابتداء،و انما هى تدعو الى الإصلاح و السلام،و لذلك فهى بحاجه الى الدفاع عن نفسها فى مواجهه أعداء الإسلام و الانسانيه.

[۸۱] وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ عاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِى بارَكْنا فِيها وَ كُنّا بِكُلِّ شَيْءٍ عالِمِينَ كانت الريح تحمل سليمان عليه السلام بأمر اللّه سبحانه لتنقله الى أىّ مكان شاء فى مده قصيره،و قد يأتى يوم يكتشف فيه علماء التاريخ و الآثار إن الطائره كانت مصنوعه من أيام سليمان عليه السلام ،حيث كانت تنقله يوميا بين القدس و قلاع بعلبك ليشرف على أمور مملكته.

[۸۲] وَ مِنَ الشَّياطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَ يَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذلِكَ الى الآن لم يصل العلم هذا المستوى،و لكن ليس من المستحيل أن يستخدم البشر الشياطين فى يوم ما ليقوموا ببعض الأدوار،إنّ البشر الآن يستخدم أنواعا من الحيوانات كالدلافين فى أعمال الانقاذ أو عمليه التجسس،و الكلاب لاكتشاف المجرمين،و الحمام الزاجل لنقل الرسائل،و هكذا..و لكنه فى المستقبل ينبغى أن يصل الى درجه استخدام الأرواح و الشياطين.

الغوص كان أصعب الأعمال حيث لم يكن أحد من البشر فى تلك الأيام يستطيع القيام به و لكن الشياطين كانوا يقومون به بكلّ سهوله بالاضافه الى أعمال

ص:۳۵۶

أخرى أيضا،مثل البناء..

إن الـذاهب الى بعلبـك يرى تلـك القلاع الضـخمه المبنيه من صـخور هائله و التى لا يعرف البشـر الى الآن كيف جیء بها إلى هنـاك من أمـاكن بعيـده،حيث إنّ تلـك الصـخور لم تكن موجـوده فی تلـك الأـرض،من أتی بهـذه الصـخور،و من بنی تلك القلاع؟يبدو أنّ الشياطين فعلوا ذلك.

وَ كُنّا لَهُمْ حافِظِينَ إنّ هـذه الطاقه الهائله المتمثله بالشـياطين لم تكن فالته الزمام،بل كانت محفوظه فی إطارها المرسوم من قبل اللّه سـبحانه و تعـالى،و هـذه إشـاره للإنسـان بأن توجهه الى اللّه و توكله عليه يعطيه إمكانيه لتسـخير الأشـياء،و حل المشاكل فى الحياه.

ص:٣٥٧

[سوره الأنبياء (۲۱): الآيات ۸۳ الی ۹۱]

اشاره

وَ أَيُّوبَ إِذْ نٰادىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ اَلضُّرُّ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ اَلرّٰاحِمِينَ (۸۳) فَاسْتَجَبْنٰا لَهُ فَكَشَفْنٰا مٰا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَ آتَيْنٰاهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنٰا وَ ذِكْرىٰ لِلْعٰابِدِينَ (۸۴) وَ إِسْمٰاعِيلَ وَ إِدْرِيسَ وَ ذَا اَلْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ اَلصّٰابِرِينَ (۸۵) وَ أَدْخَلْنٰاهُمْ فِي رَحْمَتِنٰا إِنَّهُمْ مِنَ اَلصّٰالِحِينَ (۸۶) وَ ذَا اَلنُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغٰاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنٰادىٰ فِي اَلظُّلُمٰاتِ أَنْ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ أَنْتَ سُبْحٰانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ اَلظّٰالِمِينَ (۸۷) فَاسْتَجَبْنٰا لَهُ وَ نَجَّيْنٰاهُ مِنَ اَلْغَمِّ وَ كَذٰلِكَ نُنْجِي اَلْمُؤْمِنِينَ (۸۸) وَ زَكَرِيّٰا إِذْ نٰادىٰ رَبَّهُ رَبِّ لاٰ تَذَرْنِي فَرْداً وَ أَنْتَ خَيْرُ اَلْوٰارِثِينَ (۸۹) فَاسْتَجَبْنٰا لَهُ وَ وَهَبْنٰا لَهُ يَحْيىٰ وَ أَصْلَحْنٰا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كٰانُوا يُسٰارِعُونَ فِي اَلْخَيْرٰاتِ وَ يَدْعُونَنٰا رَغَباً وَ رَهَباً وَ كٰانُوا لَنٰا خٰاشِعِينَ (۹۰) وَ اَلَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهٰا فَنَفَخْنٰا فِيهٰا مِنْ رُوحِنٰا وَ جَعَلْنٰاهٰا وَ اِبْنَهٰا آيَةً لِلْعٰالَمِينَ (۹۱)

ص:۳۵۸

وحده الرسالات و الأنبياء

هدى من الآيات:

فی الدرس السابق بیّنا إنّ الأنبیاء علیهم الصلاه و السلام هم قدوات للبشر و إنّما تتکرر قصصهم فی القرآن الحکیم-المره بعد الأخری-و بأسالیب مختلفه لکی تتکرس قیادتهم للبشریه،و لا تزال آیات القرآن الحکیم تؤکد هذه الفکره،فبعد أن تذکر قصص بعض الأنبیاء علیهم الصلاه و السلام،تبین إنّ هؤلاء جمیعا کانوا یتبعون خطا فکریا واحدا هو التوحید،و لذلک یجب علی الإنسان أن یتبعهم و یتخذهم قدوات فی حیاته،و إن أفعال الأنبیاء علیه السلام و صفاتهم و سیرتهم،و إن اختلفت صورها،فانها واحده فی المحتوی،و إنّ وحده الأفعال و الصفات و السیر عندهم هی بقدر یکفی الإنسان للاقتداء بهم.

و بالرغم من إنّ القرآن الکریم فی هذه السوره بالذات لم یبیّن جوانب عدیده من حیاه الأنبیاء،إنما أشار الی أسمائهم و الی أبرز صفاتهم إشاره خاطفه،لکنه مع

ذلك يقول فی نهایه قصصهم« إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وٰاحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ »، لما ذا؟ لكی یقول لنا بأن هذه المجموعه هی المجموعه«القدوه»و هی المجموعه «الامام»بالنسبه إلیكم أیها البشر.

و لتأكید هذه الفكره تشیر هذه الآیات و التی قبلها الی هؤلاء و تأتی بأسمائهم متتالیه بالرغم من إنّهم كانوا فی عصور مختلفه و أمصار متفرقه،حتی إنّ القرآن أتی بأسمائهم بصوره غیر مرتبه تاریخیا.

فیذكرنا بموسی ثمّ بإبراهیم ثمّ بنوح،ثمّ بسلیمان و أیوب،ثمّ بإدریس،و بین هؤلاء آلاف السنین،و إن أحدهم قبل أو بعد الآخر،و ذلك لكی لا یقول فرد أو مجتمع ما إننی أتبع النبی الأخیر و لا أتبع النبی الأول،أو إننی أؤمن بالنبی الأوسط أو الأول دون الأخیر،فكلهم نور واحد،و یجب علینا أن نقتدی بهم جمیعا.

و القرآن الحكیم یتبع ببیانه للقصص و الأحكام و العبر و الأمثال،خطا واحدا هو خط التوحید،و التوحید هو:صبغه القرآن التی یضعها علی كلّ قصه،و علی كلّ عبره،و كلّ حكم تشریعی،و كلّ رؤیه و بصیره.

و إنّ للّه سبحانه أسماء حسنی و یهدینا الذكر الی أسماء ربنا العزیز،و من هنا تجد و كأن كلّ سوره من سور القرآن قد خصصت لبیان اسم من أسماء اللّه الحسنی،و هذه السوره بالذات تبین اسم المجیب حیث إنّ اللّه قریب من الإنسان، یستجیب له و یسمع نداءه و الأنبیاء الكرام علیهم الصلاه و السلام بعد أن توكلوا علیه فی أشد لحظات حیاتهم،فاذا به یستجیب لهم و ینصرهم،و یعطیهم أكثر مما طلبوا.

و هـذه من خصائص فضل اللّه سبحانه و تعالی،إذا فتحت أبواب رحمته فانها تفیض من کلّ جانب لکثرتها و تنوعها حتی تکون حیاتـک أضـیق من استیعـاب کـلّ رحمه اللّه،کما إذا فتحتت أبواب السـماء بالمطر کیف نری الأرض عاجزه عن اسـتقبال أمطار السماء حتی أنها تعید الزائد منها الی البحار مره أخری.

بینات من الآیات:

قصه النبی الصابر:

[۸۳]أصـیب بـالمرض و مات أهله،و نفـذت مواشـیه،و کان عزیزا فی قومه فافتقر،فابتعـد عن الناس بسـبب فقره و مرضه،و کانت زوجته الوفیه هی التی تخـدمه،و تنفق علیه و ذلک بقیامها بالخـدمه فی بیوت الناس بعد أن کانت ملکه فی قریتها،و حینما یطفح به الکیل یبـدأ بالـدعاء،ذلک هو النبی الصابر أیوب علیه السـلام،و لکن انظر کیف یدعو؟ [۸۳] وَ أَیُّوبَ إِذْ نٰادیٰ رَبَّهُ أَنِّی مَسَّنِیَ الضُّرُّ لأنّ اللّه عالم بما أصاب أیوب،فلا بدّ أن یکون نداءه استعطافا و دعاء و کأنه یقول یا رب إنّ الضر قد بلغ منی غایته،و لعلّ التعبیر ب(النـداء)هنا للدلاله علی إنّ الضـر قد دفع بأیوب إلی أن یعلو صوته و یصـرخ،مع أنّ اللّه قریب یناجی و لیس ببعید حتی ینادی.

وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرّٰاحِمِینَ أرحم الراحمین،فإلیک أتوجه بالدعاء لترفع عنی هذا الضر.

[۸۴] فَاسْتَجَبْنا لَهُ فَكَشَفْنا ما بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَ آتَيْناهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَ ذِكْرى لِلْعابِدِينَ هذه عبره لنا نحن الذين نعبد اللّه لكى نعلم،أىّ رب رحيم نعبده،و كيف إنّه يستجيب دعاءنا،فلا يكشف السوء عنا فقط،إنّما و يزيدنا من فضله أيضا.

و يبقى سؤال:لما ذا ابتلى الربّ أيوب و هو النبى العظيم المكرّم عند ربّه؟ و ما ذا كانت بليته،و ما الذى نعتبره من قصته؟ للاجابه عن هذه الأسئله و غيرها أنقل هنا نص حديثين مأثورين عن أئمه الهدى عليهم السلام:

۱-الحديث الأول

مأثور عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عن أبيه الباقر عليه السلام يفنّد فيه الإمام المزاعم التى كانت رائجه و تدعى أن أيوب ابتلى بسبب ذنب ارتكبه،و أنه قد بلغ به البلاء حدا نبذه النّاس،يقول الامام عليه السلام :«إنّ أيوب عليه السلام ابتلى بغير ذنب،و أن الأنبياء معصومون لا يذنبون و لا يزيغون و لا يرتكبون ذنبا صغيرا و لا كبيرا»و قال عليه السلام :«إنّ أيوب مع جميع ما ابتلى به لم تنتن له رائحه،و لا قبحت له صوره و لا خرجت منه مده من دم و لا قيح،و لا استقذره أحد رآه،و لا استوحش منه أحد شاهده،و لا تدود شىء من جسده،و هكذا يصنع اللّه عز و جل بجميع من يبليه من أنبيائه و أوليائه المكرمين عليه،و إنما اجتنبه الناس لفقره، و ضعفه فى ظاهر أمره،لجهلهم بما له عند ربه تعالى ذكره من التأييد و الفرج (۱)، و قد قال النبى صلى الله عليه و آله أعظم الناس بلاء الأنبياء،ثمّ الأمثل فالأمثل،و إنّما ابتلاه اللّه بالبلاء العظيم الذى يهون معه على جميع الناس لئلا يدعوا له معه

۱- ۱) فى المصدر(القرح)و أظنه خطأ.

الربوبیه [(۱)](#)إذا شاهـدوا ما أراد اللّه تعالی ذکره أن یوصـله إلیه من عظائم نعمه متی شاهدوه،لیستدلوا بذلک علی إنّ الثواب من اللّه تعالی علی ضـربین:استحقاق و اختصاص و لئلا یحقّروا ضعیفا لضعفه،و لا فقیرا لفقره،و لا مریضا لمرضه، و لیعلموا أنّه یسقم من یشـاء و یشـفی من یشاء،متی شاء کیف شاء بأیّ شـیء شاء،و یجعل ذلک عبره لمن یشاء،و شـقاوه لمن یشاء،و هو عز و جل فی جمیع ذلـک عـدل فی قضـائه،و حکیم فی أفعـاله،لاـ یفعـل بعبـاده إلاّـ الأصـلح لهم و لاـ قوه إلاّ باللّه. » [(۲)](#)هکـذا یؤکد هذا الحدیث:إن حکمه ابتلاء أیوب(أو لا أقل العبره التی نسـتوحیها منه)عدم جعل البلاء فی الدنیا دلیلا علی غضب اللّه،بل قد یکون دلیلا علی قرب صاحبه من اللّه.

۲-أما الحدیث الثانی

المروی عن أبی بصیر عن الامام الصادق علیه السلام فانه یفصّل القول فی بلاء أیوب کیف کان،و متی طفح کیل الصبر عنده:

إنّما کانت بلیه أیوب التی ابتلی بها فی الدنیا،لنعمه أنعم اللّه بها علیه فأدی شکرها،و کان إبلیس فی ذلک الزمان لا یحجب دون العرش،فلما صـعد عمل أیوب بأداء شـکر النعمه،حسـده إبلیس،فقال:یا رب إن أیوب لم یؤد شـکر هذه النعمه إلاّ بما أعطیته من الـدنیا فلو حلت بینه و بین دنیاه،ما أدی إلیک شـکر نعمه،فقال:قـد سـلطتک علی دنیاه،فلم یـدع له دنیا و لا ولـدا إلاّ أهلک کلّ شیء له،و هو یحمد اللّه عز و جل،ثمّ رجع إلیه فقال:یا رب إن أیوب یعلم إنّک

۱- ۱) کذا فی النص و أظنه خطأ و المعنی لکی لا ینسبوا أیوب الی الربوبیه،هذه الفکره مذکوره فی نصوص أخری أیضا.

۲- ۲) المصدر/ص ۴۴۷.

سترد إليه دنياه التی أخذتها منه،فسلطنی علی بدنه تعلم إنّه لا یؤدی شکر نعمه، قال اللّه عز و جل:قد سلطتک علی بدنه ما عدا عینه و قلبه و لسانه و سمعه،فقال أبو بصیر:قال أبو عبد اللّه علیه السلام :فانقض مبادرا،خشیه أن تدرکه رحمه اللّه عز و جل فتحول بینه و بینه،فنفخ فی منخریه من نار السموم،فصار جسده نقطا نقطا (۱)، فلما اشتد به البلاء و کان فی آخر بلیته جاءه أصحابه فقالوا:یا أیوب ما نعلم أحدا ابتلی بمثل هذه البلیه إلاّ لسریره سوء،فلعلّک أسررت سوء فی الذی تبدی لنا، قال:فعند ذلک ناجی أیوب ربّه عز و جل:رب ابتلیتنی بهذه البلیه و أنت تعلم إنّه لم یعرض لی أمران قط إلاّ لزمت أخشنهما علی بدنی،و لم آکل أکله قط إلاّ و علی خوانی یتیم،فلو أن لی منک مقعد الخصم لأدلیت بحجتی (۲)قال:

فعرضت سحابه فنطق فیها ناطق فقال:یا أیوب أدل بحجتک،قال:فشد علیه مأزره و جثا علی رکبتیه و قال:ابتلیتنی و أنت تعلم إنّه لم یعرض لی أمران قط إلاّ لزمت أخشنهما علی بدنی،و لم آکل أکله من طعام إلاّ و علی خوانی یتیم،قال:

فقیل له:یا أیوب من حبب إلیک الطاعه؟قال:فأخذ کفا من تراب فوضعه فی فیه ثم قال:أنت یا ربّ. (۳)

و نستوحی من هذه الروایه عده حقائق:

أ-إنّ شکر أیوب کان عظیما فامتحنه اللّه سبحانه بأعظم البلاء لیعرف الناس أن الشکر لیس عند الرضاء فی منطق الأنبیاء،بل و أیضا عند البلاء،و إنّ أیوب و سلیمان فی الشکر سواء.

۱- ۱) الی هنا ینقطع الحدیث المأثور عن کتاب علل الشرائع عن أبی بصیر،و یستمر بعدئذ حدیث آخر مشابه له مأثور فی الإمام موسی بن جعفر علیه السلام .انظر المصدر.

۲- ۲) ادلی لحجته:طرحها و أصبح بها

۳- ۳) المصدر/ص ۴۴۷-۴۴۸.

ب-إن حكمه النبوه تتنافى مع التغيير،و لذلك فان اللّه لا يدع أنبياءه عليهم السلام يتعرضون للشماته بل يستجيب دعاءهم.

ج-إنّ أيوب ذلك العبد الصابر و ذلك النبى الكريم عند اللّه،تاب الى ربه فور ما صدر منه ما يبدو أنه نوع من الفخر بعلمه،بالرغم من إنّ صبره و شكره و اجتهاده كان كلّ ذلك عظيما غايه العظمه.

صبر الأنبياء:

[۸۵] وَ إِسْمٰاعِيلَ وَ إِدْرِيسَ وَ ذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصّٰابِرِينَ يذكر اللّه سبحانه إدريس و ذا الكفل و إسماعيل عليه السلام معا بالرغم من إن ترتيبهم الزمنى كان هكذا:إدريس ثم إسماعيل فذا الكفل،و ذلك لكى يبيّن صفه يجب أن نقتدى بهم منها و هى صفه(الصبر).

لقد صبر إدريس على دعوه قومه فلم يستجب له إلاّ قليل حتى رفعه اللّه إليه.

أما إسماعيل فقد ابتلاه اللّه حين أمر والده بأن يتركه و أمه بواد غير ذى زرع عند بيت اللّه الحرام،فذاق العطش و الغربه،و كان فيهما صابرا،حتى إذا بلغ أشده، أمر والده بذبحه فأسلم للّه صابرا محتسبا.

و أما ذا الكفل فقد كان مرسلا الى قومه يتبع شريعه داود عليه السلام و قد كفل مجموعه من الأنبياء يقال:إنهم سبعون،فأطلقهم و بقى مسجونا فى بئر عميقه وضع على رأسها صخره كبيره،و ظل صابرا،الى أن أهلك اللّه الطاغوت فأطلق سراحه بعد ذلك.

ص:۳۶۶

[۸۶] وَ أَدْخَلْنٰاهُمْ فِی رَحْمَتِنٰا إِنَّهُمْ مِنَ الصّٰالِحِینَ فلأنهم کانوا من الصالحین أدخلهم اللّه فی رحمته،و نحن أیضا یجب أن نصبح من الصابرین الصالحین حتی یدخلنا اللّه معهم.

دعاء یونس:

[۸۷] وَ ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغٰاضِباً إن کلمه«ذا النون»تعنی لغویا صاحب الحوت و هی تشیر الی نبینا یونس بن متی علیه السلام ،و قصته تلخص فی أنه دعا علی قومه حیث لم یستجیبوا للرساله و ذلک قبل أن یکون وقت الدعاء علیهم،ثمّ خرج من قریته التی تضم حوالی(۱۲۰)ألف شخص و هاجر عنها و هو یحسب أنّه خرج من ضیق قومه حیث ابتعد عن الذین أصروا علی عدم قبول دعوته،رغم إنّه بذل فی إقناعهم جهودا کبیره،و لکنه انتقل من مکان ضیق الی ما هو أضیق منه،فی بطن الحوت،الذی ابتلعه فمکث هناک و هو فی حاله کرب شدیده.

فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَیْهِ أی اعتقد أنه سیتجه الی الحریه،بینما کان یتجه الی السجن الرهیب.

ذهب الی شاطئ البحر حیث جاءت سفینه فرکب فیها،و إذا بحوت ضخم یهاجم السفینه لیبتلعها،فقال أهل السفینه دعونا نقترع فنأخذ واحدا من رکاب السفینه و نلقی به الی الحوت فیترک السفینه تواصل رحلتها،و هکذا فعلوا فوقعت القرعه علیه کما قال ربّنا سبحانه:« فَسٰاهَمَ فَکٰانَ مِنَ الْمُدْحَضِینَ »(الصافات/۱۴۱).

ص:۳۶۷

لما اقترعوا ثلاث مرات خرج اسم يونس فيها جميعا،و هـذا كان من تقدير اللّه سـبحانه،لسـجن نبيه عبره لنا،فالقى فى البحر حيث يسارع ذلك الحوت الى ابتلاعه و غاص به فى الأعماق فأصـبح يونس فى ظلمات متراكمه،و هنا أدرك خطأه فأخذ يسـتغفر ربه و يناجيه،تائبا معتذرا معترفا بكمال اللّه تعالى و بنقصانه هو:

فَنادى فِي الظُّلُماتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاّ أَنْتَ إن الأنبياء معصومون،و لكنهم يشـعرون أمام اللّه سبحانه بالذنب و التقصير، و حتى عبادتهم لاـ يعتبرونهـا عبـاده لفرط إيمـانهم باللّه،و تجلى نور اللّه فى أفئـدتهم، و يعتبرون عبادتهم نوعا من التقصـير بحق اللّه،لأنها بالتالى عبادات بشر ضعفاء عاجزين لذلك يقول:

سبحانك أنت النزيه المقدس،أما نحن فبشر نتصف بالنقص و الجهل و العجز.

إِنِّى كُنْتُ مِنَ الظّالِمِينَ لأننى من البشر،و أنا شخصيا أتحمل مسئوليه خطئى و لا أحمله ربّى أو الأقدار.

[٨٨] فَاسْـتَجَبْنا لَهُ وَ نَجَّيْناهُ مِنَ الْغَمِّ وَ كَذلِكَ نُنْجِى الْمُؤْمِنِينَ إن كلمه« نُنْجِى الْمُؤْمِنِينَ »تعطينا الأمل بأننا مهما فرّطنا فى جنب اللّه فان باب الاستغفار مفتوح أمامنا،و رحمه اللّه قابله لأن تسعنا فلا داعى لليأس و القنوط.

دعاء زكريا:

[۸۹] وَ زَكَرِيّٰا إِذْ نٰادىٰ رَبَّهُ رَبِّ لاٰ تَذَرْنِي فَرْداً وَ أَنْتَ خَيْرُ الْوٰارِثِينَ يقول:يا ربّ أنت الإله،و أنت الوارث،و لكنى أحتاج الى من يرثنى، و زكريا عليه السلام لم يكن يطلب من اللّه وارثا يرث أموره الماديه،إنّما كان يطلب وارثا يرث رسالته،حسبما يبدو لى.

[۹۰] فَاسْتَجَبْنٰا لَهُ وَ وَهَبْنٰا لَهُ يَحْيىٰ وَ أَصْلَحْنٰا لَهُ زَوْجَهُ أى جعلنا له أسره مثاليه.

فيحيى كان نبيا منذ الطفوله،و زكريا الذى قضى عمرا فى تبليغ الرساله و الدعوه إليها،و كان شيخ المرسلين و كانت زوجته صالحه،فكوّنوا جميعا تلك الاسره المتكامله.

إِنَّهُمْ كٰانُوا يُسٰارِعُونَ فِي الْخَيْرٰاتِ هذه الأسره قامت على أساس المسارعه فى الخيرات،و إنّ كلّ تجمع يدور حول محور معين،و ذلك المحور يعتبر روح التجمع،و الاسره الفاضله هى الأسره التى تتجمع و تتعاون و ينـدفع أفرادها الى أعمال الخير التى تعود عليهم و على مجتمعهم بالازدهار و التقدم.

وَ يَدْعُونَنٰا رَغَباً وَ رَهَباً و الصفه الاخرى لهذه الأسره هى المزيد من التوجه الى اللّه سبحانه،و العمل

بمنهجه،و التمسک بروح العباده و جوهر العباده،و لبّ الإیمان و هو الدعاء،لأنه حبل متصل بین المرء و ربّه.

و إذا خافوا من شیء دعوا اللّه،و إذا أرادوا شیئا دعوا اللّه، و لذلک

جاء فی محتوی الحدیث الذی یخاطب به اللّه موسی:«ادعنی لملح طعامک ».

وَ کٰانُوا لَنٰا خٰاشِعِینَ الخشوع:هو صدق التوجه الی اللّه،و عمیق المعرفه بالنفس و عجزها و تقصیرها.

مریم نموذج المرأه الفاضله:

[۹۱] وَ الَّتِی أَحْصَنَتْ فَرْجَهٰا فَنَفَخْنٰا فِیهٰا مِنْ رُوحِنٰا إن اللّه قد خلق لکلّ الأجیال و لکلّ الأفراد و لکلّ الطبقات،و لکلّ الحالات البشریه نموذجا یقتدی به،و من النماذج المطلوبه فی کلّ زمان و خصوصا فی وقتنا الحاضر،«المرأه القدوه»و کانت تلک المرأه القدوه هی(مریم بنت عمران)علیها السلام.

لقد اعتصمت من الرذیله فأعطاها اللّه سبحانه عیسی،و ذلک بعد أن نفخ جبرئیل فی جیبها فحملت من دون أن یمسها بشر.

وَ جَعَلْنٰاهٰا وَ ابْنَهٰا آیَةً لِلْعٰالَمِینَ أن تحمل امرأه عذراء لم تتزوج و لم یمسها أیّ بشر،و تلد طفلا سویا-معجزه عظیمه-جعلها اللّه للنّاس فی جمیع الأجیال آیه داله علی هیمنته علی الکون و تدبیره المباشر لما یجری فیه من أحداث.

[سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٩٢ الى ١٠۴]

اشاره

إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وٰاحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢) وَ تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنٰا رٰاجِعُونَ (٩٣) فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ اَلصّٰالِحٰاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلاٰ كُفْرٰانَ لِسَعْيِهِ وَ إِنّٰا لَهُ كٰاتِبُونَ (٩۴) وَ حَرٰامٌ عَلىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنٰاهٰا أَنَّهُمْ لاٰ يَرْجِعُونَ (٩۵) حَتّٰى إِذٰا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ وَ هُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (٩۶) وَ اِقْتَرَبَ اَلْوَعْدُ اَلْحَقُّ فَإِذٰا هِيَ شٰاخِصَةٌ أَبْصٰارُ اَلَّذِينَ كَفَرُوا يٰا وَيْلَنٰا قَدْ كُنّٰا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذٰا بَلْ كُنّٰا ظٰالِمِينَ (٩٧) إِنَّكُمْ وَ مٰا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهٰا وٰارِدُونَ (٩٨) لَوْ كٰانَ هٰؤُلاٰءِ آلِهَةً مٰا وَرَدُوهٰا وَ كُلٌّ فِيهٰا خٰالِدُونَ (٩٩) لَهُمْ فِيهٰا زَفِيرٌ وَ هُمْ فِيهٰا لاٰ يَسْمَعُونَ (١٠٠) إِنَّ اَلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا اَلْحُسْنىٰ أُولٰئِكَ عَنْهٰا مُبْعَدُونَ (١٠١) لاٰ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهٰا وَ هُمْ فِي مَا اِشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خٰالِدُونَ (١٠٢) لاٰ يَحْزُنُهُمُ اَلْفَزَعُ اَلْأَكْبَرُ وَ تَتَلَقّٰاهُمُ اَلْمَلاٰئِكَةُ هٰذٰا يَوْمُكُمُ اَلَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣) يَوْمَ نَطْوِي اَلسَّمٰاءَ كَطَيِّ اَلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمٰا بَدَأْنٰا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنٰا إِنّٰا كُنّٰا فٰاعِلِينَ (١٠۴)

اللغه

٩۶[حدب]:أی مرتفع من الأرض-كالجبال و الآكام..

٩٧[شاخصه]:الشاخصه هی العين التی لا تطرف من شدّه الهول.

ص:٣٧١

۹۸[حصب]:الحصب كل حجر يرمى به،و لذا قيل للأحجار الصغيره حصباء.

۱۰۲[حسيسها]:صوتها الذى يحسّ به.

۱۰۴[السّجلّ]:السجل هو ما يسجّل فيه.

الجزاء مصير حتمى

هدى من الآيات:

تـذكرنا الآيـات بـالجزاء،و إنّ كلّ قريه أهلكت جزاء لأفعالها فى الـدنيا،سـتعود الى الآخره لتلقى جزاءها العادل،متى؟حين تجىء أشـراط الساعه،فتفتـح السـبل أمام اجتياح أقوام«يأجوج و مأجوج»حيث يتـدفقون من كلّ حـدب كالسـيل، هنالك يقترب البعث ذلـك الوعـد الحق،فتظل أبصار الكفار شاخصه من هول القيامه،و هم يقولون:قـد كنا فى غفله عن هـذا«ثمّ يعترفون بمسؤوليتهم عن هذه الغفله التى شملتهم بالرغم من النذر المتواتره»فهم كانوا ظالمين.و يأتيهم الجواب:

إن جزاءكم اليوم أن تنبذوا فى نار جهنم،أنتم و الآلهه التى زعمتم أنها تشفع لكم،و تخلصكم من الجزاء.

ثمّ تقول:إن كـانت تلك آلهه فعلا إذا ما دخلت النار!بلى الكل فى النار خالـدا فيها،لهم فيها زفير من شـده العـذاب و هم فيها لا يسمعون.

بینما الذین هداهم اللّه بعیدون عنها،الی درجه أنهم لا یسمعون حتی حسیسها،و هم فیما اشتهت أنفسهم خالدون! لا یخشون من الفزع الأکبر،حیث تتلقاهم الملائکه بالبشری و الترحاب قائله:

هٰذٰا یَوْمُکُمُ الَّذِی کُنْتُمْ تُوعَدُونَ .

و فی ذلک الیوم الرهیب یطوی الربّ السماء،کما یطوی الکتاب الأوراق، کذلک یعید اللّه الخلق کما بدأه،إنّه وعد اللّه الذی ألزم به نفسه سبحانه.

وحده الرسالات و الأنبیاء

بینات من الآیات:

[۹۲]بالرغم من ان الناس یختلفون فی انتماءاتهم،و ولائهم-کلّ یدعی انتماء لرسول و ولاء لإمام-فان المهم فی الملأ الأعلی،لیست هذه الانتماءات النظریه و الولاءات الصوریه،و انما المهم هو العمل الصالح الذی یکون خالصا لوجه اللّه سبحانه و تعالی،تحت ظل الانتماء و الولاء المشروع.إنّ العمل هو الذی یفرق بین أخوین،کما یجمع بین رجلین غریبین،یختلف کلّ شیء فی حیاتهما باستثناء (العمل الصالح).

فالصبر یجمع بین إسماعیل و إدریس و ذی الکفل-کما بیّنا فی الدرس السابق-بالرغم من إنّ إدریس فی بلد آخر،و ربما فی عصر ما قبل التاریخ المکتوب، بینما ذو الکفل کان فی عصر متأخر،و فی بلد ثان.

و یعود القرآن الی التأکید علی فکره المسؤولیه،و تحطیم الأصنام النفسیه،التی تحول دون إیمان الإنسان بمسؤولیته،و من تلک الأصنام(صنم الطائفیه).

بعض الناس يتهربون من مسئولياتهم فی الحياه،اعتقادا بأن دينهم الذی يلتزمون به و يتمسكون بعقائده أفضل من دين الآخرين و من عقائدهم،و أن نبيّهم أفضل من سائر الأنبياء،و أن إمامهم أفضل من سائر الأئمه، و يحسبون أن ذلك يغنيهم عن العمل،و عن تحمل مسئوليتهم الجدّيه فی الحياه،و يأتی القرآن،ليهدم هذه العقده النفسيه،و يبين بأن الأنبياء هم أمه واحده و يشكلون القدوه الحسنه للبشريه.فاذن،لا- مجال هناك لإيجاد خلاف بين الأنبياء،لكی نقول:إنّا ننتمی الی هذا فنحن أفضل منكم.كلاّ!إنّ الذی ينتمی الی محمد صلی الله عليه و آله ينتمی الی عيسی عليه السلام و موسی عليه السلام و إبراهيم عليه السلام و إدريس عليه السلام و نوح عليه السلام ،و جميع الأنبياء و الصديقين عليهم الصلاه و السلام،و من ينتمی إليهم صادقا فهو ينتمی الی محمد صلی الله عليه و آله ،و الانتماء الحقيقی هو العمل الصالح،لذلك يربط القرآن بين فكره وحده الأنبياء و فكره الجزاء،و فور ما يحدثنا عن وحده الأنبياء،يقول اللّه تعالی:

إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وٰاحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ و يحدثنا فی آيات تاليه عن الآخره،و عن أشراط الساعه،لان الاقتصار علی الولاء النظری الجامد إنّما هو صنميه يجب أن تحطم فی نفوس البشر لكی لا- يلجأ إليها الإنسان خشيه تحمله المسؤوليه،ذلك لأن القرآن يعالج الفكره الخاطئه بأمرين:

أولا:يكشف القرآن الحكيم زيف الفكره التی يعتمد عليها البشر،و يبرّر بها لا مسئوليته،و لا جدّيته فی الحياه.

فمثلا يقول:إن الهروب الی ظل التفرقه الطائفيه و المذهبيه،للتخلص من ثقل المسؤوليه خطأ،ذلك لان الرسالات الالهيه إنّما هی واحده.

ص:۳۷۵

ثانیا:یقتلع الجذر النفسی الذی تعتمد علیه هذه الفکره.

لما ذا یهرب الإنسان الی ظل الطائفیه،و المـذهبیه؟و لما ذا یرید أن یفرق بین اللّه و رسـله؟لأنه لم یسـتوعب حقیقه الجزاء بصوره جدّیه.

فاذا عرف الإنسان:إنّ عمله سوف یجازی علیه جزاء حقیقیا مؤکدا و إنه لا یستطیع أن یهرب من جدّیه الحیاه و تحمل مسئولیاتها فانه لا یبرر تقاعسه بهذه الأفکار الخاطئه،و هکذا استخدم السیاق القرآنی هذین الاسلوبین کما سوف نری.

و الآـیه تـدعو الی وحـده الأـمه الإسـلامیه،أما ما نراه الیوم من تعـدد الـدول الإسـلامیه و تعـدد الأنظمه الحاکمه فیها فهو خلاف المنهج القرآنی القویم و هو السر فی تخلفنا و شقائنا.

وَ تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَیْنَهُمْ بـدل أن یقول القرآن و تقطعوا رسالاـتهم قـال: وَ تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ ،لعلّه لکی یوضـح بـأنّه حـتی و لو اختلف النـاس فی الـدین،فـان الـدین لاـ یختلف لأنه واحـد، و عنـد ما یتقطع الناس أمرهم،و یختلفون فی الرسالات و الرسل،انطلاقا من أهوائهم و مصالحهم المادیه فی الدنیا،فهذا سیضعهم أمام مسئولیه خطیره بین یدی اللّه سبحانه و تعالی یوم القیامه.

کُلٌّ إِلَیْنا رٰاجِعُونَ الجمیع یعودون إلینـا،و لکن لاـ نقیسـهم بأمرهم،إنّما نقیسـهم بأمرنا(أی برسالاتنا)و رسالاتنا واحـده،و حکمنا واحد.

[۹۴]و حینما یقول الإنسان:أنا مسلم،نسأله أولا:ما هو عملک؟،أو یقول:أنا أنتمی الی السید المسیح علیه السلام ،نقول له:المسیح یجازی بعمله و أنت تجازی بعملک وحدک.

فَمَنْ یَعْمَلْ مِنَ الصّالِحاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلا کُفْرانَ لِسَعْیِهِ اعمل أیّ شیء من الصالحات قلیلا کان أو کثیرا فانک ستراه و ستشکر علی سعیک،و تعطی علیه الجزاء المناسب،إن کنت مؤمنا.

وَ إِنّا لَهُ کاتِبُونَ ما دام القلم بید اللّه،و السجل بیده،فهو لا ینسی عملک،فلا تقل:إن هذا العمل لا أحد یعلم به،فما الفائده من القیام به؟،و نجد فی کلمه«من الصالحات»إشاره الی إن علی الإنسان أن لا یستصغر أیّ عمل یکون فیه خیر، لأنّ أعمال الخیر الصغیره عند ما تتجمع فانها ستکون أعمالا عظیمه،یظهر أثرها فی المجتمع علی المدی القریب أو البعید.

دع هذا الاحساس ینمو عندک:بأن اللّه یراقبک و یسجل کلّ کبیره و صغیره من أعمالک الحسنه،آنئذ تندفع الی العمل بروح عالیه و أمل مشرق.

[۹۵] وَ حَرامٌ عَلی قَرْیَهٍ أَهْلَکْناها أَنَّهُمْ لا یَرْجِعُونَ إن تلک القری(أی الأمم و المجتمعات التی یدمّرها اللّه بسبب کفرها و أعمالها المنحرفه)لن تعود الی الحیاه أبدا،و هذا ما یؤیده حدیث منقول عن الامام أبی جعفر الباقر علیه السلام حول القیامه الصغری (۱)،و هناک معنی آخر للآیه الکریمه قاله بعض

۱- ۱) راجع تفسیر نور الثقلین/ج ۳-ص ۴۶۰.

المفسرين:

إن القريه التى تهلك تعود الى الجزاء،و هذا المعنى يفهم من سائر الآيات القرآنيه أيضا،فتكون الآيه مشيره الى أنّ هناك ساعتى هلاك للأمم الظالمه:ساعه خاصه بها،و ساعه للكون كله،و هى الساعه العظمى و القيامه الكبرى.

نهايه الحضارات:

[۹۶] حَتّٰى إِذٰا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ وَ هُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ أى إنّ الطريق أمام يأجوج و مأجوج قد انفتح،فيندفعون مسرعين من الأماكن المرتفعه ليغزوا بلدان العالم-أما ذلك السد الذى ذكره القرآن فى سوره الكهف- فيكون آنذاك قد أنهار،و يأجوج و مأجوج الذين هم رمز الخراب يكونون قد جاؤوا، يقول بعض علماء الحضاره:بأن الحضاره أشبه ما تكون بشجره إذا مرّ عليها الزمان تتسوّس من داخلها و لكنها تبقى قائمه الى أن يأتى من الخارج من يقوم بتحريكها حركه بسيطه فتقع على الأرض،و هكذا الحضارات يعيث بداخلها الفساد و لكنها تبقى الى أن تأتى موجه بربريه من أطرافها فتقضى عليها قضاء نهائيا،و هذه نهايه كلّ الحضارات فى التاريخ.

و لعلّ هذه الآيه تلمح الى إنّ نهايه الحضارات البشريه تجرى هكذا،باعتبار إنّ يأجوج و مأجوج قوم برابره همجيون،يهجمون على هذه المجتمعات و ينهونها.

و يبدو إنّه قبل قيام الساعه ستكون هناك موجه بربريه،و إنّ اللّه سبحانه شاء أن ينهى حياه الإنسان بيد الإنسان نفسه،أو ليس الظالم سيفه ينتقم به،و ينتقم منه.

الوعد الحقّ:

[۹۷] وَ اقْتَرَبَ الْوَعْـدُ الْحَقُّ إذا جاء هؤلاء فاعلم بأن الساعه باتت قريبه،و إذا جاءت الساعه فالإنسان لا يعرف ما ذا يعمل،انه يفقد إرادتـه و يسـيطر عليـه الخـوف،و ترى عينه قـد وقفت فى اتجـاه محـدد لاـ تتحـول عنه يمنه أو يسـره من هـول الموقـف و شـده الرعب،لذا يقول القرآن:

فَإِذا هِيَ شاخِصَهٌ أَبْصارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يا وَيْلَنا قَدْ كُنّا فِي غَفْلَهٍ مِنْ هذا ترى هؤلاء يقولون:إنهم كانوا غافلين عن هـذا،و لكنهم سرعان ما يتذكرون إن غفلتهم كانت منهم أنفسهم،و لذلك لا تكون مبرره لرفع المسؤوليه عنهم، فقالوا:

بَـلْ كُنّا ظالِمِينَ [۹۸]و هـذه الأصـنام التى تعبـد من دون اللّه،و يعتقـد الإنسان انها تكفيه المسؤوليه،هى و الـذين يعبدونها سوف يصـبحون و قود جهنم،و يخلـدون فيها مهانين، فكيف تعبـد أيها الإنسان هـذا الصـنم الـذى ينبذ فى الجحيم،و يحترق فى النار،و تعتقـد أنه سوف ينصـرك من دون اللّه؟! إِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَها وارِدُونَ [۹۹] لَوْ كانَ هؤُلاءِ آلِهَهً ما وَرَدُوها

لأنّ الآلهه لا يعقل أن تدخل جهنم.

وَ كُلٌّ فِيهٰا خٰالِدُونَ الذين عبدوا و الذين عبدوا من دون اللّه راضين بذلك.

و الولاءات التی يعتقد الإنسان انها تكفيه مسئوليته فی الحياه نوعان:

۱-الولاء للصالحين و لكن بصوره خاطئه اتخاذ هذا الولاء بديلا عن العمل، فمن يوالی رسول اللّه محمد صلی الله عليه و آله و لا يعمل بسنته و تعاليمه،فانه لن يستفيد شيئا من ولائه.

۲-الولاءات المنحرفه من أساسها،كالولاء لرئيس العشيره،لرئيس التجمع، للطاغوت،لصاحب المال،لصاحب الجاه،من دون تقوی.

هذه الولاءات خاطئه من أساسها،لأنّ اللّه سبحانه لم يأذن للإنسان باتباع أحد،إلاّ أولئك الذين عينهم فی القرآن الكريم أو عرفهم عبر بصائر الذكر الحكيم.

[۱۰۰] لَهُمْ فِيهٰا زَفِيرٌ وَ هُمْ فِيهٰا لاٰ يَسْمَعُونَ إنّهم لا يملكون سوی الصراخ،و لكنهم من شده العذاب و الألم لا يسمعون صراخ بعضهم.

الذين سبقت لهم الحسنی:

[۱۰۱]إن المؤمنين الصادقين بعيدون عن نار جهنم،و هم فی شغل فاكهون يتنعمون فی الجنه،بينما هناك أناس يحترقون بالنيران الملتهبه،و قد صمّت آذانهم

من شده زفيرها حتى فقدت حاسه السمع،تلك النعمه العظيمه التى لم يشكروا اللّه عليها فى الدنيا و لم يستعملوها فى طاعته.

إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ و الحسنى هى الرساله الحسنه..الفكره الحسنه..السيره الحسنه..و هؤلاء وفقهم اللّه لها فى الدنيا،و بالتالى فهم مبعدون عن نار جهنم فى الآخره.

[۱۰۲] لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَها وَ هُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خالِدُونَ من نعيم مقيم و حور و ولدان.

[۱۰۳] لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَ تَتَلَقّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هذا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ فى الآيات القرآنيه تأكيد على هذه الفكره:إنّ الإنسان فى الآخره ينعم بألوان النعم،و هذا يكفيه جزاء لأعماله الصالحات و لكن اللّه يعطيه نعمه ثانيه،بأن يرسل اليه الملائكه ليستقبلوه أحسن استقبال و ينقلوا له شكر اللّه على أعماله و سلامه عليه،و هذا تكريم معنوى عظيم.

[۱۰۴] يَوْمَ نَطْوِي السَّماءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ السجل:هو الغلاف،و الكتب:هى الأوراق المكتوبه،فالغلاف يجمع الأوراق المكتوبه و بعد فتح الغلاف تنتشر الأوراق،هكذا يطوى اللّه السماوات فتنتهى الدنيا و تقوم الساعه و يأتى يوم الحساب.

ص:۳۸۱

هكذا تكون عظمه الساعه،و لكن مع ذلك يعطى اللّه السكينه و البشرى للمؤمنين.

و لعل الآيه تشير أيضا الى فكره أخرى هى:

إنّ إفناء السماوات و الأرض و إعاده خلقها عند اللّه هو من السهوله مثل الذى يغلق فيها أحدنا كتابا ثمّ يفتحه مره أخرى،و هذا المثال إنّما هو لتقريب الأمر الى أذهاننا لا على سبيل المطابقه.

إنّ تصور هيمنه اللّه سبحانه على الكون يجعلنا أقرب الى واقعيات الحياه، و بالتالى الى جدّيه الحياه و مسئولياتنا فيها.

كَمٰا بَدَأْنٰا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنٰا إِنّٰا كُنّٰا فٰاعِلِينَ هذه الآيه تشير الى فكره علميه و هى أن بدايه الخلق دليل على نهايته،و هذه البدايه و تلك النهايه شاهدان يكشفان طبيعه و تفاصيل عوده الخلق،لأنّ الخليقه و تطوراتها تسير على سنه واحده لو فهم الإنسان تطبيقها على ظاهره فانه سيفهم تطبيقها على بقيه الظواهر.

كلمه أخيره:

إن المشكله النفسيه هى الأساس،و من دون معالجتها سوف تستمر الأفكار الباطله عند الفرد،هكذا تجد القرآن فى آخر سوره الأنبياء يذكرنا باليوم الآخر و يصور لنا مشاهده،و يثير فينا قوه الخيال،و هى قوه هامه عند البشر،و على الإنسان أن يستفيد منها فى تربيه ذاته،فيقول للإنسان تصور وقوفك أمام اللّه،و تصور لحظه

قيـام السـاعه،و تصور حينمـا ينفتـح الطريق أمـام يـأجوج و مـأجوج؟!كلّ ذلك لتهتز نفسـيه الإنسان،و يلين قلبه،و يكون مسـتعدا لإصلاح قناعاته،و إسقاط حجب التبرير عن نفسه.

[سوره الأنبياء (۲۱): الآيات ۱۰۵ الی ۱۱۲]

اشاره

وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِی اَلزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ اَلذِّكْرِ أَنَّ اَلْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ اَلصّالِحُونَ (۱۰۵) إِنَّ فِی هٰذا لَبَلاغاً لِقَوْمٍ عابِدِينَ (۱۰۶) وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ (۱۰۷) قُلْ إِنَّما يُوحىٰ إِلَيَّ أَنَّما إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ واحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (۱۰۸) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلىٰ سَواءٍ وَ إِنْ أَدْرِی أَ قَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ ما تُوعَدُونَ (۱۰۹) إِنَّهُ يَعْلَمُ اَلْجَهْرَ مِنَ اَلْقَوْلِ وَ يَعْلَمُ ما تَكْتُمُونَ (۱۱۰) وَ إِنْ أَدْرِی لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَ مَتاعٌ إِلىٰ حِينٍ (۱۱۱) قالَ رَبِّ اُحْكُمْ بِالْحَقِّ وَ رَبُّنَا اَلرَّحْمٰنُ اَلْمُسْتَعانُ عَلىٰ ما تَصِفُونَ (۱۱۲)

اللغه

۱۰۶[لبلاغا]:أی كفايه فی البلوغ إلی القصد و هو الحق.

۱۰۹[آذنتكم]:أعلمتكم.

[و إن أدری]:أی و ما أدری.

ص:۳۸۴

رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ

هدى من الآيات:

لأن الإنسان مسئول عن أفعاله،فقد منّ اللّه على الصالحين من عباده بوراثه الأرض،هكذا كتب فی الزبور من بعد الذکر.

بهذا الأمل العظيم يبدأ الدرس الأخير من سوره الأنبياء التی حفلت ببيان كرامه اللّه للمرسلين عليه السلام و استجابه دعائهم و نجاتهم من قومهم الظالمين.

و يكفی هذا الحديث بلاغا للعابدين.

إن رساله اللّه الی النبی محمد صلی الله علیه و آله رحمه للعالمين(لا لقوم أو عصر)،و هذه الرساله ذات اتجاه واحد،يتلخص فی عباده الربّ الواحد،و هی رساله الإسلام.

أمّا إذا تولوا فأنذرهم و أنبئهم-يا رسول اللّه-إنی لا أدری متی يصيبكم ما أنذرتكم به عاجلا أم آجلا،و هكذا تتجلی مسئوليه المجتمع عن أفعاله،و لا أحد

يقدر على الهروب منها الى ظل الكتمان إذ اللّه سبحانه محيط علما بما يجهرون و ما يكتمون من أقوالهم،(فيعلم مدى كذبهم فى ادعاءاتهم التبريريه).

و هم يعتمدون على ما أوتوا من إمكانات،و لكنها فتنه و بلاء،و هى موجوده إلى حين.

و يلجأ الرسول الى كهف القدره الالهيه ليحكم بالحقّ،و ربنا المستعان على تبريراتهم و دعاياتهم.

بينات من الآيات:

اشاره

[۱۰۵]يبشر اللّه عباده الصالحين،بأنهم هم الذين يرثون الأرض و ما عليها، ثمّ يقول:إنّ هذا إبلاغ لأولئك الذين عبدوا اللّه و سلّموا أمورهم لربهم،ما هى العلاقه بين الآيتين؟ الواقع ليست الحقيقه غامضه،بل لها دلائل و شواهد عده،و لكن الإنسان عاده يصاب بعقده أو عقيده فاسده،أو غفله مطبقه،و عليه أن يبذل المزيد من الجهد لإصلاح نفسه من عقدها و عقائدها الفاسده،و كذلك من غفلتها.

إنّك متى ما خلّصت نفسك من عقدها و عقائدها الفاسده،و أيقظتها من غفلتها،آنئذ يمكننا أن نحكم بأنك فهمت الحقيقه،و ليس ذلك فحسب، بل إنّ الحقيقه صارت بالغه الوضوح فى نفسك.

و يسمى اللّه سبحانه قوله: أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهٰا عِبٰادِيَ الصّٰالِحُونَ بلاغا، لأنّ الإنسان بعد ما يصفّى نفسه من رواسب العقد و العقائد الفاسده،و يوقظها من غفلتها،يكون مستعدا لتلقى هذه الحقيقه و هى وراثه الصالحين الأرض جميعا،

کیف؟ لأنّ الحیاه مبنیه علی أساس الصلاح،و لیس علی أساس الفساد،فلو کان الکون فاسدا لتحطم و زال.

ثمّ نتساءل ما هی علاقه هـذا الأمر بحـدیثنا فی قوله: عِبٰادِیَ الصّٰالِحُونَ ؟ الإنسان الصالح هو الذی یسـیر وفق سـنن اللّه،و لا بدّ أن یسیر منسجما مع مسیره الکون،و لا بدّ أن یلتقیها فی یوم من الأیام،أما الإنسان الفاسد الذی لا یسیر وفق سننه،فانه من الطبیعی أن یفترق مع مسیره الکون،و تکون بینهما هوه تتسع مع الزمن،و الذی یسیر وفق برامج الحقّ لا بدّ أن یلتقی مع الکون،أما الذی یسیر وفق أهوائه فانه سوف یکون إمّا وبالا علی الکون فینشر فیه فسادا،أو یکون الکون وبالا علیه فیهلکه أو یدمره.

إنّ سنن اللّه فی الکون تطبق شئنا أم أبینا،و إن من یسیر وفقها لا بدّ أن یلتقی معها،بینما الذی یسیر ضدها لا بدّ أن ینتهی،و عنوان هذه السـنن هو الصـلاح،و قد بنی الکون علی الصلاح،و الصالحون من عباد اللّه هم الذین یرثون الأرض،لأنهم یطبقون سنن اللّه فیها.

وَ لَقَـدْ کَتَبْنٰا فِی الزَّبُورِ مِنْ بَعْـدِ الـذِّکْرِ أَنَّ الْأَرْضَ یَرِثُهٰا عِبٰادِیَ الصّٰالِحُونَ ما هو الزبور و الذکر،و لما ذا خصـهما الرب بالذکر،أو لیست هـذه سـنه إلهیه نوهت بها رسالات اللّه جمیعا؟ بلی،و لـذلک احتمل بعض المفسـرین أن یکون الذکر هنا هو القرآن بینما الزبور

ص:٣٨٧

كلّ كتاب هبط قبله،فيكون إذا معنى(من بعد)الذكر ما يساوى قولنا بالاضافه الى القرآن.

و لكننا نستظهر من لفظه الزبور نفس معناها عند ما استخدمت فى موردين، و أيد بها كتاب داود.

بينما نستوحى من آيه سبقت فى هذه السوره:إن الذكر يطلق على التوراه، و يبقى السؤال إذا بما ذا اختص داود عليه السلام من بعد موسى عليه السلام بهذه البشرى؟ و الجواب-كما يبدو لى-:

إنّ اللّه أنقذ بنى إسرائيل،ذلك القوم المستضعف من سلطه فرعون،و على يد النبى موسى عليه السلام ،و أورثهم أرض الظالمين.

كما أعطى لداود حكما و هيّأ له أسباب القدره،فكان من المناسب أن يذكرهما،بأن وراثه كلّ الأرض تكون للصالحين:أولا لكى يكون ما تحقق فعلا-على عهدهما شاهدا على ما يتحقق فى المستقبل جريا على نهج القرآن فى الارتقاء بالقارئ من الحقائق المشهوده الحاضره،الى الغيب الأوسع مدى،و ثانيا و ليعلم كلّ مؤمن بأن اللّه سوف يورث الأرض للصالحين من عباده كما فعل فى عهد داود و موسى،فيكون ذلك أملا-يبعثه الى المزيد من النشاط،و بصيره كونيه لمعرفه حركه الكائنات التى تنتهى الى وراثه الأرض جميعا.

هكذا نستوحى من الآيه فكرتين:

أولا:إن كلّ مجموعه مؤمنه تعبد اللّه بحقّ،و تكون صالحه،تستحق أن ترث أرضها.

ثانیا:إن کلّ الأرض سوف تسعد بحکومه عادله،إلهیه،و هذه هی التی نجدها فیما یسمی ب(مزامیر داود)و الذی بالرغم من وجود تحریفات فی کتب العهدین حفظت لنا الکثیر من حقائق الوحی و وصایا الأنبیاء،فاننا نقرأ فی بعضها ما ترجمته:

«إن اللّه یعلم أیّام الصالحین،و سیکون میراثهم أبدیا». (۱)

و لذلک جاءت النصوص الإسلامیه عن الرسول صلی اللّه علیه و آله تتری و تبشر بأنه لو لم یبق من الدنیا إلاّ یوم واحد لطوّل اللّه ذلک الیوم حتی یبعث رجلا من أهل البیت یملأ الأرض قسطا و عدلا کما ملئت ظلما و جورا.

و

جاء فی حدیث مأثور عن الامام أبو جعفر علیه السلام فی تفسیر هذه الآیه :هم أصحاب المهدی فی آخر الزمان. (۲)

الصلاح بین تخلفنا و تقدم الغرب:

الصلاح مطیه التقدم،ذلک لأنه یعنی التوافق بین عمل الإنسان و سنن الخلائق،و نتساءل:إذا لما ذا تخلفنا و تقدم الغرب الکافر،هل هم صالحون فعلا؟ نقول بلی إنهم قد اکتشفوا بعض سنن اللّه و عملوا بها مثل(السعی-النظام- التخطیط- العطاء)فتقدموا علینا.

إلاّ إنّهم لا یملکون خلفیه عقائدیه صحیحه و بالتالی إطارا سلیما لنشاطهم،

۱- ۱) هناک نصوص کثیره نقلت فی تفسیر(نمونه)فی هذا الحقل راجع ج ۱۳-ص ۵۲۱،و هذا النص نقله الکتاب المزبور من الترجمه الفارسیه لکتاب العهد القدیم،الذی ترجم فی عام ۱۸۷۸ تحت إشراف مراجع الکنیسه.

۲- ۲) تجد هذین النصین و نصوص أخری فی«نور الثقلین»ج ۳-ص ۴۶۴-۴۶۵.

و لم یهتدوا الی الصراط القویم،فکانوا کمن یجدّ السیر علی غیر الطریق الصحیح فتراه یرکض،و یملک من العزیمه علی السیر،و وسائل التحرک ما یساعده علی الوصول الی الهدف،إلاّ إنّه أضل الطریق فلا یغنیه السعی و النظام و التخطیط و العطاء شیئا.

هؤلاء(الغرب)حققوا جزء من الشرط الثانی دون الشرط الأول و الأهم لوراثه الأرض و هو عباده اللّه،فلذلک لن یکونوا المبشرین بوراثه الأرض،لأنهم لیسوا عباد اللّه الصالحین،بلی انهم یملکون من الصلاح نسبه یجزیهم اللّه علیها بتقدمهم المحدود و الموقت فی الدنیا،و عندنا-نحن المسلمین-نسبه من الفساد نتخلف بسببها فی الدنیا.

إذا لا بدّ من تطبیق کلّ الدین حتی نکون صالحین،و کلّ الدین هو الذی یجعلنا نتعایش مع سنن الکون و نبشر بوراثه الأرض بقدر تسخیرها فی سبیل اللّه.

[۱۰۶] إِنَّ فِی هٰذٰا لَبَلاٰغاً لِقَوْمٍ عٰابِدِینَ إذا لم یکن الإنسان عابدا فإنه لن یصل إلی الحقیقه.

[۱۰۷] وَ مٰا أَرْسَلْنٰاکَ إِلاّٰ رَحْمَهً لِلْعٰالَمِینَ إن الصیغه العامه لرسالات اللّه جمیعا،و رساله الإسلام بالذات،هی الرحمه، لأنها تهدی الناس الی نعم اللّه،و الطریق القویم الی الانتفاع بها،و النهج السلیم لبلوغ الأهداف السامیه،و لذلک

جاء فی الحدیث عن الرسول إنه قال: «إنّما أنا رحمه مهداه. » (۱)

ص:۳۹۰

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۳-ص ۴۶۶.

و تتميز رساله نبينا الأكرم صلى الله عليه و آله بأنها رحمه للعالمين جميعا سواء الأبيض أو الأسود،العربى و الأعجمى،و الفقير و الغنى،و الرجال و النساء،و أنها-كما السحب الهطول،كما أشعه الشمس،كما سائر نعم اللّه-تشمل الجميع بلا استثناء.

و لأنها رحمه للعالمين،فان اللّه سبحانه و تعالى يريدها تسود العالم جميعا حتى تكون وراثه الأرض كلّ الأرض للصالحين التابعين لهذه الرحمه..و هذه بشرى لا بدّ أن يسعى كلّ مؤمن لتحقيقها.

و هناك تفسير آخر لهذه الآيه جاء به الأثر الشريف و هو:إنّ الرسل من قبل سيدنا محمد صلى الله عليه و آله بعثوا بالتصريح فاذا كذب الواحد منهم أنزل اللّه على قومه العذاب،بينما بعث نبينا بالتعريض فلا يأخذ اللّه أهل الأرض فى عهده بالبلاء الماحق،و يدلّ على ذلك ما

جاء فى حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام وجهه الى بعض الزنادقه:و أما قوله لنبيه وَ مٰا أَرْسَلْنٰاكَ إِلاّٰ رَحْمَةً لِلْعٰالَمِينَ و انك ترى أهل المال المخالفه للايمان و من يجرى مجراهم من الكفار مقيمين على كفرهم الى هذه الغايه، و انه لو كان رحمه عليهم لاهتدوا جميعا و نجوا من عذاب السعير،قال:فان اللّه تبارك اسمه إنّما عنى بذلك انه جعله سبيلا لإنظار أهل هذه الدار،لأنّ الأنبياء قبله بعثوا بالتصريح لا بالتعريض،و كان النبى صلى الله عليه و آله منهم إذا صدع بأمر اللّه و أجابه قومه سلموا و سلم أهل دارهم من سائر الخليقه،و ان خالفوه هلكوا و هلك أهل دارهم بالآفه التى كانت بينهم يتوعدهم بها و يتخوفهم حلولها و نزولها بساحتهم،من خسف أو قذف أو رجف أو ريح أو زلزله و غير ذلك من أصناف العذاب الذى هلكت به الأمم الخاليه،إنّ اللّه علم من نبينا و من الحجج فى الأرض الصبر على ما لم يطق من تقدمهم من الأنبياء الصبر على مثله، فبعثه اللّه

بالتعریض لا بالتصریح،و أثبت حجه اللّه تعریضا لا تصریحا. (۱)

[۱۰۸]لما ذا کانت رسالات اللّه رحمه،و ما هو جوهر هذه الرحمه الالهیه؟ إنّ جوهر الرحمه الدعوه الی توحید اللّه،و نبذ الشرکاء من دونه،ذلک لأن تحرر الإنسان من عباده الهوی،و تمرده علی الضغوط،و خلاصه من نیر الطغاه و المستکبرین،و ارتفاعه الی مستوی(عباده اللّه وحده)هو قمه الاستقلال و الحریه و الکرامه.

إنّ حب الاستقلال و الحریه و الکرامه غریزه فطریه عجنت بها طینه البشر، و لکن لم یتخلص الناس عملیا من الظلم و الاستعباد،لماذا؟ لأنّ البشر بحاجه الی من یوقظ هذه الفطره و یثیرها و یبعثها و یعطیه عزمه إراده و منهج عمل و ضیاء أمل،و لیس ذلک إلاّ عند الرسل،فهم و من سار علی نهجهم من عباد اللّه الصالحین یحررون-بإذن اللّه-البشر من القهر و الاستعمار و سیطره الأقویاء.

قُلْ إِنَّمَا یُوحَیٰ إِلَیَّ أَنَّمَا إِلَٰهُکُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ إنّها دعوه بالغه الصراحه الی الاستقلال و الحریه و الکرامه،و انها لعهد بین الرسول و من أرسل إلیهم بأنه لا یرید استعبادهم،بل تحریرهم،و لکنه یطالبهم بالتسلیم للحقّ لکی ینجیهم من عبودیه الباطل.

[۱۰۹]و لا یطالبهم الرسول بأجر،و لا یدعوهم لمصلحه عنده انما یمنّ اللّه علیهم إذ ینذرهم بعذاب عظیم هم غافلون عنه و یقطع عذرهم بالجهد لهم بالإنذار،و هو

ص:۳۹۲

۱- ۱) المصدر/ص ۴۴۶.

سواء معهم فی انه مخاطب أیضا بالإنذار کما ان القریب و البعید منهم شرّع سواء.

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلىٰ سَوٰاءٍ وَ إِنْ أَدْرِی أَ قَرِیبٌ أَمْ بَعِیدٌ مٰا تُوعَدُونَ إیذان شامل لکلّ الناس و إنذار مبین من اللّه رب العالمین لا دخل للرسول بتفاصیله،فهو أیضا لا یدری متی یأمر اللّه بالعذاب،و إذا لم یکن رسول اللّه حامل الإنذار یدری فمن-یأتری-یدری؟لا أحد،و لقد قرأنا فی سوره طه قوله:« إِنَّ السّٰاعَةَ آتِیَةٌ أَكٰادُ أُخْفِیهٰا لِتُجْزیٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمٰا تَسْعیٰ »،فجاءت الروایه تفسیر الآیه:أکاد أخفیها من نفسی لان اللّه لم یحدد للساعه وقتا.

یا هول المفاجأه،الساعه آتیه بما فیها من فظائع الهول،و عظائم الأحداث،و لا یعرف أحد متی!! إنّ إخفاء علم الساعه أبلغ أثرا لکی تحسس الإنسان بالمسؤولیه،فلو حدد اللّه میقات الساعه أو میقات الموت،لتکاسل الإنسان عن واجبه متعللا بأنه سیتوب قبیل موته،مثلما قال عمر بن سعد عند ما أراد قتل الحسین علیه السلام،و بعد أن عرضت علیه السلطه الأمویه:(ملک الری)إن هو قتل الحسین علیه السلام ،قال و هو یناجی نفسه و یحاول تبریر قراره الاجرامی:

و و اللّه لا أدری و إنی لحائر أفکر فی أمری علی خطرین

أ أترک ملک الریّ و الریّ منیتی أم أرجع مأثوما بقتل حسین

حسین ابن عمی و الحوادث جمّه ولی فی الریّ قرّه عین

یقولون:إنّ اللّه خالق جنّه و نار و تعذیب و غل یدین

فإن صدقوا فیما یقولون إننی أتوب إلی الرحمن من سنتین

و إن إله الكون يغفر زلّتی و إن كنت فيها أرذل الثقلين

و إن كذّبوا فزنا بدنيا عظيمه و ملک عظيم دائم الحجلين

إنّ اللّه سبحانه ينسف هذه الفكره بإخفاء الساعه،فمن يقول إنک تعيش الی سنتين حتی تتقرب فيها الی اللّه.

و هكذا

نقرأ فی وصيه أمير المؤمنين علی ابن أبی طالب لابنه الحسن(عليهما السلام) :

«...و اعلم يا بنی إنک إنّما خلقت للآخره لا للدنيا و للفناء لا للبقاء، و للموت لا للحياه و انک فی منزل قلعه-أی لا يدری ساكنه متی ينتقل عنه-و دار بلغه-أی يؤخذ منه الكفايه للآخره-و طريق الی الآخره،و انک طريد الموت الذی لا ينجوها ربه،و لا يفوته طالبه،و لا بدّ انه مدركه،فكن منه علی حذر أن يدرككک و أنت علی حال سيئه،قد كنت تحدث نفسک منها بالتوبه،فيحول بينک و بين ذلک،فاذا أنت قد أهلكت نفسک. » (۱)إنّ وفاه الإنسان كما وفاه المجتمعات غير معلومه،و هكذا الساعه.

[۱۱۰]و بإزاء جهلنا نحن البشر بيوم الحسره و ساعه قيام الناس للحساب يعلم اللّه ما ظهر منا و ما بطن.

إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَ يَعْلَمُ مٰا تَكْتُمُونَ و لعلّ الإنسان يخفی غير ما يقول،و يبرر جرائمه بشتی الاساليب،فاللّه محيط علما بما يكتمه و لذلک عليه ألّا يظن انه يخدع ربه أو يلتف علی قوانينه و يتهرب من

ص:۳۹۴

۱- ۱) .۳۱/وصايا أمير المؤمنين عليه السلام نهج البلاغه ۴۰۰.

مسئولياته الشرعيه إنّما عليه أن يطهّر قلبه من الأفكار الباطله،و وساوس الشيطان و تسولات النفس الأماره بالسوء.

[١١١]أما نعم الحياه التى يرفل بها الظالمون المستكبرون اليوم،و يحسبون انها تخلدهم،بل يزعم بعضهم انها دليل رضا اللّه عنهم،فانها قد تكون فتنه و بلاء و لعلّ متاعها قليل و الى أمد قريب.

وَ إِنْ أَدْرِی لَعَلَّهُ فِتْنَهٌ لَكُمْ وَ مَتٰاعٌ إِلىٰ حِينٍ [١١٢]الحقّ محور خلق الكائنات و قد أمهل الرب برحمته عباده،فلا يأخذهم بما يكسبون اليوم،و لو أخذهم لما ترك على ظهر الأرض من دابه.

بيد ان الحقّ بالتالى مقياس أعمال الناس و ميزان جزائهم،إليه يعودون آجلا أم عاجلا.

قٰالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَ رَبُّنَا الرَّحْمٰنُ الْمُسْتَعٰانُ عَلىٰ مٰا تَصِفُونَ باللّه الرحمن يستعين الرسول و من يسير على نهجه على الأقاويل الباطله، و التبريرات الزائفه و الحجج الواهيه.

و نستوحى من الآيه فكرتين:

١-إنّ اللّه يحكم بالحقّ،استجابه لدعاء الرسول،حيث جاء فى الأثر إنه صلى الله عليه و آله كان يدعو بهذا الدعاء كلما خاض معركه ضد المشركين،مما يدل بأن على الإنسان ألاّ يتكاسل عن الجدّ و الجهاد ثمّ يكتفى بالدعاء..و العكس غير صحيح أيضا فلا يصح أن يعتمد الإنسان على عمله فلا يدعو ربّه.

ص:٣٩٥

۲-و هو الـذى يرزق عبـاده الصالحين-إذا دعوه-نورا يمشون به بين الناس، و يميزون به الحقّ عن الأباطيل التى يصـفها الكفار،و يعطيهم قوه لردّها،و مقاومه الاعلام المضلل الذى يدعم الطغاه و الكفره.

ص:۳۹۶

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ۱۴۲۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣۴۴٩٠١٢۵

هاتف المكتب فى طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.